سلسلة الكامل / كتاب رقم 514 /

الكامل في تقريب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن / تفسير الإمام الأعظم أبو جعفر الطبري) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / الجزء الأول / 800 حديث وأثر

لمؤلفه د / عامر أحمد الحسيني .. الكتاب مجاني

الكامل في تقريب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن / تفسير الإمام الأعظم أبو جعفر الطبري)
بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / الجزء الأول / 800 حديث وأثر

المقدمة :

بسم الله وكفي ، وصلاة وسلاما علي عباده الذين اصطفي ، أما بعد :

بعد كتابي الأول (الكامل في السُّنن) أول كتاب علي الإطلاق يجمع السنة النبوية كلها بكل من رواها من الصحابة بكل ألفاظها ومتونها المختلفة ، من أصح الصحيح إلي أضعف الضعيف ، مع الحكم علي جميع الأحاديث ، وفيه (64,000 / الإصدار الخامس) أربعة وستون ألف حديث ، آثرت أن أجمع الأحاديث الواردة في بعض الأمور في كتب منفردة تسهيلا للوصول إليها وجمعها وقراءتها .

_ روي الترمذي في سننه (2950) عن ابن عباس عن النبي قال من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار . (صحيح لغيره)

_ وروي الترمذي في سننه (2952) عن جندب البجلي عن النبي قال من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ . (حسن)

_ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، المولود عام (224) هجرية ، المتوفي عام (310) هجرية .

الإمام الأعظم ، المجتهد المطلق ، إمام أئمة التفسير ، جبل الحديث والتفسير والفقه واللغة والتاريخ .

_ قال الإمام الذهبي (محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، الإمام العَلَم المجتهد ، عالم العصر ، أبو جعفر الطبري ، صاحب التصانيف البديعة ... وكان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف ، قلَّ أن تري العيون مثلَه ... وكان من كبار أئمة الاجتهاد)

وقال (كان ثقة صادقا حافظا ، رأسا في التفسير ، إماما في الفقه والإجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ، عارفا بالقراءات وباللغة وغير ذلك)

_ وقال الإمام الخطيب البغدادي (كان أحد أئمة العلماء ، يُحكَم بقوله ويُرجَع إلي رأيه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من عصره ، فكان حافظا لكتاب الله ، عارفا بالقراءات ، بصيرا بالمعاني ، فقيها في أحكام القرآن ،

عالما بالسن وطرقها ، صحيحها وسقيمها ، ناسخها ومنسوخها ، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ، عارفا بأيام الناس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور أخبار الأمم وتاريخهم ، وله كتاب التفسير ، لم يُصنَّف مثلَه ، وكتاب سماه تهذيب الآثار ، لم أر سواه في معناه لكن لم يتمه ، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة)

_ وقال الإمام ابن خزيمة (ما أعلم علي أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير)

_ وقال الإمام تاج الدين السبكي (الإمام الجليل ، المجتهد المطلق ، أحد أئمة الدنيا علما ودِينا ، طوَّف الأقاليم في طلب العلم)

_ وقال الإمام أبو محمد الفرغاني (.. وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ، مع عظيم ما يلحقه من الأذي والشناعات ، من جاهل وحاسد وملحد ، فأما أهل الدين والعلم فغير منكرين علمَه وزهده في الدنيا ورفضه لها وقناعته رحمه الله بما كان يرِد عليه من حصة من ضيعة خلَّفها له أبوه بطبرستان يسيرة)

_ وقال الإمام النووي (كتاب ابن جرير لم يؤلَّف في التفسير مثلَه)

_ وقال الإمام أبو حامد الإسفراييني (لو سافر رجل إلي الصين حتي يحصل علي تفسير الطبري لم يكن ذلك كثيرا) ، وكان ذلك في وقت يكون السفر إلي الصين أشق المشقة .

_ وقال الإمام ابن الأثير (كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وله مصنفات كثيرة عدة تدل علي سعة علمه وفضله)

وقال الإمام ابن المواق (أبو جعفر الطبري إمامٌ رحَّالة في طلب العلم ، له طلاع واسع علي فنون كثيرة منها الفقه والتفسير والحديث والنحو واللغة والعَروض)

_ وقال الإمام السيوطي (كتاب الطبري أجلُّ التفاسير وأعظمها)
وقال (أجمع العلماء المعتبرون علي أنه لم يؤلَّف في التفسير مثله)

_ وقال الإمام الحموي عن تفسير الطبري (هو كتاب يتعذّر علي العلماء عمل مثله)

_ وقال المؤرخ القفطي (الإمام العالم العلامة ، أوحد الدهر وفريد كل عصر ، مؤلف التاريخ والتفسير المشهورين الكبيرين المذكورين ، إلي ما انضاف إليهما من تصانيفه العزيزة الوجود الغريبة بين أمثالها في الجودة والموجود)

_ وقال الإمام ابن خلكان (كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل علي سعة علمه وغزارة فضله ، وكان من الأئمة المجتهدين)

_ وقال الإمام ابن كثير (كان أحد أئمة الإسلام علما وعملا بكتاب الله وسنة رسوله)

_ ولما بلغ الإمام ابن الأعرابي خبر وفاته قال (حدَثٌ مُفظِعٌ وخَطْبٌ جليل / دقَّ عن مثله اصطبار الصبور ، قام ناعِي العلوم أجمع لما / قام ناعي محمد بن جرير)

_ وغير ذلك كثير مما هو مذكور في كتب السِّيَر والتراجم .

(وانظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي / 2 / 548 ، وسير أعلام النبلاء للذهبي / 14 / 267 ، والإتقان للسيوطي / 4 / 242 ، وطبقات الشافعية الكبري للسبكي / 3 / 120 ، وبغية النقاد لابن المواق / 234 ، واللباب لابن الأثير / 2 / 274 ، ووفيات الأعيان لابن خلكان / 4 / 191 ، والبداية والنهاية لابن كثير / 11 / 146 ، وغيرها)

_ وكانت له محنة شديدة مع بعض رعاع الحنابلة وجهالهم ومنعوا الناس من الاجتماع به ، لكني لن أذكر شيئا من ذلك ها هنا . ولك أن تري أن كبيرهم الذي تولي ذلك لم يبلغ رُبعَ علم الطبري بل أقل ، وهذا أعلمهم فكيف بأجهلهم ! .

_ ولابد كذلك من التنبيه علي تشابه اسمه مع اسم رجل آخر ، وهذا في نظري فيه شئ من المحنة أيضا . وهو رجل له نفس الاسم واسم الأب والكنية والبلد ، وهذا بحد ذاته نادر الوجود ، وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري ، وهو رجل شيعي معتزلي وليس له علم يُذكَر .

فتجد بعض الناس قديما وحديثا يتحدثون عنه وينقلون من كلامه ويذكرون أنه كان شيعيا معتزليا وكان فيه وفيه ، فيظن كثير من الناس أنهم يقصدون الطبري الإمام المشهور وهم إنما يقصدون الطبري ابن رستم الشيعي فيتكلمون في ذم هذا الإمام وما يدورن ! ، فلابد من التنبه لهذه المسألة .

وقال الإمام محمد بن سهل (سمعت محمد بن جرير وهو يكلم ابن صالح الأعلم وجري ذِكر علي بن أبي طالب ثم قال ابن جرير من قال إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدي ايش هو ؟ قال مبتدع ، فقال الإمام الطبري إنكارا عليه مبتدع مبتدع ! هذا يُقتَل) (سير الأعلام للذهبي / 14 / 275)

_ بل وزاد الأمر حديثا من أهل الفسق والفحش والتمثيل فافتروا عليه الأكاذيب والأباطيل ويكذب الواحد منهم ما شاء كيف شاء علي من شاء مُسمِّين ذلك سيناريو علي عادتهم في قلب أسماء الكبائر والفواحش إلي مسميات حسنة مقبولة .

وإن كان الإمام الطبري حاضرا أو كان للأئمة مقام لأنزلوا بهؤلاء العقوبة الموجعة علي سبيل الإنكار والتعزير . لكن لا عجب فقد ثبت عن النبي أنه قال لا تقوم الساعة حتي يكون المنافقون أعلاما وسادة .

وانظر في ذلك كتاب رقم (304) (الكامل في أحاديث إن الله يغضب إذا مُدح الفاسق ولا تقوم الساعة حتي ينتشر الفسق والفحش ويكون المنافقون أعلاما وسادة وما ورد في ذلك المعني من أحاديث / 1350 حديث)

وكتاب رقم (438) (الكامل في أحاديث بُعِثتُ بين جاهليتين أخراهما شرٌّ من أولاهما ويأتي زمان يصير المنكر معروفا والمعروف منكرا ويتكلم الفاسق التافه في أمر العامة وبيان عادة المنافقين في قلب أحكام الفسق والفحش والشرك إلي ألفاظ المدح والتفخيم والتعظيم / 1050 حديث)

وكتاب رقم (294) (الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي وجوب إقامة العقوبات والتعزير علي المجاهرين بالمعاصي والكبائر وجواز بلوغ التعزير إلي القتل مع ذِكر (160) صحابي وإمام منهم و(300) مثال من آثارهم وأقوالهم)

وكتاب رقم (401) (الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن آية (لستَ عليهم بمسيطر) منسوخة ليس عليها عمل بالكلية مع ذِكر (270) صحابيا وإماما منهم وبيان عادة الحدثاء في ترك المحكم والاحتجاج بالمنسوخ / 800 حديث وأثر)

وكتاب رقم (441) (الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن من سبَّ النبي أو انتقصه يجب قتله مسلما كان أو كافرا وأن ذلك حكم معلوم من الدين بالضرورة مع ذِكر (430) صحابيا وإماما منهم

و(1000) مثال من آثارهم وأقوالهم مع بيان سبعة أمور قاضية بأن تمثيل النبي كفر أكبر) ، وغير ذلك من كتب سابقة انظرها في قائمة الكتب السابقة في آخر الكتاب .

_ ومن نظر في علم هذا الإمام تعجب عجبا بالغا ، فقد كان إماما في الحديث يجاري أئمة الحديث المتفردين فيه ، وكان إماما في التفسير بل هو إمام أئمة التفسير جميعا ، وكان إماما في الفقه بل وكان له مذهب متبوع لكنه لم ينتشر لقلة الطلبة والآخذين عنه ، وكان إماما في اللغة يجاري أئمة اللغة المتفردين فيها ، وكان إماما في التاريخ بل هو أوثق من نقل التاريخ .

وقلما تجتمع هذه العلوم في أحد فما بالك حين تجتمع في أحد بهذا الإتقان ! ، بل إني أكاد أجزم قطعا أنها لم تجتمع في أحد وبهذا الإتقان إلا في الإمام الطبري .

وكذلك كان إماما في العقائد ، وتفسيره ملآن بالنقض المُحكَم علي أقوال الجهمية والمعتزلة والمرجئة والأشعرية والقدرية وغيرهم .

ولكم قيل لقب الإمام الأعظم علي أناس ليس لهم كبير مقام في العلم ، وكم قيل عن أناس لهم مقام في علم واحد كالتفسير أو الفقه أو الحديث ، بل وقيلت عن أناس لهم في علم واحد أقل ما عند الإمام الطبري من العلم فيه ! .

ثم يأتون علي إمام اجتمعت له الإمامة في الفقه والإمامة في التفسير والإمامة في الحديث والإمامة في اللغة والإمامة في التاريخ ولا يطلقون عليه لقب الإمام الأعظم .

ولهذا الإمام في قلبي مقام شديد الإعجاب ظاهر الهيبة راسخ المكانة ، ولكم مرت عليَّ أوقات الفتور والعزوف فما هو إلا أن أعيد النظر في سيرته والنظر في آثاره فتعود الرياح إلي بحر السفن فتجري كما كانت .

ولست أعني بهذا أنه لم يخطئ في شئ مطلقا ، بل له أخطاء معدودة تعد علي الأصابع وخاصة في بعض أمور القراءات ، لكن العبرة بالعموم والمعهود وليس بالنادر والمعدود ، ومن يخطئ في مسألة واحدة من كل ألف مسألة فهذه كأن لم يخطئ أصلا .

_ صنف عدد من الأئمة كتبا في التفسير لكن أشهرها وأحسنها وأعظمها خمسة وهي :

_1_ تفسير الطبري

_2_ تفسير ابن أبي حاتم

_3_ تفسير مقاتل بن سليمان

_4_ تفسير عبد الرزاق الصنعاني

_5_ تفسير أبي إسحاق الثعلبي

_ وتفسير الطبري هو أعظم كتب التفسير بلا نزاع ولا خلاف ، وفيه من كل ألوان العلم ، فهو ملآن بالتفسير والحديث والآثار والفقه واللغة والأشعار والنحو والصرف وغير ذلك ، وفيه نحو خمسة وثلاثين ألف (35,000) حديث وأثر .

_ وبعد أن انتهيت من تقريب (سنن الترمذي) و(سنن ابن ماجة) و(سنن الدارمي) و(صحيح ابن حبان) و(الأدب المفرد للبخاري) و(سنن النسائي) و(منتقي ابن الجارود)

و(صحيح مسلم) و(صحيح البخاري) و(المستدرك علي الصحيحين للحاكم) و(سنن أبي داود) و(الجامع الصغير للسيوطي) و(إصلاح السلسلة الضعيفة للألباني) و(فضائل سيدة النساء لابن شاهين)

و(فضائل سورة الإخلاص للخلال) و(البدع لابن وضاح) و(السنة لعبد الله بن أحمد) و(تفسير عبد الرزاق الصنعاني) و(التوحيد لابن خزيمة) و(الصفات للدارقطني)

و(السنة لابن أبي عاصم) و(أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني) و(الأربعون حديثا للآجري) و(المنتخب من كتاب أزواج النبي للزبير بن بكار) و(صحيفة همام بن منبه) و(نسخة طالوت بن عباد)

و(جزء رفع اليدين في الصلاة للبخاري) و(البعث لابن أبي داود) و(أحكام العيدين للفريابي) و(الرد علي الجهمية للدارمي) و(الذرية الطاهرة للدولابي) و(الأوائل لأبي عروبة) و(حياة الأنبياء في قبورهم للبيهقي)

و(الحوض والكوثر لبقي بن مخلد) و(العلم لزهير بن حرب) و(فضائل الرمي وتعليمه للطبراني) و(القناعة لابن السني) و(النزول للدارقطني) و(إكرام الضيف لإبراهيم الحربي)

و(الزهد لأسد بن موسي) و(الجزء الأول من مسند أحمد) و(الأباطيل والصحاح للجورقاني) و(الأحاديث التي رواها ابن حبان في الثقات) و(الجزء الأول من تفسير ابن أبي حاتم)

_ آثرت أن أتبع ذلك بكتاب في تقريب (تفسير الطبري) بحذف الأسانيد وبيان درجة الأحاديث النبوية الواردة فيه من الصحة والضعف .

ويحوي تفسير الطبري نحو ألف وخمس مائة (1500) حديث نبوي ، ونحو خمسة وثلاثين ألف (35,000) أثر عن بعض الصحابة والتابعين والأئمة .

أما الأحاديث النبوية فبعد كل حديث أذكر درجته من الصحة والضعف . أما الآثار فلست أحكم عليها ولا أذكر درجتها ، فليس في أثر بمفرده حجة ، فيذهب الوقت الكثير في تصحيح ما إن ثبت لما كان بذاته أو بمفرده حجة ، وإنما يمكن الاحتجاج بمجموع الآثار ، وليس هذا موضع بسط ذلك .

ومع ذلك فإن الآثار التي رواها الطبري في كتابه التفسير أكثرها يدور بين الصحيح والحسن ، وذلك نحو خمسة وتسعين بالمائة (95 %) علي الأقل من آثار الكتاب ، وفيه بعض الضعيف الذي يجوز روايته والاستئناس به في باب التفسير .

ولكبر حجم الكتاب آثرت أن أعمل عليه وأخرجه تباعا جزءا تلو جزء ، ولست أعلم كم يكون عدد الأحاديث والآثار في كل جزء علي نحو التقريب ، وذلك لأن بعض الآيات يذكر فيها الإمام الطبري كثيرا من الأحاديث والآثار وبعضها يكثر فيها من الشرح اللغوي ومسائل النحو .

وفي هذا الجزء نحو ثمان مائة (800) حديث وأثر . منها نحو اثنين وثمانين (82) حديثا نبويا . منها ثمانية وخمسون (58) حديثا صحيحا وتسعة عشر (19) حديثا حسنا وحديثان ضعيفان وثلاثة أحاديث ضعيفة جدا .

_ وكعادتي في كتبي كذلك أقسّم الفقرات الطويلة إلي فقرات صغيرة لتسهيل القراءة ، إذ تجد أكثر الناس إلا ما ندر يكتبون الفقرات الطوال قطعة واحدة ، وإن كانت مائة سطر فتجدها هكذا قطعة واحدة وهذا عسير في القراءة .

لكني أقسّم الفقرات الطويلة إلي فقرات صغيرة ، كل فقرة ثلاثة أو أربعة أسطر أو نحو ذلك بحسب كل فقرة وما فيها من معني وعلاقة بما قبلها وبما بعدها .

_ والتعامل مع تفسير الطبري لابد أن يكون علي نوعين .

النوع الأول من يريد النظر فيه من ناحية اللغة والنحو والأشعار وما يتعلق بذلك ، فهذا لابد أن يكون قارئه متوسطا في العربية علي الأقل ، وإن كان القارئ عاميا أو مبتدئا في علوم اللغة فسيكون عسيرا عليه جدا ، بل وإن المتوسط نفسه لن يجده سهلا وسيقف أمام أمور ليست بالقليلة فيه قد لا يفهمها من الأصل .

والنوع الثاني من يريد النظر فيما فيه من أحاديث وآثار فهذا ليس بالعسير وأكثر أقوال الصحابة والتابعين والأئمة في التفسير ليست عسيرة في فهمها .

وللإمام الطبري في تفسيره أسلوب لغوي بديع ، يستسيغه كل أديب وينبهر به كل لغوي أريب ، ويستصعبه كل من عن العلم بعيد ولعلوم اللغة وتعلمها غير مريد .

__ تنبيه علي بعض الأسانيد التي زعم بعضهم أنها ضعيفة ومتروكة :

_1_ بعض آثار التفسير عن ابن عباس يرويها علي بن أبي طلحة الهاشمي والضحاك بن مزاحم الهلالي ، وقيل كلاهما صدوق حسن الحديث ، أقول بل كلاهما يرقي للثقة مطلقا لكن ليس هذا وجه الإشكال هنا ،

وإنما تكلم بعض الأئمة في روايتهما عن ابن عباس ، ودعنا نسلم لهم بهذا فقد أخذا التفسير عن ثقات أصحاب ابن عباس كسعيد بن جبير خاصة ، فالتفسير من طريقهما صحيح إلي ابن عباس علي كل حال .

_2_ بعض آثار التفسير عن ابن عباس يرويها محمد بن سعد عن أبيه سعد عن الحسين بن الحسن عن الحسن بن عطية عن عطية العوفي عن ابن عباس .

وهذا إسناد اشتهر عند كثيرين أنه ضعيف بل ومسلسل بالضعفاء وليس كذلك ، فكل رجاله صدوقون وإنما لهم بضعة أسانيد أخطؤوا فيها ، وهذا في الحديث النبوي فكيف في آثار التفسير التي لا تتطلب ما يتطلبه الحديث النبوي . والآثار بهذا الإسناد حسنة إلي ابن عباس .

_3_ بعض آثار التفسير عن ابن عباس يرويها محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد الأنصاري عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس . أي بعضها عن عكرمة عن ابن عباس وبعضها عن ابن جبير عنه .

وتكلم بعضهم في هذا الإسناد لضعف محمد الأنصاري بل وزعم بعضهم أنه رجل مجهول ! .

أقول الرجل كان معروفا مشهورا وكان مولي زيد بن ثابت ، وروي عنه عدد من الأئمة منهم ابن إسحاق وسلمة بن الفضل والعوام بن حوشب وموسي بن عبيدة وغيرهم ، وذكره ابن حبان في الثقات ، ولم يجرحه أحد من الأئمة الأوائل ، فالرجل صدوق .

وإنما لم يشتهر لأنه ليس كبير رواية للحديث النبوي وإنما اشتهر برواية بعض آثار التفسير عن ابن عباس وكذلك بعض أمور التاريخ ، والآثار الواردة من طريقه إلي ابن عباس حسنة .

_4_ بعض آثار التفسير عن الضحاك بن مزاحم يرويها جويبر بن سعيد البلخي ، واشتهر عند كثيرين أن هذا إسناد ضعيف جدا لأن جويبر متروك ! ، أقول بل جويبر ضعيف فقط وكل ما فيه شئ من سوء الحفظ فقط ،

وعلي تضعيفه أكثر الأئمة وإنما تركه النسائي والدارقطني وهما من المتعنتين في الجرح وممن يضعفون الراوي بالغلطة والغلطتين ، بل وكثيرا ما يكون الخطأ منهما ويكون الراوي مصيبا فيما روي ، وجويبر ضعيف فقط ،

لكن ضعفه بحد ذاته إنما أتي من أنه اشتغل بالتفسير حتي ساء حفظه لما كان معه من أسانيد لبعض الأحاديث النبوية ، وعلي كل فالآثار المروية عن الضحاك من طريقه مقبولة مجملا وأقصي أمرها أن يكون فيها بعض الضعف .

_5_ بعض آثار التفسير عن سعيد بن جبير يرويها عطاء بن دينار ، وكلاهما ثقة متفق علي ثقته لكن تكلم بعض الأئمة في سماعه منه التفسير وقالوا هي صحيفة .

أقول إذن هذا بحد ذاته دليل علي صحة التفسير الذي نقله عن سعيد ، والصحف والرسائل حجة عند أكثر الأئمة بل عند جميعهم مجملا ، وقد تواتر عن النبي أنه أرسل الرسائل إلي القبائل والملوك وفيها أمور من أصول العقائد والأحكام ، فلو لم تكن تلك الرسالة حجة بذاتها لما كان في إرسالها فائدة أصلا . وعلي كل فالتفسير الذي من طريق عطاء عن سعيد صحيح .

وانظر كتاب رقم (262) (الكامل في أحاديث كتابة الصحابة لأقوال النبي وأوامره ونواهيه في حياته وأمر النبي لهم بذلك / 300 حديث)

--

__ تنبيه علي مسألة التفسير بالمثال :

من عادة المفسرين أنهم في الألفاظ الواسعة يذكرون مثالا أو أمثلة مما يدخل في اللفظ ولا يقولون أن هذا هو المعني الوحيد الداخل فيه .

فمثلا عند قوله تعالي (الصراط المستقيم) قال بعض المفسرين أن المراد الإسلام ، وقال آخرون المراد القرآن ، وقال آخرون المراد السنة النبوية ، وقال آخرون المراد أصحاب النبي ، وقيل بغير ذلك .

فليس من قال أن الصراط المستقيم هو الإسلام ينفي أو يخالف من قال أنه القرآن ، ومن قال أنه السنة ليس يخالف أو ينفي أنه القرآن ، وقِس علي ذلك .

فعند تفسير مثل هذه الألفاظ يستعملون أحد الأمثلة ، ولا يقولون أصلا أن هذه هو المثال الوحيد للآية . وفي هذا مئات الأمثلة . فلابد من التنبه لذلك إذ الجهل بذلك أفضي إلي ظن بعضهم أن الأئمة مختلفون في تفسير بعض الآيات اختلاف تضاد وليس كذلك .

__ الإسرائيليات :

روي أحمد في الزهد (87) عن جابر بن عبد الله عن النبي قال حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فإنه كانت فيهم الأعاجيب . (صحيح)

وقول النبي حدثوا عن بني إسرائيل ثابت عنه ورواه عدد من الصحابة وليس هذا موضع بسط تخريجه وأسانيده .

لكن المراد ها هنا أن رواية أخبار الأمم السابقة وأخبار اليهود والنصاري وغيرهم من أصحاب الشرائع السابقة المنسوخة بالإسلام أمر متفق علي جوازه في الجملة .

وفعله كثير من أئمة التفسير ونقلوا عددا من الإسرائيليات ضمن تفسيرهم ، حتي ظهر بعض الحدثاء كالعادة حين يظنون أنهم أهدي من الصحابة وأعلم بالتفسير من الأئمة وأعرف بالإسلام وأحكامه من جميع الصحابة والتابعين والأئمة فراحوا يذمون الإسرائيليات بجميعها ويذمون كل من يرويها ويستشهد بها ! .

والإسرائيليات علي ثلاثة أنواع .

_ النوع الأول : ما يُعرَف صدقه قطعا بأن يذكره النبي نفسه كأن يقول كان في بني إسرائيل كذا أو كان في الأمم السابقة كذا . وهذا داخل في السنة النبوية ولا يطلق عليه إسرائيليات .

_ النوع الثاني : ما يُعلم كذبه أو بطلانه قطعا بأن يأتي في كتاب الله أو في سنة رسول الله ما يبين ذلك ويخبر بضد ما يرد في خبر معين من الإسرائيليات .

_ النوع الثالث : ما سوي النوعين السابقين مما ليس يُعلَم صدقه وثبوته ولا يُعلم كذبه وبطلانه ، فهذا يجوز روايته وتناقله علي سبيل المعرفة والاستئناس ، وليس علي سبيل الاعتماد والاحتجاج ، ولابد من التنبه لذلك .

__ أشهر المفسرين المُكثِرين من الصحابة والتابعين والأئمة :

_1_ ابن عباس / وهو الصحابي المشهور حَبرُ الأمة وترجمان القرآن ، وثبت عن النبي أنه دعا له فقال اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل .

_2_ ابن مسعود / وهو الصحابي المشهور الذي ثبت عنه أنه قال ما نزلت سورة إلا وأنا أعلم أين نزلت ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه .

_3_ عكرمة القرشي مولي ابن عباس / وهو ثقة في الرواية ومن أئمة التفسير .

_4_ قتادة بن دعامة / وهو ثقة في الرواية ومن أئمة التفسير .

_5_ مجاهد بن جبر / وهو ثقة في الرواية ومن أئمة التفسير .

_6_ الحسن البصري / وهو ثقة في الرواية ومن أئمة التفسير .

_7_ مقاتل بن حيان / وقيل هو صدوق حسن الحديث في باب الرواية ، أقول بل يرقي للثقة مطلقا وعلي ذلك أكثر الأئمة ، وهو إمام في التفسير بلا خلاف .

_8_ السدي الكبير / وقيل هو صدوق حسن الحديث في باب الرواية ، أقول بل يرقي للثقة مطلقا وعلي ذلك أكثر الأئمة ، وهو إمام في التفسير بلا خلاف .

_9_ عبد الرحمن بن زيد / وفيه ضعف في باب الرواية لسوء حفظه وإن كان أكثر حديثه قد توبع عليه ولم يتفرد به ، لكنه إمام في التفسير بلا خلاف .

_10_ الضحاك بن مزاحم / وهو ثقة في الرواية وقد تعنت فيه وأنزله عن مقامه من زعم أنه صدوق حسن الحديث فقط ، وهو إمام في التفسير بلا خلاف .

_11_ سعيد بن جبير / وهو ثقة في الرواية ومن أئمة التفسير .

_12_ يحيي بن سلام / وهو ثقة في الرواية ومن أئمة التفسير .

_13_ الربيع بن أنس / وقيل صدوق حسن الحديث في باب الرواية ، أقول بل يرقي للثقة مطلقا ، وهو من أئمة التفسير بلا خلاف .

_14_ عطاء بن أبي رباح / وهو ثقة في الرواية ومن أئمة التفسير .

_15_ أبو العالية الرياحي / وهو ثقة في الرواية ومن أئمة التفسير .

_16_ محمد بن إسحاق / وهو ثقة في الرواية ومن أئمة التفسير . وقد أفردت الكلام عن توثيقه في جزء منفرد وهو كتاب رقم (472) (الكامل في إثبات أن محمد بن إسحاق ثقة مطلقا وبيان شدة تعنت من زعم أنه ينزل عن درجة الثقة وسبب كلام الإمام مالك فيه وبيان عدم تفرده بشئ مما انتُقِد عليه)

_17_ محمد بن السائب / وهو ضعيف في باب الرواية ، وقيل هو متروك لكن الصحيح أن الرجل لا ينزل إلي تلك الدرجة وإنما ساء حفظه لانشغاله عن الحديث إلي التاريخ والتفسير وغير ذلك ، وعلي كل فهو إمام من أئمة التفسير .

لكن الإمام الطبري لم يرو شيئا عنه في تفسيره ، وكان لا يري الرواية عنه ، وذكر بعض أمور التفسير المعروفة عن محمد بن السائب أو التي كان يقول بها ثم يتكلم في تضعيفها دون أن يذكر تصريحا أنها من تفسير محمد بن السائب .

_18_ مقاتل بن سليمان / وهو ضعيف في باب الرواية ولم يصب من نزل به إلي متروك وإنما كان سئ الحفظ فقط ، وعلي كل فهو إمام من أئمة التفسير . لكن الإمام الطبري لم يرو في تفسيره بالكلية شيئا عن مقاتل بن سليمان .

_19_ محمد بن كعب القرظي / وهو ثقة في الرواية ومن أئمة التفسير .
_20_ وهب بن منبه / وهو ثقة في الرواية ومن أئمة التفسير لكنه كان كثير الرواية للإسرائيليات .

__ تنبيه علي أهمية الاختصار واغترار البعض بكثرة الكلام :

روي ابن حبان في صحيحه (5796) عن أبي هريرة عن النبي قال البيان من الله والعيُّ من الشيطان وليس البيان كثرة الكلام ولكن البيان الفصل في الحق ، وليس العيُّ قلة الكلام ولكن من سفه الحق . (صحيح لغيره)

وفي هذا المعني عدد من الأحاديث وانظر في ذلك كتاب رقم (331) (الكامل في أحاديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت وما ورد في الصمت وحفظ اللسان من أمر وفضل ووعد وفي الثرثرة وكثرة الكلام من نهي وذم ووعيد / 380 حديث)

فكان الأئمة الأوائل كلامهم قليل وعلمهم كثير ، وللأئمة مؤلفات وأجزاء خرجت في بضع ورقات فقط وما استحي أحدهم من ذلك ولا رأي في ذلك شيئا من عيب .

فلا يطيلون في موضع الاختصار ولا يختصرون في موضع الإطالة ، وكذلك كانوا في باب التفسير ، وتجد لبعض الأئمة تفسيرا لبعض الآيات في كلمات معدودة يذكرها أحدهم في المعني الذي يريده دون إطالة وتكثير كلام .

حتي أتي بعض الناس في القرون المتأخرة بعدهم فأكثروا الكلام ، وصاروا يظنون أن ذلك دليلا علي العلم وإشارة إلي العزم ، وإن نقص كلام أحدهم فقد خفت عنه النجم .

وليس الأمر كذلك ، وطريقة الأئمة الأوائل أصح . وإني فيما سبق لي من أجزاء في بعض المسائل تجد بعضها في عشر ورقات وتجد أخري في ألف ورقة وأخري في آلاف ، وكل ذلك لا مؤثر له عندي ، فإني إن بحثت مسألة فخرجت خلاصتها في ورقة واحدة فلن أحشوها بزيادة كلام ولتخرج في ورقة واحدة وإن أكثر آخرون الكلام .

وعلي المرء أن يكون منتبها لتغير الزمان مدركا لانشغال الأذهان عارفا بقلة الاهتمام والإمعان ، فما يمكن أن يخرج في ورقة لا يخرجه في ورقتين ، وما يخرج في عشر ورقات فلا يخرجه في عشرين ، تقريبا لمسائل العلوم وتسهيلا لتحصيل الفهوم .

وإني إن أردت التعسير في الكلام لما كان لمدعشر عندي زمام ، ولأطلقت من الغريب الكلمات وزدت من المزيد العبارات ، إلا أن ذلك لا ينبغي ولا له فائدة يجنيها المجتني ، وبالله التوفيق .

__ وبهذا الكتاب أكون انتيهت من تقريب (سنن الترمذي) و(سنن ابن ماجة) و(سنن الدارمي) و(صحيح ابن حبان) و(الأدب المفرد للبخاري) و(سنن النسائي) و(منتقي ابن الجارود)

و(صحيح مسلم) و(صحيح البخاري) و(المستدرك علي الصحيحين للحاكم) و(سنن أبي داود) و(الجامع الصغير للسيوطي) و(إصلاح السلسلة الضعيفة للألباني)

و(فضائل سيدة النساء لابن شاهين) و(فضائل سورة الإخلاص للخلال) و(البدع لابن وضاح) و(السنة لعبد الله بن أحمد) و(تفسير عبد الرزاق الصنعاني) و(التوحيد لابن خزيمة)

و(الصفات للدارقطني) و(السنة لابن أبي عاصم) و(أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني) و(الأربعون حديثا للآجري) و(المنتخب من كتاب أزواج النبي للزبير بن بكار) و(صحيفة همام بن منبه) و(نسخة طالوت بن عباد)

و(جزء رفع اليدين في الصلاة للبخاري) و(البعث لابن أبي داود) و(أحكام العيدين للفريابي) و(الرد علي الجهمية للدارمي) و(الذرية الطاهرة للدولابي) و(الأوائل لأبي عروبة)

و(حياة الأنبياء في قبورهم للبيهقي) و(الحوض والكوثر لبقي بن مخلد وتتمته لابن بشكوال) و(العلم لزهير بن حرب) و(فضائل الرمي وتعليمه للطبراني) و(القناعة لابن السني) و(النزول للدارقطني) و(إكرام الضيف لإبراهيم الحربي)

و(الزهد لأسد بن موسي) و(الجزء الأول ثلاثة آلاف حديث من مسند أحمد) و(الأباطيل والصحاح للجورقاني) و(الأحاديث التي رواها ابن حبان في الثقات) و(الجزء الأول من تفسير ابن أبي حاتم) و(الجزء الأول من تفسير الطبري)

_ أما سنن ابن ماجة ففي كتاب رقم (102) (الكامل في تقريب (سنن ابن ماجة) بحذف الأسانيد مع بيان الحكم علي كل حديث وبيان عدم وجود حديث متروك أو مكذوب فيه)

_ أما سنن الترمذي ففي كتاب رقم (104) (الكامل في تقريب (سنن الترمذي) بحذف الأسانيد مع بيان الحكم علي كل حديث والإبقاء علي ما فيه من الأقوال الفقهية وبيان عدم وجود حديث متروك أو مكذوب فيه)

_ أما سنن الدارمي ففي كتاب رقم (156) (الكامل في تقريب (سنن الدارمي) بحذف الأسانيد مع بيان الحكم علي كل حديث وبيان عدم وجود حديث متروك أو مكذوب فيه)

_ أما صحيح ابن حبان ففي كتاب رقم (164) (الكامل في تقريب (صحيح ابن حبان) بحذف الأسانيد مع بيان الحكم علي كل حديث وبيان عدم وجود حديث ضعيف فيه ونصرة الإمام ابن حبان علي تعنت مخالفيه)

_ أما الأدب المفرد للبخاري ففي كتاب رقم (165) (الكامل في تقريب (الأدب المفرد للبخاري) بحذف الأسانيد مع بيان الحكم علي كل حديث وبيان أن ليس فيه إلا ستة أحاديث ضعيفة فقط وبيان جواز العمل بالضعيف والضعيف جدا)

_ أما الجامع الصغير للسيوطي ففي كتاب رقم (169) (الكامل في تقريب (الجامع الصغير وزيادته) للسيوطي ببيان الحكم علي كل حديث وإصلاح ما أفسده المتعنتون في الحكم علي أحاديثه ورفع نسبة الصحيح فيه من (55 %) إلي (90 %) مع تشكيل جميع ما في الكتاب من أحاديث / 14500 حديث)

_ أما منتقي ابن الجارود ففي كتاب رقم (287) (الكامل في تقريب (منتقي ابن الجارود) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان عدم وجود حديث ضعيف فيه وجواز تسميته ب (صحيح ابن الجارود))

_ أما سنن النسائي ففي كتاب رقم (289) (الكامل في تقريب (سنن النسائي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان عدم وجود حديث ضعيف فيه وصحة قول الأئمة الذين أطلقوا عليه (صحيح النسائي))

_ أما السلسلة الضعيفة للألباني ففي كتاب رقم (290) (الكامل في إصلاح (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني) وتصحيح ما أخطأ وتعنت فيه الألباني وإنقاص عدد أحاديثها من (7000) إلي (2000) حديث فقط ورفع خمسة آلاف (5000) حديث منها إلي الصحيح والحسن)

_ أما صحيح مسلم ففي كتاب رقم (360) (الكامل في تقريب (صحيح مسلم) بحذف الأسانيد والإبقاء علي ما فيه من روايات ومتون وألفاظ / نسخة مطابقة لصحيح مسلم محذوفة الرواة والأسانيد / مع بيان العصمة العملية لصحيح مسلم من الضعف والخطأ)

_ أما فضائل سيدة النساء وسورة الإخلاص ففي كتاب رقم (364) (الكامل في تقريب كتاب (فضائل سيدة النساء بعد مريم فاطمة بنت رسول الله) لابن شاهين وكتاب (فضائل سورة الإخلاص) للخلال بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث)

_ أما البدع لابن وضاح ففي كتاب رقم (365) (الكامل في تقريب كتاب (البدع لابن وضاح) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 290 حديث وأثر)

_ أما السنة لعبد الله بن أحمد ففي كتاب رقم (369) (الكامل في تقريب كتاب (السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 1500 حديث وأثر)

_ أما المستدرك للحاكم ففي كتاب رقم (387) (الكامل في تقريب (المستدرك علي الصحيحين) لابن البيع الحاكم بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان أن نسبة الصحيح فيه (99 %) من أحاديثه / 8800 حديث وأثر)

_ أما تفسير عبد الرزاق ففي كتاب رقم (398) (الكامل في تقريب (تفسير عبد الرزاق الصنعاني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 3700 حديث وأثر)

_ أما التوحيد لابن خزيمة ففي كتاب رقم (412) (الكامل في تقريب كتاب (التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 450 حديث وأثر)

_ أما الصفات للدارقطني ففي كتاب رقم (413) (الكامل في تقريب كتاب (الصفات للدارقطني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 50 حديث وأثر)

_ أما السنة لابن أبي عاصم ففي كتاب رقم (459) (الكامل في تقريب كتاب (السنة لابن أبي عاصم) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 1500 حديث)

_ أما صحيح البخاري ففي كتاب رقم (460) (الكامل في تقريب (صحيح البخاري) بحذف الأسانيد والإبقاء علي ما فيه من روايات ومتون وأحكام / نسخة مطابقة لصحيح البخاري محذوفة الرواة والأسانيد / مع بيان العصمة العملية لصحيح البخاري من الضعف والخطأ)

_ أما أخلاق النبي لأبي الشيخ ففي كتاب رقم (468) (الكامل في تقريب كتاب (أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 850 حديث / وبيان كذب من زعم أن النبي صافح امرأة وقاس علي ذلك)

_ أما سنن أبي داود ففي كتاب رقم (482) (الكامل في تقريب (سنن أبي داود) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 5200 حديث وأثر / وبيان أن نسبة الأحاديث الصحيحة في السنن الخمسة تسعة وتسعون ونصف بالمائة (99.5 %))

_ أما الأربعون للآجري ففي كتاب رقم (483) (الكامل في تقريب كتاب (الأربعون حديثا للآجري) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان صحة جميع أحاديثه / 45 حديث وأثر)

_ أما المنتخب من كتاب أزواج النبي للزبير ففي كتاب رقم (484) (الكامل في تقريب كتاب (المنتخب من كتاب أزواج النبي للزبير بن بكار) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان

اتفاق الأئمة أن مارية أم إبراهيم كانت مسلمة وبيان كذب وفحش من زعم خلاف ذلك / 110 حديث وأثر)

_ أما صحيفة همام ونسخة طالوت ففي كتاب رقم (485) (الكامل في تقريب (صحيفة همام بن منبه) و(نسخة طالوت بن عباد) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 240 حديث وأثر)

_ أما جزء رفع اليدين للبخاري ففي كتاب رقم (486) (الكامل في تقريب (جزء رفع اليدين في الصلاة للبخاري) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان صحة جميع أحاديثه / 115 حديث وأثر)

_ أما البعث لابن أبي داود ففي كتاب رقم (487) (الكامل في تقريب كتاب (البعث لابن أبي داود) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 80 حديث وأثر)

_ أما أحكام العيدين للفريابي ففي كتاب رقم (488) (الكامل في تقريب كتاب (أحكام العيدين للفريابي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 180 حديث وأثر)

_ أما الرد علي الجهمية للدارمي ففي كتاب رقم (489) (الكامل في تقريب كتاب (الرد علي الجهمية للدارمي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان صحة جميع أحاديثه / 200 حديث وأثر)

_ أما الذرية الطاهرة للدولابي ففي كتاب رقم (490) (الكامل في تقريب كتاب (الذرية الطاهرة للدولابي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 230 حديث وأثر)

_ أما الأوائل لأبي عروبة ففي كتاب رقم (491) (الكامل في تقريب كتاب (الأوائل لأبي عروبة) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 170 حديث وأثر)

_ أما حياة الأنبياء في قبورهم للبيهقي ففي كتاب رقم (492) (الكامل في تقريب كتاب (حياة الأنبياء في قبورهم للبيهقي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 20 حديث وأثر)

_ أما الحوض والكوثر لابن مخلد ففي كتاب رقم (493) (الكامل في تقريب كتاب (الحوض والكوثر لبقي بن مخلد) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 60 حديث / وبيان بلادة وخبث المنافقين الذين ينكرون نزول القرآن والسنن علي أكثر من حرف)

_ أما كتاب العلم لزهير ففي كتاب (494) (الكامل في تقريب كتاب (العلم لزهير بن حرب) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 160 حديث وأثر)

_ أما فضائل الرمي للطبراني ففي كتاب رقم (495) (الكامل في تقريب كتاب (فضائل الرمي وتعليمه للطبراني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 60 حديث وأثر)

_ أما القناعة لابن السني ففي كتاب رقم (496) (الكامل في تقريب كتاب (القناعة لابن السني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 60 حديث وأثر)

_ أما النزول للدارقطني ففي كتاب رقم (497) (الكامل في تقريب كتاب (النزول للدارقطني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 60 حديث)

_ أما إكرام الضيف للحربي ففي كتاب رقم (498) (الكامل في تقريب كتاب (إكرام الضيف لإبراهيم الحربي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 130 حديث وأثر)

_ أما الزهد لأسد بن موسي ففي كتاب رقم (499) (الكامل في تقريب كتاب (الزهد لأسد بن موسي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 100 حديث وأثر)

_ أما الجزء الأول من مسند أحمد ففي كتاب رقم (502) (الكامل في تقريب (مسند أحمد بن حنبل) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / الجزء الأول / ثلاثة آلاف (3,000) حديث)

_ أما الأباطيل والصحاح للجورقاني ففي كتاب رقم (506) (الكامل في جمع الأحاديث التي رواها الجورقاني في (الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير) وتقريبها بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان أشهر الأئمة المتعنتين في جرح الرواة / 560 حديث و70 أثر)

_ أما أحاديث الثقات لابن حبان ففي كتاب رقم (507) (الكامل في جمع الأحاديث التي رواها (ابن حبان في الثقات) وتقريبها بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 370 حديث)

_ أما الجزء الأول من تفسير ابن أبي حاتم ففي كتاب رقم (513) (الكامل في تقريب (تفسير ابن أبي حاتم) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / الجزء الأول / أربعة آلاف (4,000) حديث وأثر)

(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)

(تفسير الإمام الطبري / الجزء الأول)

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه ثقتي وعليه اعتمادي ، ربِّ يسِّر .

الحمد لله الذي حجبت الألباب بدائع حكمه وخصمت العقول لطائف حججه وقطعت عذر الملحدين عجائب صنعه وهتف في أسماع العالمين ألسن أدلته شاهدة أنه الله الذي لا إله إلا هو الذي لا عدل له معادل ولا مثل له مماثل ،

ولا شريك له مُظاهِر ولا ولد له ولا والد ولم يكن له صاحبة ولا كفوا أحد ، وأنه الجبار الذي خضعت لجبروته الجبابرة والعزيز الذي ذلت لعزته الملوك الأعزة وخشعت لمهابة سطوته ذوو المهابة وأذعن له جميع الخلق بالطاعة طوعا وكرها كما قال الله (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) ،

فكل موجود إلى وحدانيته داع وكل محسوس إلى ربوبيته ، هاد بما وسمهم به من آثار الصنعة من نقص وزيادة وعجز وحاجة وتصرف في عاهات عارضة ومقارنة أحداث لازمة لتكون له الحجة البالغة ، ثم أردف ما شهدت به من ذلك أدلته وأكد ما استنارت في القلوب منه بهجته برسل ابتعثهم إلى من يشاء من عباده ،

دعاة إلى ما اتضحت لديهم صحته وثبتت في العقول حجته ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وليذكر أولو النهى والحلم ، فأمدهم بعونه وأبانهم من سائر خلقه بما دل به على صدقهم من الأدلة وأيدهم به من الحجج البالغة والآي المعجزة ، لئلا يقول القائل فيهم ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون ،

فجعلهم سفراء بينه وبين خلقه وأمناءه على وحيه واختصهم بفضله واصطفاهم برسالته ، ثم جعلهم فيما خصهم به من مواهبه ومن به عليهم من كراماته مراتب مختلفة ومنازل متفرقة ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات متفاضلات متباينات ،

فكرم بعضهم بالتكليم والنجوى ، وأيد بعضهم بروح القدس وخصه بإحياء الموتى وإبراء أولي العاهة والعمى ، وفضل نبينا محمدا من الدرجات بالعليا ومن المراتب بالعظمى ، فحباه من أقسام كرامته بالقسم الأفضل ، وخصه من درجات النبوة بالحظ الأجزل ومن الأتباع والأصحاب بالنصيب الأوفر وابتعثه بالدعوة التامة والرسالة العامة ،

وحاطه وحيدا وعصمه فريدا من كل جبار عاند وكل شيطان مارد حتى أظهر به الدين وأوضح به السبيل وأنهج به معالم الحق ومحق به منار الشرك وزهق به الباطل واضمحل به الضلال وخدع الشيطان وعبادة الأصنام والأوثان ، مؤيدا بدلالة على الأيام باقية وعلى الدهور والأزمان ثابتة وعلى ممر الشهور والسنين دائمة ،

يزداد ضياؤها على كرِّ الدهور إشراقا وعلى مرِّ الليالي والأيام ائتلاقا ، تخصيصا من الله له بها دون سائر رسله الذين قهرتهم الجبابرة واستذلتهم الأمم الفاجرة ، فعفت بعدهم منهم الآثار وأخملت

ذكرهم الليالي والأيام ودون من كان منهم مرسلا إلى أمة دون أمة وخاصة دون عامة وجماعة دون كافة ،

فالحمد لله الذي كرمنا بتصديقه وشرفنا باتباعه وجعلنا من أهل الإقرار والإيمان به وبما دعا إليه وجاء به صلى الله عليه وعلى آله وسلم أزكى صلواته وأفضل سلامه وأتم تحياته ، أما بعد ، فإن من جسيم ما خص الله به أمة نبينا محمد من الفضيلة وشرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة وحباهم به من الكرامة السنية ،

حفظه ما حفظ جل ذكره وتقدست أسماؤه عليهم من وحيه وتنزيله الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم دلالة وعلى ما خصه به من الكرامة علامة واضحة وحجة بالغة ، أبانه به من كل كاذب ومفتر وفصل به بينهم وبين كل جاحد وملحد وفرق به بينهم وبين كل كافر ومشرك ،

الذي لو اجتمع جميع من بين أقطارها من جنها وإنسها وصغيرها وكبيرها على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، فجعله لهم في دجى الظلم نورا ساطعا وفي سدف الشبه شهابا لامعا وفي مضلة المسالك دليلا هاديا وإلى سبل النجاة والحق حاديا ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ،

حرسه بعين منه لا تنام وحاطه بركنٍ منه لا يُضَام ، لا تهي على الأيام دعائمه ولا تبيد على طول الأزمان معالمه ، ولا يجور عن قصد المحجة تابعه ، ولا يضل عن سبل الهدى مصاحبه من اتبعه فاز وهدى ومن حاد عنه ضل وغوى ، فهو موئلهم الذي إليه عند الاختلاف يئلون ومعقلهم الذي إليه في النوازل يعتقلون ،

وحصنهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون وحكمة ربهم التي إليها يحتكمون وفصل قضائه بينهم الذي إليه ينتهون وعن الرضا به يصدرون وحبله الذي بالتمسك به من الهلكة يعتصمون ، اللهم فوفقنا لإصابة صواب القول في محكمه ومتشابهه وحلاله وحرامه وعامه وخاصه ومجمله ومفسره وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه ،

وتأويل آيه وتفسير مشكله وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه والثبات على التسليم لمتشابهه وأوزعنا الشكر على ما أنعمت به علينا من حفظه والعلم بحدوده إنك سميع الدعاء قريب الإجابة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا .

اعلموا عباد الله رحمكم الله أن أحق ما صرفت إلى علمه العناية وبلغت في معرفته الغاية ما كان لله في العلم به رضا وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى وأن أجمع ذلك لباغيه كتاب الله الذي لا ريب فيه وتنزيله الذي لا مرية فيه ، الفائز بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه ،

الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانيه ، منشئون إن شاء الله ذلك كتابا مستوعبا لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه جامعا ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيا ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه منه واختلافها فيما اختلفت فيه منه ،

ومبينو علل كل مذهب من مذاهبهم وموضحو الصحيح لدينا من ذلك بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه ، والله نسأل عونه وتوفيقه لما يقرب من محابه ويبعد من مساخطه ، وصلى الله على صفوته من خلقه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

وإن أول ما نبدأ به من القيل في ذلك الإبانة عن الأسباب التي البداية بها أولى وتقديمها قبل ما عداها أحرى وذلك البيان عما في آي القرآن من المعاني التي من قبلها يدخل اللبس على من لم يعان رياضة العلوم العربية ولم تستحكم معرفته بتصاريف وجوه منطق الألسن السليقية الطبيعية .

_ القول في البيان عن اتفاق معاني آي القرآن ومعاني منطق من نزل بلسانه من وجه البيان والدلالة على أن ذلك من الله جل وعز ، هو الحكمة البالغة مع الإبانة عن فضل المعنى الذي به باين القرآن سائر الكلام .

إن من عظيم نعم الله على عباده وجسيم مننه على خلقه ما منحهم من فضل البيان الذي به عن ضمائر صدورهم يبينون وبه على عزائم نفوسهم يدلون ، فذلل به منهم الألسن وسهل به عليهم المستصعب فبه إياه يوحدون وإياه به يسبحون ويقدسون وإلى حاجاتهم به يتوصلون ،

وبه بينهم يتحاورون فيتعارفون ويتعاملون ، ثم جعلهم جل ذكره فيما منحهم من ذلك طبقات ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، فبين خطيب مسهب وذلق اللسان مهذب ومفحم عن نفسه لا يبين وعي عن ضمير قلبه لا يُعبِّر ،

وجعل أعلاهم فيه رتبة وأرفعهم فيه درجة أبلغهم فيما أراد به بلاغا وأبينهم عن نفسه به بيانا ثم عرفهم في تنزيله ومحكم آي كتابه فضل ما حباهم به من البيان على من فضلهم به عليه من ذي البكم والمستعجم اللسان ،

فقال تعالى ذكره (أوَمَن يُنَشّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) ، فقد وضح إذن لذوي الأفهام وتبين لأولي الألباب أن فضل أهل البيان على أهل البكم والمستعجم اللسان بفضل اقتدار هذا من نفسه على إبانة ما أراد إبانته عن نفسه ببيانه واستعجام لسان هذا عما حاول إبانته بلسانه ،

فإذا كان ذلك كذلك وكان المعنى الذي به باين الفاضل المفضول في ذلك فصار به فاضلا والآخر مفضولا هو ما وصفنا من فضل إبانة ذي البيان عما قصر عنه المستعجم اللسان وكان ذلك مختلف الأقدار متفاوت الغايات والنهايات ، فلا شك أن أعلى منازل البيان درجة وأسنى مراتبه مرتبة أبلغه في حاجة المبين عن نفسه وأبينه عن مراد قائله وأقربه من فهم سامعه ،

فإن تجاوز ذلك المقدار وارتفع عن وسع الأنام وعجز عن أن يأتي بمثله جميع العباد كان حجة وعلما لرسل الواحد القهار كما كان حجة وعلما لها إحياء الموتى وإبراء الأبرص وذوي العمى بارتفاع ذلك عن مقادير أعلى منازل طب المتطببين وأرفع مراتب علاج المعالجين إلى ما يعجز عنه جميع العالمين ،

وكالذي كان لها حجة وعلما قطع مسافة شهرين في الليلة الواحدة بارتفاع ذلك عن وسع الأنام وتعذر مثله على جميع العباد ، وإن كانوا على قطع القليل من المسافة قادرين ولليسير منه فاعلين ، فإذا كان ما وصفنا من ذلك كالذي وصفنا فبين أن لا بيان أبين ولا حكمة أبلغ ولا منطق أعلى ولا كلام أشرف من بيان ومنطق ،

تحدى به امرؤ قوما في زمان هم فيه رؤساء صناعة الخطب والبلاغة وقيل الشعر والفصاحة والسجع والكهانة ، كل خطيب منهم وبليغ وشاعر منهم وفصيح وكل ذي سجع وكهانة فسفه

أحلامهم وقصر معقولهم وتبرأ من دينهم ودعا جميعهم إلى اتباعه والقبول منه والتصديق به والإقرار بأنه رسول إليهم من ربهم ،

وأخبرهم أن دلالته على صدق مقالته وحجته على حقيقة نبوته ما أتاهم به من البيان والحكمة والفرقان بلسان مثل ألسنتهم ومنطق موافقة معانيه معاني منطقهم ، ثم أنبأ جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثل بعضه عجزة ومن القدرة عليه نقصة فأقر جميعهم بالعجز وأذعنوا له بالتصديق وشهدوا على أنفسهم بالنقص إلا من تجاهل منهم وتعامى واستكبر وتعاشى ،

فحاول تكلف ما قد علم أنه عنه عاجز ورام ما قد تيقن أنه عليه غير قادر ، فأبدى من ضعف عقله ما كان مستورا ومن عي لسانه ما كان مصونا فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الأخرق والجاهل الأحمق فقال والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا فالخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما ونحو ذلك من الحماقات المشبهة دعواه الكاذبة ،

فإذا كان تفاضل مراتب البيان وتباين منازل درجات الكلام بما وصفنا قبل وكان الله وتقدست أسماؤه أحكم الحكماء وأحلم الحلماء كان معلوما أن أبين البيان بيانه وأفضل الكلام كلامه وأن قدر فضل بيانه جل ذكره على بيان جميع خلقه كفضله على جميع عباده ،

فإن كان ذلك كذلك وكان غير مبين منا عن نفسه من خاطب غيره بما لا يفهمه عنه المخاطب كان معلوما أنه غير جائز أن يخاطب جل ذكره أحدا من خلقه إلا بما يفهمه المخاطب ولا يرسل إلى أحد منهم رسولا برسالة إلا بلسان وبيان يفهمه المرسل إليه ،

لأن المخاطب والمرسل إليه إن لم يفهم ما خوطب به وأرسل به إليه فحاله قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة إليه وبعده سواء ، إذ لم يفده الخطاب والرسالة شيئا كان به قبل ذلك جاهلا ، والله جل ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطابا أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت إليه ، لأن ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث والله عن ذلك متعال ،

ولذلك قال جل ثناؤه في محكم تنزيله (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) وقال لنبيه محمد (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ، فغير جائز أن يكون به مهتديا من كان بما يهدى إليه جاهلا ، فقد تبين إذا بما عليه دللنا من الدلالة أن كل رسول لله جل ثناؤه أرسله إلى قوم فإنما أرسله بلسان من أرسله إليه ،

وكل كتاب أنزله على نبي ورسالة أرسلها إلى أمة فإنما أنزله له بلسان من أنزله أو أرسله إليه ، واتضح بما قلنا ووصفنا أن كتاب الله الذي أنزله إلى نبينا محمد بلسان محمد وإذا كان لسان محمد عربيا فبين أن القرآن عربي وبذلك أيضا نطق محكم تنزيل ربنا فقال جل ذكره (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) ،

وقال (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) ، وإذا كانت واضحة صحة ما قلنا بما عليه استشهدنا من الشواهد ودللنا عليه من الدلائل فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد لمعاني كلام العرب موافقة وظاهره لظاهر كلامها ملائما ،

وإن باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام ، والبيان بما قد تقدم وصفنا فإذا كان ذلك كذلك فبين إذ كان موجودا في كلام العرب الإيجاز والاختصار والاجتزاء بالإخفاء من الإظهار وبالقلة

من الإكثار في بعض الأحوال واستعمال الإطالة والإكثار والترداد والتكرار وإظهار المعاني بالأسماء دون الكناية عنها والإسرار في بعض الأوقات ،

والخبر عن الخاص في المراد بالعام الظاهر وعن العام في المراد بالخاص الظاهر وعن الكناية والمراد منه المصرح وعن الصفة والمراد الموصوف وعن الموصوف والمراد الصفة وتقديم ما هو في المعنى مؤخر وتأخير ما هو في المعنى مقدم ،

والاكتفاء ببعض من بعض وبما يظهر عما يحذف وإظهار ما حظه الحذف ، أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد من ذلك في كل ذلك له نظيرا وله مثلا وشبيها ونحن مبينو جميع ذلك في أماكنه إن شاء الله ذلك وأمد منه بعون وقوة .

_ القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم

إن سألنا سائل فقال إنك ذكرت أنه غير جائز أن يخاطب الله أحدا من خلقه إلا بما يفهمه وأن يرسل إليه رسالة إلا باللسان الذي يفقهه فما أنت قائل فيما حدثكم :

1_ عن أبي موسى (يؤتكم كفلين من رحمته) قال الكفلان ضعفان من الأجر بلسان الحبشة .

2_ عن ابن عباس (إن ناشئة الليل) قال بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا نشأ .

3_ عن أبي ميسرة (يا جبال أوِّبِي معه) قال سبِّحي بلسان الحبشة .

4_ عن ابن عباس أنه سئل عن قوله (فرت من قسورة) قال هو بالعربية الأسد وبالفارسية شار وبالنبطية أريا وبالحبشية قسورة .

5_ عن سعيد بن جبير قال قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا فأنزل الله (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) ، فأنزل الله بعد هذه الآية في القرآن بكل لسان فيه (حجارة من سجيل) قال فارسية أُعْرِبتْ سِنْكُ وكُلْ .

6_ عن أبي ميسرة قال في القرآن من كل لسان .

وفيما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول بذكرها الكتاب مما يدل على أن فيه من غير لسان العرب ، قيل له إن الذي قالوه من ذلك غير خارج من معنى ما قلنا من أجل أنهم لم يقولوا هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاما ولا كان ذاك لها منطقا قبل نزول القرآن ، ولا كانت بها العرب عارفة قبل مجيء الفرقان ، فيكون ذلك قولا لقولنا خلافا ،

وإنما قال بعضهم حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا ، ولم يستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد فكيف بجنسين منها ، كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة ، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس ،

وغير ذلك مما يتعب إحصاؤه ويمل تعداده كرهنا إطالة الكتاب بذكره مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى ، ولعل ذلك كذلك في سائر الألسن التي يجهل منطقها ولا يعرف كلامها ،

فلو أن قائلا قال فيما ذكرنا من الأشياء التي عددنا وأخبرنا اتفاقه في اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية وما أشبه ذلك مما سكتنا عن ذكره ،

ذلك كله فارسي لا عربي أو ذلك كله عربي لا فارسي أو قال بعضه عربي وبعضه فارسي ، أو قال كان مخرج أصله من عند العرب فوقع إلى العجم فنطقوا به ، أو قال كان مخرج أصله من عند الفرس فوقع إلى العرب فأعربته كان مستجهلا ، لأن العرب ليست بأولى أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العجم ولا العجم بأحق أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العرب ،

إذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجودا في الجنسين ، وإن كان ذلك موجودا على ما وصفنا في الجنسين فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك ، كان من عنده من الجنس الآخر ، والمدعي أن مخرج أصل ذلك إنما كان من أحد الجنسين إلى الآخر مدع أمرا لا يوصل إلى حقيقة صحته إلا بخبر يوجب العلم ويزيل الشك ويقطع العذر صحته ،

بل الصواب في ذلك عندنا أن يسمى عربيا أعجميا أو حبشيا عربيا ، إذ كانت الأمتان له مستعملتين في بيانها ومنطقها استعمال سائر منطقها وبيانها ، فليس غير ذلك من كلام كل أمة منهما بأولى أن يكون إليها منسوبا منه ، فكذلك سبيل كل كلمة واسم اتفقت ألفاظ أجناس أمم فيها ومعناها ووجد ذلك مستعملا في كل جنس منها استعمال سائر منطقهم ،

فسبيل إضافته إلى كل جنس منها سبيل ما وصفنا من الدرهم والدينار والدواة والقلم التي اتفقت ألسن الفرس والعرب فيها بالألفاظ الواحدة والمعنى الواحد في أنه مستحق إضافته إلى كل جنس من تلك الأجناس باجتماع وافتراق ،

وذلك هو معنى من روينا عنه القول في الأحرف التي مضت في صدر هذا الباب من نسبة بعضهم بعض ذلك إلي لسان الحبشة ونسبة بعضهم بعض ذلك إلى لسان الفرس ونسبة بعضهم بعض ذلك إلى لسان الروم ، لأن من نسب شيئا من ذلك إلى ما نسبه إليه لم ينف بنسبته إياه إلى ما نسبه إليه أن يكون عربيا ،

ولا من قال منهم هو عربي نفى ذلك أن يكون مستحقا النسبة إلى من هو من كلامه من سائر أجناس الأمم غيرها ، وإنما يكون الإثبات دليلا على النفي فيما لا يجوز اجتماعه من المعاني كقول القائل فلان قائم فيكون بذلك من قوله دالا على أنه غير قاعد ونحو ذلك مما يمتنع اجتماعه لتنافيهما ،

فأما ما جاز اجتماعه فهو خارج من المعنى ، وذلك كقول القائل فلان قائم مكلم فلانا فليس في تثبيت القيام له ما دل على نفي كلام آخر لجواز اجتماع ذلك في حال واحد من شخص واحد ، فقائل ذلك صادق إذا كان صاحبه على ما وصفه به ،

فكذلك ما قلنا في الأحرف التي ذكرنا وما أشبهها غير مستحيل أن يكون عربيا بعضها أعجميا وحبشيا بعضها عربيا إذ كان موجودا استعمال ذلك في كلتا الأمتين ، فناسب ما نسب من ذلك إلى إحدى الأمتين أو كلتيهما محق غير مبطل ، فإن ظن ذو غبا أن اجتماع ذلك في الكلام مستحيل كما هو مستحيل في أنساب بني آدم فقد ظن جهلا ،

وذلك أن أنساب بني آدم محصورة على أحد الطرفين دون الآخر لقول الله (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) ، وليس ذلك كذلك في المنطق والبيان لأن المنطق إنما هو منسوب إلى من كان

به معروفا استعماله ، فلو عرف استعمال بعض الكلام في أجناس من الأمم جنسين أو أكثر بلفظ واحد ومعنى واحد ،

كان ذلك منسوبا إلى كل جنس من تلك الأجناس ، لا يستحق جنس منها أن يكون به أولى من سائر الأجناس غيره ، كما لو أن أرضا بين سهل وجبل لها هواء السهل وهواء الجبل أو بين بر وبحر لها هواء البر وهواء البحر ، لم يمتنع ذو عقل صحيح أن يصفها بأنها برية بحرية ، إذ لم تكن نسبتها إلى إحدى صفتيها نافية حقها من النسبة إلى الأخرى ،

ولو أفرد لها مفرد إحدى صفتيها ولم يسلبها صفتها الأخرى كان صادقا محقا ، وكذلك القول في الأحرف التي تقدم ذكرنا لها في أول هذا الباب ، وهذا المعنى الذي قلناه في ذلك هو معنى قول من قال في القرآن من كل لسان عندنا بمعنى والله أعلم أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الأمم التي تنطق به ،

نظير ما وصفنا من القول فيما مضى ، وذلك أنه غير جائز أن يتوهم على ذي فطرة صحيحة مقر بكتاب الله ممن قرأ القرآن وعرف حدود الله أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي لا عربي وبعضه نبطي لا عربي وبعضه عربي لا فارسي وبعضه حبشي لا عربي بعد ما أخبر الله عنه أنه جعله قرآنا عربيا ،

لأن ذلك إن كان كذلك فليس قول القائل القرآن حبشي أو فارسي ولا نسبة من نسبه إلى بعض ألسن الأمم التي بعضه بلسانه دون العرب بأولى بالتطول من قول القائل هو عربي ولا قول القائل هو عربي بأولى بالصحة ،

والصواب من قول ناسبه إلى بعض الأجناس التي ذكرناها إذ كان الذي بلسان غير العرب من سائر ألسن أجناس الأمم فيه نظير الذي فيه من لسان العرب ، وإذ كان ذلك كذلك فبين إذا خطأ قول من زعم أن القائل من السلف في القرآن من كل لسان إنما عنى بقيله ذلك أن فيه من البيان ما ليس بعربي ولا جائزة نسبته إلى لسان العرب ،

ويقال لمن أبَى ما قلنا ممن زعم أن الأحرف التي قدمنا ذكرها في أول الباب وما أشبهها إنما هي كلام أجناس الأمم سوى العرب وقعت إلى العرب فعربته ، ما برهانك على صحة ما قلت في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له فقد علمت من خالفك في ذلك فقال فيه خلاف قولك ،

وما الفرق بينك وبين من عارضك في ذلك فقال هذه الأحرف وما أشبهها من الأحرف وغيرها أصلها عربي غير أنها وقعت إلى سائر أجناس الأمم غيرها فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بألسنتها من الوجه الذي يجب التسليم له ،

فلن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله ، فإن اعتل في ذلك بأقوال السلف التي قد ذكرنا بعضها وما أشبهها طولب مطالبتنا من تأول عليهم في ذلك تأويله بالذي قد تقدم في بياننا وقيل له ما أنكرت أن يكون من نسب شيئا من ذلك منهم إلى من نسبه من أجناس الأمم سوى العرب ،

إنما نسبه إلى إحدى نسبتيه التي هو لها مستحق من غير نفي منه عنه النسبة الأخرى ، ثم يقال له أرأيت من قال لأرض سهلية جبلية هي سهلية ولم ينكر أن تكون جبلية أو قال هي جبلية ولم يدفع أن تكون سهلية أناف عنها أن تكون لها لصفة الأخرى بقيله ذلك ؟

فإن قال نعم كابر عقله ، وإن قال لا قيل له فما أنكرت أن يكون قول من قال في سجيل هي فارسية وفي القسطاس هي رومية نظير ذلك ، وسئل الفرق بين ذلك فلن يقول في أحدهما قولا إلا ألزم في الآخر مثله .

_ القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب

قد دللنا على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه على أن الله أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم ، وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغتها ، فنقول الآن إذا كان ذلك صحيحا في الدلالة عليه بأي ألسن العرب أنزل ، أبألسن جميعها أم بألسن بعضها ،

إذ كانت العرب وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب فهم مختلفو الألسن بالبيان متباينو المنطق والكلام ، وإن كان ذلك كذلك وكان الله جل ذكره قد أخبر عباده أنه قد جعل القرآن عربيا وأنه أنزل بلسان عربي مبين ، ثم كان ظاهره محتملا خصوصا وعموما لم يكن لنا السبيل إلى العلم بما عنى الله من خصوصه وعمومه إلا ببيان من جعل إليه بيان القرآن وهو رسول الله ، فإذا كان ذلك كذلك وكانت الأخبار قد تظاهرت عنه بما حدثنا .

7_ عن أبي هريرة أن رسول الله قال أنزل القرآن على سبعة أحرف فالمِراء في القرآن كفر ثلاث مرات ، فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه . (صحيح)

8_ عن أبي هريرة قال قال رسول الله أنزل القرآن على سبعة أحرف ، عليم حكيم غفور رحيم . (صحيح)

9_ عن ابن مسعود قال قال رسول الله أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن ولكل حرفٍ حدٌّ ولكل حدٍّ مَطلَع . (صحيح)

10_ عن ابن مسعود قال اختلف رجلان في سورة فقال هذا أقرأني النبي وقال هذا أقرأني النبي فأتى النبي فأخبر بذلك ، قال فتغير وجهه وعنده رجل فقال اقرءوا كما علمتم ، فلا أدري أبشيء أمر أم بشيء ابتدعه من قبل نفسه ، فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم ، قال فقام كل رجل منا وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه . (صحيح)

11_ عن ابن مسعود قال تمارينا في سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية ، قال فانطلقنا إلى رسول الله فوجدنا علي بن أبي طالب يناجيه ، قال فقلنا إنا اختلفنا في القراءة ، قال فاحمر وجه رسول الله وقال إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم ، قال ثم أسر إلى عليٍّ شيئا فقال لنا عليٌّ إن رسول الله يأمركم أن تقرءوا كما علمتم . (صحيح)

12_ عن زيد بن أرقم قال كنا معه في المسجد فحدثنا ساعة ثم قال جاء رجل إلى رسول الله فقال أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد وأقرأنيها أبي بن كعب فاختلفت قراءتهم فبقراءة أيهم آخذ ؟ قال فسكت رسول الله ، قال وعليٌّ إلى جنبه فقال علي ليقرأ كل إنسان كما عَلِمَ ، كلٌّ حسن جميل . (حسن لغيره)

13_ عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ، فكدت أساوره في

الصلاة فتصبرت حتى سلم فلما سلم لببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟ قال أقرأنيها رسول الله ،

فقلت كذبت فوالله إن رسول الله لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان ، قال فقال رسول الله أرسله يا عمر اقرأ يا هشام ،

فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله هكذا أنزلت ، ثم قال رسول الله اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله فقال رسول الله هكذا أنزلت ، ثم قال رسول الله إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منها . (صحيح)

14_ عن أبي طلحة قال قرأ رجل عند عمر بن الخطاب فغير عليه فقال لقد قرأت على رسول الله فلم يغير عليَّ ، قال فاختصما عند النبي فقال يا رسول الله ألم تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال بلى ، قال فوقع في صدر عمر شيء فعرف النبي ذلك في وجهه فضرب صدره وقال ابعد شيطانا قالها ثلاثا ثم قال يا عمر إن القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذابا أو عذابا رحمة . (حسن)

15_ عن ابن عمر قال سمع عمر بن الخطاب رجلا يقرأ القرآن فسمع آية على غير ما سمع من النبي فأتى به عمر إلى النبي فقال يا رسول الله إن هذا قرأ كذا وكذا ، فقال رسول الله أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف . (حسن لغيره)

16_ عن علقمة قال لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع إليه أصحابه فودعهم ثم قال لا تنازعوا في القرآن فإنه لا يختلف ولا يتلاشى ولا يتغير لكثرة الرد وإن شريعة الإسلام وحدوده

وفرائضه فيه واحدة ، ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله ،

لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ولا شيء من شرائع الإسلام ، ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله فيأمرنا فنقرأ عليه فيخبرنا أنا كلنا محسن ، ولو أعلم أحدا أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبته حتى أزداد علمه إلى علمي ،

ولقد قرأت من لسان رسول الله سبعين سورة وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان حتى كان عام قبض فعرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني إني محسن فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة عنها ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه فإنه من جحد بآية جحد به كله . (حسن)

17_ عن ابن عباس أن رسول الله قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف . (حسن) قال ابن شهاب الزهري بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام .

18_ عن أم أيوب أن النبي قال أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أصبت . (صحيح)

19_ عن سليمان بن صرد عن النبي قال أتاني ملكان فقال أحدهما اقرأ قال على كم ؟ قال على حرف ، قال زده ، حتى انتهى به إلى سبعة أحرف . (صحيح)

20_ عن ابن عباس عن رسول الله قال أقرأني جبريل القرآن على حرف فاستزدته فزادني ثم استزدته فزادني حتى انتهى إلى سبعة أحرف . (صحيح)

21 عن أم أيوب أنها سمعت النبي يقول نزل القرآن على سبعة أحرف فما قرأت أصبت . (صحيح لغيره)

22_ عن أبي بن كعب قال رحت إلى المسجد فسمعت رجلا يقرأ فقلت من أقرأك ؟ فقال رسول الله فانطلقت إلى رسول الله فقلت استقرئ هذا ، قال فقرأ فقال أحسنت ، قال فقلت إنك أقرأتني كذا وكذا فقال وأنت قد أحسنت ، قال فقلت قد أحسنت قد أحسنت ، قال فضرب بيده على صدري ثم قال اللهم أذهب عن أبي الشك ،

قال ففضت عرقا وامتلأ جوفي فرقا ثم قال إن الملكين أتياني فقال أحدهما اقرأ القرآن على حرف وقال الآخر زده ، قال فقلت زدني ، قال اقرأه على حرفين حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال اقرأ على سبعة أحرف . (حسن لغيره)

23_ عن أبي بن كعب قال ما حاك في صدري شيء منذ أسلمت إلا أني قرأت آية فقرأها رجل غير قراءتي فقلت أقرأنيها رسول الله فقال الرجل أقرأنيها رسول الله ، فأتيت رسول الله فقلت أقرأتني آية كذا وكذا ؟ قال بلى ، قال الرجل ألم تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال بلى ،

إن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف واحد وقال ميكائيل استزده ، قال جبريل اقرأ القرآن على حرفين ، فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف ولم يشك فيه وكل شاف كاف . (صحيح)

24_ عن أبي بن كعب قال قال رسول الله أنزل القرآن على سبعة أحرف . (صحيح)

25_ عن أبي بن كعب قال لقي رسول الله جبريل عند أحجار المراء فقال إني بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخآدم والشيخ الفاني والعجوز ، فقال جبريل فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف . (صحيح)

26_ عن أبي بن كعب قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه ، فدخلنا جميعا على رسول الله قال فقلت يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه ،

فأمرهما رسول الله فقرآ فحسّن رسول الله شأنهما وقال قد أصبتم وأحسنتم ، فوقع في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله ما غشيني ضرب في صدري ففضت أو اقال فارفضضت عرقا كأنما أنظر إلى الله فرقا ، فقال لي يا أبيّ أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت عليه أن هون على أمتي ،

فرد عليَّ في الثانية أن اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هون على أمتي فرد علي في الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها ، فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم ،

وقال قال لي أعيذك بالله من الشك والتكذيب ، وقال أيضا إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف فقلت اللهم رب خفف عن أمتي ، قال اقرأه على حرفين فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة كلها شافٍ كاف . (صحيح)

27_ عن أبي بن كعب قال دخلت المسجد فصليت فقرأت النحل ثم جاء رجل آخر فقرأها على غير قراءتي ثم دخل رجل آخر فقرأ بخلاف قراءتنا فدخل في نفسي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما فأتيت بهما النبي فقلت يا رسول الله استقرئ هذين فقرأ أحدهما فقال أصبت ثم استقرأ الآخر فقال أصبت ، فدخل قلبي أشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب ،

فضرب رسول الله صدري وقال أعاذك الله من الشك وأخسأ عنك الشيطان ، قال ففضت عرقا ، قال فقال أتاني جبريل فقال اقرأ القرآن على حرف واحد فقلت إن أمتي لا تستطيع ذلك حتى قال سبع مرات فقال لي اقرأ على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة ، قال فاحتاج إليَّ فيها الخلائق حتى إبراهيم . (حسن)

28_ عن أبي بن كعب قال أتى جبريل النبي وهو عند أضاة بني غفار فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منها حرفا فهو كما قرأ . (صحيح)

29_ عن أبي بن كعب أن النبي كان عند أضاة بني غفار ، قال فأتاه جبريل فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، قال ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين ،

قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا . (صحيح)

30_ عن أبي بن كعب قال سمعت رجلا يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ثم سمعت آخر يقرؤها قراءة تخالف ذلك فانطلقت بهما إلى رسول الله فقلت إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل فسألتهما من أقرأهما ؟ فقالا رسول الله ، فقلت لأذهبن بكما إلى رسول الله إذ خالفتما ما أقرأني رسول الله ،

فقال رسول الله لأحدهما اقرأ فقرأ فقال أحسنت ثم قال للآخر اقرأ فقرأ فقال أحسنت قال أبي ، فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي فعرف ذلك رسول الله في وجهي فضرب بيده في صدري ثم قال اللهم أخسئ الشيطان عنه ، يا أبي أتاني آت من ربي فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ،

فقلت رب خفف عني ، ثم أتاني الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي ، ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك وقلت مثله ، ثم أتاني الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة فقلت يا رب اغفر لأمتي واختبأت الثالثة شفاعتي لأمتي يوم القيامة . (صحيح)

31_ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن رجلين اختصما في آية من القرآن وكل يزعم أن النبي أقرأه فتقارآا إلى أبي فخالفهما أبي فتقارءوا إلى النبي فقال يا نبي الله اختلفنا في آية من القرآن وكلنا يزعم

أنك أقرأته ، فقال لأحدهما اقرأ قال فقرأ فقال أصبت وقال للآخر اقرأ فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه فقال أصبت وقال لأبي بن كعب اقرأ فقرأ فخالفهما فقال أصبت ،

قال أبي بن كعب فدخلني من الشك في أمر رسول الله ما دخل في من أمر الجاهلية ، قال فعرف رسول الله الذي في وجهي فرفع يده فضرب صدري وقال استعذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال ففضت عرقا وكأني أنظر إلى الله فرقا وقال إنه أتاني آت من ربي فقال إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي ،

قال ثم جاء فقال إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت رب خفف عن أمتي ، قال ثم جاء الثالثة فقال إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي ، قال ثم جاءني الرابعة فقال إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة ، قال قلت رب اغفر لأمتي رب اغفر لأمتي واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليرغب فيها . (صحيح)

32_ عن أبي بكرة قال قال رسول الله قال جبريل اقرءوا القرآن على حرف فقال ميكائيل استزده فقال على حرفين حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف فقال كلها شاف كاف ما لم يختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب كقولك هلم وتعال . (صحيح لغيره)

33_ عن أبي جهم الأنصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن فقال هذا تلقيتها من رسول الله وقال الآخر تلقيتها من رسول الله فسألا رسول الله عنها فقال رسول الله إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر (صحيح لغيره)

34 _ عن عمرو بن دينار قال قال النبي أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ . (حسن لغيره)

35_ عن ابن مسعود أن رسول الله قال أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف كلٌّ كافٍ شافي . (صحيح لغيره)

36_ عن أبي العالية قال قرأ على رسول الله من كل خمس رجل فاختلفوا في اللغة فرضي قراءتهم كلهم فكان بنو تميم أعرب القوم . (مرسل صحيح)

37_ عن أبي هريرة أن رسول الله قال إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ولا حرج ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة . (صحيح)

38_ عن أبي بن كعب قال أتى النبي جبريل وهو بأضاة بني غفار فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد ، قال فقال أسأل الله مغفرته ومعافاته أو قال معافاته ومغفرته سل الله لهم التخفيف فإنهم لا يطيقون ذلك ، فانطلق ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين ،

قال أسأل الله مغفرته ومعافاته أو قال معافاته ومغفرته إنهم لا يطيقون ذلك فسل الله لهم التخفيف ، فانطلق ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله مغفرته ومعافاته أو قال معافاته ومغفرته إنهم لا يطيقون ذلك سل الله لهم التخفيف ، فانطلق ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ . (صحيح)

قال أبو جعفر صح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع ، إذ كان معلوما أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة بما يعجز عن إحصائه ، فإن قال وما برهانك على أن معنى قول النبي نزل القرآن على سبعة أحرف وقوله أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف هو ما ادعيته من أنه نزل بسبع لغات وأمر بقراءته على سبعة ألسن ،

دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل ونحو ذلك من الأقوال ، فقد علمت قائلي ذلك من سلف الأمة وخيار الأئمة ، قيل له إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التي تقدم ذكرنا لها هو ما زعمت أنهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفا ،

وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه ، والذي قالوه من ذلك كما قالوا ، وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن النبي وعن جماعة من أصحابه أخبارا قد تقدم ذكرنا بعضها وسنستقصي ذكر باقيها ببيانه إذا انتهينا إليه إن شاء الله ،

فأما الذي قد تقدم وذكرناه من ذلك فخبر أبي بن كعب الذي ذكر فيه عن النبي أنه قال أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة والسبعة الأحرف هو ما قلنا من أنه الألسن السبعة ،

والأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والقصص والمثل التي إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها المنتهى استوجب به الجنة ، وليس والحمد لله في قول من قال ذلك من المتقدمين خلاف لشيء مما قلناه ،

والدلالة على صحة ما قلناه من أن معنى قول النبي نزل القرآن على سبعة أحرف إنما هو أنه نزل بسبع لغات كما تقدم ذكرنا من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وسائر من قد قدمنا الرواية عنه عن النبي في أول هذا الباب أنهم تماروا في القرآن فخالف بعضهم بعضا في التلاوة دون ما في ذلك من المعاني ،

وأنهم احتكموا فيه إلى النبي فاستقرأ كل رجل منهم ثم صوب جميعهم في قراءتهم على اختلافها حتى ارتاب بعضهم لتصويبه إياهم ، فقال النبي للذي ارتاب منهم عند تصويبه جميعهم إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف ،

ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك لو كان تماريا واختلافا فيما دلت عليه تلاواتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد وما أشبه ذلك لكان مستحيلا أن يصوب جميعهم ويأمر كل قارئ منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه ،

لأن ذلك لو جاز أن يكون صحيحا وجب أن يكون الله قد أمر بفعل شيء بعينه وفرضه في تلاوة من دلت تلاوته على فرضه ونهى عن فعل ذلك الشيء بعينه وزجر عنه في تلاوة الذي دلت تلاوته على والزجر عنه وأباح وأطلق فعل ذلك الشيء بعينه وجعل لمن شاء من عباده أن يفعله فعله ولمن شاء منهم أن يتركه تركه في تلاوة من دلت تلاوته عن التخيير ،

وذلك من قائله إن قاله إثبات ما قد نفى الله عن تنزيله وحكم كتابه فقال (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ، وفي نفي الله ذلك عن حكم كتابه أوضح الدليل على أنه لم ينزل كتابه على لسان محمد إلا بحكم واحد متفق في جميع خلقه لا بأحكام فيهم مختلفة

، وفي صحة كون ذلك كذلك ما يبطل دعوى من ادعى خلاف قولنا في تأويل قول النبي أنزل القرآن على سبعة أحرف للذين تخاصموا إليه عند اختلافهم في قراءتهم ،

لأنه قد أمر جميعهم بالثبوت على قراءته ورضي قراءة كل قارئ منهم على خلافها قراءة خصومه ومنازعيه فيها وصوبها ، ولو كان ذلك منه تصويبا فيما اختلفت فيه المعاني وكان قوله أنزل علي القرآن على سبعة أحرف إعلاما منه لهم أنه نزل بسبعة أوجه مختلفة وسبعة معان مفترقة كان ذلك إثباتا لما قد نفى الله عن كتابه من الاختلاف ونفيا لما قد أوجب له من الائتلاف ،

مع أن في قيام الحجة بأن النبي لم يقض في شيء واحد في وقت واحد بحكمين مختلفين ولا أذن بذلك لأمته ما يغني عن الإكثار في الدلالة على أن ذلك منفي عن كتاب الله ، وفي انتفاء ذلك عن كتاب الله وجوب صحة القول الذي قلناه في معنى قول النبي أنزل القرآن على سبعة أحرف عند اختصام المختصمين إليه فيما اختلفوا فيه من تلاوة ما تلوه من القرآن ،

وفساد تأويل قول من خالف قولنا في ذلك وأخرى أن الذين تماروا فيما تماروا فيه من قراءتهم فاحتكموا إلى النبي لم يكن منكرا عند أحد منهم أن يأمر الله عباده جل ثناؤه في كتابه وتنزيله بما شاء وينهى عما شاء ويعد فيما أحب من طاعاته ويوعد على معاصيه ويحتج لنبيه ويعظه فيه ويضرب فيه لعباده الأمثال فيخاصم غيره على إنكاره سماع ذلك من قارئه ،

بل على الإقرار بذلك كله كان إسلام من أسلم منهم فما الوجه الذي أوجب له إنكاره ما أنكر إن لم يكن كان ذلك اختلافا منهم في الألفاظ واللغات ، وبعد فقد أبان صحة ما قلنا الخبر عن رسول الله نصا وذلك الخبر الذي ذكرنا .

39_ عن أبي بكرة قال قال رسول الله قال جبريل اقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل عليه السلام استزده ، فقال على حرفين حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف فقال كلها شاف كاف ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب كقولك هلم وتعال . (صحيح لغيره)

فقد أوضح نص هذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك هلم وتعال باتفاق المعاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام ، وبمثل الذي قلنا في ذلك صحت الأخبار عن جماعة من السلف والخلف .

40_ عن ابن مسعود قال إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم وإياكم والتنطع فإنما هو كقول أحدكم هلم وتعال .

41_ عن ابن مسعود قال من قرأ منكم على حرف فلا يتحولن ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله لأتيته .

42_ عن ابن مسعود قال من قرأ القرآن على حرف فلا يتحولن منه إلى غيره .

فمعلوم أن عبد الله بن مسعود لم يعن بقوله هذا من قرأ ما في القرآن من الأمر والنهي فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من الوعد والوعيد ومن قرأ ما فيه من الوعد والوعيد ، فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من القصص والمثل ، وإنما عنى رحمة الله عليه أن من قرأ بحرفه وحرفه قراءته ،

وكذلك تقول العرب لقراءة رجل حرف فلان وتقول للحرف من حروف الهجاء المقطعة حرف كما تقول لقصيدة من قصائد الشاعر كلمة فلان فلا يتحولن عنه إلى غيره رغبة عنه ، ومن قرأ بحرف

أبي أو بحرف زيد أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب رسول الله ببعض الأحرف السبعة فلا يتحولن عنه إلى غيره رغبة عنه ، فإن الكفر ببعضه كفر بجميعه والكفر بحرف من ذلك كفر بجميعه ، يعني بالحرف ما وصفنا من قراءة بعض من قرأ ببعض الأحرف السبعة .

43_ عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأصوب قيلا) فقال له بعض القوم يا أبا حمزة إنما هي (وأقوم) فقال أقوم وأصوب وأهدى واحد .

44_ عن مجاهد أنه كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف .

45_ عن سالم أن سعيد بن جبير كان يقرأ القرآن على حرفين .

46_ عن مغيرة قال كان يزيد بن الوليد يقرأ القرآن على ثلاثة أحرف .

أفترى الزاعم أن تأويل قول النبي أنزل القرآن على سبعة أحرف ، إنما هو أنه نزل على الأوجه السبعة التي ذكرنا من الأمر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل ، كان يرى أن مجاهدا وسعيد بن جبير لم يقرآ من القرآن إلا ما كان من وجهيه أو وجوهه الخمسة دون سائر معانيه ؟ لئن كان ظن ذلك بهما لقد ظن بهما غير الذي يعرفان به من منازلهما من القرآن ومعرفتهما بآي الفرقان .

47_ عن ابن سيرين قال نبئت أن جبرائيل وميكائيل أتيا النبي فقال له جبرائيل اقرأ القرآن على حرفين فقال له ميكائيل استزده ، فقال اقرأ القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال له ميكائيل استزده ، قال حتى بلغ سبعة أحرف . (حسن لغيره)

48_ عن ابن سيرين قال لا تختلف في حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي هو كقولك تعال وهلم وأقبل ، قال وفي قراءتنا (إن كانت إلا صيحة واحدة) وفي قراءة ابن مسعود (إن كانت إلا زقية واحدة) .

49_ عن شعيب بن الحبحاب قال كان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل ليس كما يقرأ وإنما يقول أما أنا فأقرأ كذا وكذا ، قال فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال أرى صاحبك قد سمع أن من كفر بحرف منه فقد كفر به كله .

50_ عن ابن المسيب أن الذي ذكر الله (إنما يعلمه بشر) إنما افتتن أنه كان يكتب الوحي فكان يملي عليه رسول الله سميع عليم أو عزيز حكيم وغير ذلك من خواتم الآي ، ثم يشتغل عنه رسول الله وهو على الوحي فيستفهم رسول الله فيقول أعزيز حكيم أو سميع عليم أو عزيز عليم ؟ فيقول له رسول الله أي ذلك كتبت فهو كذلك ، ففتنه ذلك فقال إن محمدا وكل ذلك إليَّ فأكتب ما شئت . (حسن لغيره) قال ابن شهاب وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة .

51_ عن ابن مسعود قال من كفر بحرف من القرآن أو بآية منه فقد كفر به كله .

قال أبو جعفر فإن قال لنا قائل فإذا كان تأويل قول النبي أنزل القرآن على سبعة أحرف عندك ما وصفت بما عليه استشهدت ، فأوجدنا حرفا في كتاب الله مقروءا بسبع لغات فنحقق بذلك قولك وإلا فإن لم تجد ذلك كذلك كان معلوما بعَدَمِكَه صحة قول من زعم أن تأويل ذلك أنه نزل بسبعة معان ،

وهو الأمر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل وفساد قولك ، أو تقول في ذلك إن الأحرف السبعة لغات في القرآن سبع متفرق في جميعه من لغات أحياء من قبائل العرب مختلفة الألسن ، كما كان يقوله بعض من لم يمعن النظر في ذلك ،

فيصير بذلك إلى القول بما لا يجهل فساده ذو عقل ولا يلتبس خطؤه على ذي لب ، وذلك أن الأخبار التي بها احتججت لتصحيح مقالتك في تأويل قول النبي نزل القرآن على سبعة أحرف هي الأخبار التي رويتها عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب رحمة الله عليهم ،

وعمن رويت ذلك عنه من أصحاب رسول الله بأنهم تماروا في تلاوة بعض القرآن ، فاختلفوا في قراءته دون تأويله وأنكر بعض قراءة بعض مع دعوى كل قارئ منهم قراءة منها أن رسول الله أقرأه ما قرأ بالصفة التي قرأ ، ثم احتكموا إلى رسول الله فكان من حكم رسول الله بينهم أن صوب قراءة كل قارئ منهم على خلافها قراءة أصحابه الذين نازعوه فيها ،

وأمر كل امرئ منهم أن يقرأ كما علم حتى خالط قلب بعضهم الشك في الإسلام لما رأى من تصويب رسول الله قراءة كل قارئ منهم على اختلافها ، ثم جلاه الله عنه ببيان رسول الله له أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ،

فإن كانت الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن عندك كما قال هذا القائل متفرقة في القرآن مثبتة اليوم في مصاحف أهل الإسلام فقد بطلت معاني الأخبار التي رويتها عمن رويتها عنه من أصحاب رسول الله أنهم اختلفوا في قراءة سورة من القرآن فاختصموا إلى رسول الله فأمر كلا أن يقرأ كما علم ، لأن الأحرف السبعة إذا كانت لغات متفرقة في جميع القرآن فغير موجب حرف من ذلك اختلافا بين تاليه ،

لأن كل تالٍ فإنما يتلو ذلك الحرف تلاوة واحدة على ما هو به في المصحف وعلى ما أنزل ، وإذا كان ذلك كذلك بطل وجه اختلاف الذين روي عنهم أنهم اختلفوا في قراءة سورة وفسد معنى أمر النبي كل قارئ منهم أن يقرأه على ما علم ، إذ كان لا معنى هنالك يوجب اختلافا في لفظ ولا افتراقا في معنى ،

وكيف يجوز أن يكون هنالك اختلاف بين القوم والمعلم واحد والعلم واحد غير ذي أوجه ، وفي صحة الخبر عن الذين روي عنهم الاختلاف في حروف القرآن على عهد رسول الله فإنهم اختلفوا وتحاكموا إلى رسول الله في ذلك على ما تقدم وصفناه أبين الدلالة على فساد القول بأن الأحرف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن ،

لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني ، مع أن المتدبر إذا تدبر قول هذا القائل في تأويله قول النبي أنزل القرآن على سبعة أحرف وادعائه أن معنى ذلك أنها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن ثم جمع بين قيله ذلك واعتلاله لقيله ذلك بالأخبار التي رويت عمن روى ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال هو بمنزلة قولك تعال وهلم وأقبل ،

وأن بعضهم قال هو بمنزلة قراءة عبد الله (إلا زقية) وهي في قراءتنا (إلا صيحة) وما أشبه ذلك من حججه ، علم أن حججه مفسدة في ذلك مقالته وأن مقالته فيه مضادة حججه ، لأن الذي نزل به القرآن عنده إحدى القراءتين إما صيحة وإما زقية وإما تعال أو أقبل أو هلم لا جميع ذلك ،

لأن كل لغة من اللغات السبع عنده في كلمة أو حرف من القرآن غير الكلمة أو الحرف الذي فيه اللغة الأخرى ، وإذا كان ذلك كذلك بطل اعتلاله لقوله بقول من قال ذلك بمنزلة هلم وتعال وأقبل ، لأن هذه الكلمات هي ألفاظ مختلفة يجمعها في التأويل معنى واحد ،

وقد أبطل قائل هذا القول الذي حكينا قوله اجتماع اللغات السبع في حرف واحد من القرآن فقد تبين بذلك إفساد حجته لقوله بقوله وإفساد قوله بحجته ، فقيل له ليس القول في ذلك بواحد من الوجهين اللذين وصفت بل الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن هن لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني،

كقول القائل هلم وأقبل وتعال وإلي وقصدي ونحوي وقربي ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني ، وإن اختلفت بالبيان به الألسن كالذي روينا آنفا عن رسول الله وعمن روينا ذلك عنه من الصحابة أن ذلك بمنزلة قولك هلم وتعال وأقبل وقوله ما ينظرون (إلا زقية) و(إلا صيحة) ،

فإن قال ففي أي كتاب الله نجد حرفا واحدا مقروءا بلغات سبع مختلفات الألفاظ متفقات المعنى فنسلم لك بصحة ما ادعيت من التأويل في ذلك ؟ قيل إنا لم ندع أن ذلك موجود اليوم وإنما أخبرنا أن معنى قول النبي أنزل القرآن على سبعة أحرف على نحو ما جاءت به الأخبار التي تقدم وذكرناها هو ما وصفنا دون ما ادعاه مخالفونا في ذلك للعلل التي قد بينا ،

فإن قال فما بال الأحرف الأخر الستة غير موجودة إن كان الأمر في ذلك على ما وصفت وقد أقرأهن رسول الله أصحابه وأمر بالقراءة بهن وأنزلهن الله من عنده على نبيه أنسخت فرفعت فما الدلالة

على نسخها ورفعها أم نسيتهن الأمة ؟ فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه أم ما القصة في ذلك ؟ قيل له لم تنسخ فترفع ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها ،

ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت ، كما أمرت إذا هي حنثت في يمين وهي موسرة أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت إما بعتق أو إطعام أو كسوة ، فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكفر كانت مصيبة حكم الله مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله ،

فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت فرأت لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له في قراءته به ، فإن قال وما العلة التي أوجبت عليها الثبات على حرف واحد دون سائر الأحرف الستة الباقية ؟ قيل حدثنا :

52_ عن زيد بن ثابت قال لما قتل أصحاب رسول الله باليمامة دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر رحمه الله فقال إن أصحاب رسول الله باليمامة تهافتوا تهافت الفراش في النار وإني أخشى أن لا يشهدوا موطنا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيضيع القرآن وينسى ، فلو جمعته وكتبته ،

فنفر منها أبو بكر وقال أفعل ما لم يفعل رسول الله ، فتراجعا في ذلك ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت ، قال زيد فدخلت عليه وعمر محزئل ، فقال أبو بكر إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبيت عليه وأنت كاتب الوحي فإن تكن معه اتبعتكما وإن توافقني لا أفعل ،

قال فاقتص أبو بكر قول عمر وعمر ساكت فنفرت من ذلك وقلت نفعل ما لم يفعل رسول الله إلى أن قال عمر كلمة وما عليكما لو فعلتما ذلك ، قال فذهبنا ننظر فقلنا لا شيء والله ما علينا في ذلك شيء ، قال زيد فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الآدم وكسر الأكتاف والعسب ،

فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتب ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده فلما هلك كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبي ، ثم إن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة كان غزاها في مرج أرمينية فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان بن عفان فقال يا أمير المؤمنين أدرك الناس ،

فقال عثمان وما ذاك ؟ قال غزوت مرج أرمينية فحضرها أهل العراق وأهل الشام فإذا أهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق فتكفرهم أهل العراق وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فتكفرهم أهل الشام ،

قال زيد فأمرني عثمان بن عفان أكتب له مصحفا وقال إني مدخل معك رجلا لبيبا فصيحا فما اجتمعتما عليه فاكتباه وما اختلفتما فيه فارفعا إلي ، فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص ، قال فلما بلغا (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) قال زيد فقلت التابوه وقال أبان بن سعيد التابوت ، فرفعنا ذلك إلى عثمان فكتب التابوت ،

قال فلما فرغت عرضته عرضة فلم أجد فيه هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) إلى قوله (وما بدلوا تبديلا) قال فاستعرضت المهاجرين أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم ، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم ،

حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت فكتبتها ، ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد فيه هاتين الآيتين (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم) إلى آخر السورة فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها عند أحد منهم ، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم حتى وجدتها مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضا فأثبتها في آخر براءة ،

ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد فيه شيئا ، ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة وحلف لها ليردنها إليها فأعطته إياها فعرض المصحف عليها فلم يختلفا في شيء فردها إليها وطابت نفسه وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف ، فلما ماتت حفصة أرسل إلى عبد الله بن عمر في الصحيفة بعزمة فأعطاهم إياها فغسلت غسلا .

53_ عن أبي قلابة قال لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين ، قال أيوب فلا أعلمه ألا قال حتى كفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا فقال أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد فيه اختلافا وأشد لحنا ، اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما ،

قال أبو قلابة فحدثني أنس بن مالك قال كنت فيمن يملى عليهم ، قال فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ولعله أن يكون غائبا أو في بعض البوادي فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل إليه ، فلما فرغ من المصحف كتب عثمان إلى أهل الأمصار إني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم .

54_ عن أنس بن مالك أنه اجتمع في غزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق فتذاكروا القرآن واختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة ، فكتب حذيفة بن اليمان لما رأى اختلافهم في القرآن إلى عثمان فقال إن الناس اختلفوا في القرآن حتى إني والله لأخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف ، قال ففزع لذلك فزعا شديدا فأرسل إلى حفصة فاستخرج الصحف التي كان أبو بكر أمر زيدا بجمعها فنسخ منها مصاحف فبعث بها إلى الآفاق .

55_ عن الزهري قال قبض النبي ولم يكن القرآن جمع وإنما كان في الكرانيف والعسب .

56_ عن صعصعة بن صوحان أن أبا بكر أول من ورث الكلالة وجمع المصحف .

قال أبو جعفر وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعاب جميعها الكتاب والآثار الدالة على أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه جمع المسلمين ، نظرا منه لهم وإشفاقا منه عليهم ورأفة منه بهم حذار الردة من بعضهم بعد الإسلام والدخول في الكفر بعد الإيمان ،

إذ ظهر من بعضهم بمحضره وفي عصره التكذيب ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن مع سماع أصحاب رسول الله من رسول الله النهي عن التكذيب بشيء منها وإخباره إياهم أن المِراء فيها كفر ،

فحملهم رحمة الله عليه إذ رأى ذلك ظاهرا بينهم في عصره وبحداثة عهدهم بنزول القرآن وفراق رسول الله إياهم بما أمن عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن على حرف واحد ، وجمعهم على مصحف واحد وحرف واحد وحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه ،

وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه ، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية ، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها أمامها العادل في تركها طاعة منها له ونظرا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ،

حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها ، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها ، ولكن نظرا منها لأنفسها ولسائر أهل دينها ،

فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم أمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية ، فإن قال بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله وأمرهم بقراءتها ؟ قيل إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض وإنما كان أمر إباحة ورخصة ،

لأن القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الأمة ، وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين بعد أن يكون في نقلة القرآن من الأمة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة ،

فإذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع تاركين ما كان عليهم نقله ، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا إذ كان الذي فعلوا من ذلك كان هو النظر للإسلام وأهله

، فكان القيام بفعل الواجب عليهم بهم أولى من فعل ما لو فعلوه كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة من ذلك ،

فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف بمعزل ، لأنه معلوم أنه لا حرف من حروف القرآن مما اختلفت القراءة في قراءته بهذا المعنى يوجب المراء به كفر المماري به في قول أحد من علماء الأمة ،

وقد أوجب عليه الصلاة والسلام بالمراء فيه الكفر من الوجه الذي تنازع فيه المتنازعون إليه وتظاهرت عنه بذلك الرواية على ما قد قدمنا ذكرها في أول هذا الباب ، فإن قال لنا قائل فهل لك من علم بالألسن السبعة التي نزل بها القرآن وأي الألسن هي من ألسن العرب ،

قلنا أما الألسن الستة التي قد نزلت القراءة بها فلا حاجة بنا إلى معرفتها لأنا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الأسباب التي قدمنا ذكرها ، وقد قيل إن خمسة منها لعجز هوازن واثنين منها لقريش وخزاعة ، وروي جميع ذلك عن ابن عباس وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله ،

وذلك أن الذي روى عنه أن خمسة منها من لسان العجز من هوازن الكلبي عن أبي صالح ، وأن الذي روى عنه أن اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة قتادة ، وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه ، حدثني بذلك :

57_ عن ابن عباس قال نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة وذلك أن الدار واحدة .

58_ عن أبي الأسود الديلي قال نزل القرآن بلسان الكعبين كعب بن عمرو وكعب بن لؤي ، فقال خالد بن سلمة لسعد بن إبراهيم ألا تعجب من هذا الأعمى يزعم أن القرآن نزل بلسان الكعبين وإنما نزل بلسان قريش .

قال أبو جعفر والعجز من هوازن سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ، وأما معنى قول النبي إذ ذكر نزول القرآن على سبعة أحرف أن كلها شاف كاف فإنه كما قال جل ثناؤه في وصفه القرآن (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) جعله الله للمؤمنين شفاء يستشفون بمواعظه من الأدواء العارضة لصدورهم من وساوس الشيطان وخطراته فيكفيهم ويغنيهم عن كل ما عداه من المواعظ ببيان آياته .

_ القول في البيان عن معنى قول رسول الله أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة وذكر الأخبار المروية بذلك

قال أبو جعفر اختلفت النقلة في ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله .

59_ عن ابن مسعود عن النبي أنه قال كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحِلُّوا حلاله وحرِّمُوا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وأمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا . (صحيح)

60_ عن أبي قلابة قال بلغني أن النبي قال أنزل القرآن على سبعة أحرف أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل .(حسن لغيره)

61 _ عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي ، قال اقرأه على حرفين ، فقلت رب خفف عن أمتي ، فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة كلها شاف كاف . (صحيح)

62_ عن ابن مسعود قال إن الله أنزل القرآن على خمسة أحرف حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحل الحلال وحرم الحرام واعمل بالمحكم وآمن بالمتشابه واعتبر بالأمثال .

وكل هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله متقاربة المعاني ، لأن قول القائل فلان مقيم على باب من أبواب هذا الأمر وفلان مقيم على وجه من وجوه هذا الأمر وفلان مقيم على حرف من هذا الأمر سواء ، ألا ترى أن الله وصف قوما عبدوه على وجه من وجوه العبادات فأخبر عنهم أنهم عبدوه على حرف ،

فقال (ومن الناس من يعبد الله على حرف) يعني أنهم عبدوه على وجه الشك لا على اليقين والتسليم لأمره ، فكذلك رواية من روى عن النبي أنه قال نزل القرآن من سبعة أبواب ونزل على سبعة أحرف سواء معناهما مؤتلف وتأويلهما غير مختلف في هذا الوجه ،

ومعنى ذلك كله الخبر منه عما خصه الله به وأمته من الفضيلة والكرامة التي لم يؤتها أحدا في تنزيله ، وذلك أن كل كتاب تقدم كتابنا نزوله على نبي من أنبياء الله صلوات الله عليهم فإنما نزل

بلسان واحد متى حول إلى غير اللسان الذي نزل به ، كان ذلك له ترجمة وتفسيرا ، لا تلاوة له على ما أنزله الله ،

وأنزل كتابنا بألسن سبعة بأي تلك الألسن السبعة تلاه التالي كان له تاليا على ما أنزله الله ، لا مترجما ولا مفسرا حتى يحوله عن تلك الألسن السبعة إلى غيرها ، فيصير فاعل ذلك حينئذ إذا أصاب معناه مترجما له كما كان التالي لبعض الكتب التي أنزلها الله بلسان واحد إذا تلاه بغير اللسان الذي نزل به له مترجما لا تاليا على ما أنزله الله به ،

فذلك معنى قول النبي كان الكتاب الأول نزل على حرف واحد ونزل القرآن على سبعة أحرف ، وأما معنى قوله إن الكتاب الأول نزل من باب واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب فإنه عنى بقوله نزل الكتاب الأول من باب واحد والله أعلم ما نزل من كتب الله على من أنزله من أنبيائه خاليا من الحدود والأحكام والحلال والحرام ،

كزبور داود الذي إنما هو تذكير ومواعظ وإنجيل عيسى الذي هو تمجيد ومحامد وحض على الصفح والإعراض دون غيرها من الأحكام والشرائع وما أشبه ذلك من الكتب التي نزلت ببعض المعاني السبعة التي يحوي جميعها كتابنا الذي خص الله به نبينا محمدا وأمته ،

فلم يكن المتعبدون بإقامته يجدون لرضا الله مطلبا ينالون به الجنة ويستوجبون منه القربة إلا من الوجه الواحد الذي أنزل به كتابهم وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذي نزل منه ذلك الكتاب ، وخص الله نبينا محمدا وأمته بأن أنزل عليهم كتابه على أوجه سبعة من الوجوه التي ينالون بها رضوان الله ويدركون بها الفوز بالجنة إذا أقاموها ،

فلكل وجه من أوجهه السبعة باب من أبواب الجنة الذي نزل منه القرآن ، لأن العامل بكل وجه من أوجهه السبعة عامل في باب من أبواب الجنة وطالب من قبله الفوز بها والعمل بما أمر الله جل ذكره في كتابه باب من أبواب الجنة وترك ما نهى الله عنه فيه باب آخر ثان من أبوابها ،

وتحليل ما أحل الله فيه باب ثالث من أبوابها ، وتحريم ما حرم الله فيه باب رابع من أبوابها والإيمان بمحكمه المبين باب خامس من أبوابها ، والتسليم لمتشابهه الذي استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن خلقه والإقرار بأن كل ذلك من عند ربه باب سادس من أبوابها ، والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بعظاته باب سابع من أبوابها ،

فجميع ما في القرآن من حروفه السبعة وأبوابه السبعة التي نزل منها جعله الله لعباده إلى رضوانه هاديا ولهم إلى الجنة قائدا ، فذلك معنى قوله نزل القرآن من سبعة أبواب الجنة ، وأما قوله في القرآن إن لكل حرف منه حدا يعني لكل وجه من أوجهه السبعة حد حده الله لا يجوز لأحد أن يتجاوزه ،

وقوله وإن لكل حرف منها ظهرا وبطنا فظهره الظاهر في التلاوة وبطنه ما بطن من تأويله ، وقوله وإن لكل حد من ذلك مطلعا فإنه يعني أن لكل حد من حدود الله التي حدها فيه من حلال وحرام وسائر شرائعه مقدارا من ثواب الله وعقابه يعاينه في الآخرة ويطلع عليه ويلاقيه في القيامة ، كما قال عمر بن الخطاب لو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعني بذلك ما يطلع عليه ويهجم عليه من أمر الله بعد وفاته .

_ القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن

قد قلنا في الدلالة على أن القرآن كله عربي وأنه نزل بألسن بعض العرب دون ألسن جميعها وأن قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي هي بين أظهرهم ببعض الألسن التي نزل بها القرآن دون جميعها ،

وقلنا في البيان عما يحويه القرآن من النور والبرهان والحكمة والبيان التي أودعها الله إياه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده ومحكمه ومتشابهه ولطائف حكمه ما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه ، ونحن قائلون في البيان عن وجوه مطالب تأويله ،

قال الله جل ذكره وتقدست أسماؤه لنبيه محمد (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) ، وقال أيضا جل ذكره (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ،

وقال (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) ،

فقد تبين ببيان الله جل ذكره أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره وواجبه وندبه وإرشاده وصنوف نهيه ووظائف حقوقه وحدوده ومبالغ فرائضه ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض وما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله لأمته ،

وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله بتأويله بنص منه عليه أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار ، وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة وأوقات آتية كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور ونزول عيسى ابن مريم وما أشبه ذلك ،

فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراطها لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه ، وكذلك أنزل ربنا في محكم كتابه فقال (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ،

وكان نبينا محمد إذا ذكر شيئا من ذلك لم يدل عليه إلا بأشراطه دون تحديده بوقت كالذي روي عنه أنه قال لأصحابه إذا ذكر الدجال إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه وإن يخرج بعدي فالله خليفتي عليكم ، وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعابها الكتاب الدالة على أنه لم يكن عنده علم أوقات شيء منه بمقادير السنين والأيام ،

وأن الله إنما كان عرفه مجيئه بأشراطه ووقته بأدلته وأن منه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن وذلك إقامة إعرابه ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها فإن ذلك لا يجهله أحد منهم ،

وذلك كسامع منهم لو سمع تاليا يتلو (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه مما هو

مضرة وأن الإصلاح هو ما ينبغي فعله مما فعله منفعة وإن جهل المعاني التي جعلها الله إفسادا والمعاني التي جعلها الله إصلاحا ،

فالذي يعلمه ذو اللسان الذي بلسانه نزل القرآن من تأويل القرآن هو ما وصفت من معرفة أعيان المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتها الخاصة دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهيئاتها التي خص الله بعلمها نبيه ، فلا يدرك علمه إلا ببيانه دون ما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، وبمثل ما قلنا من ذلك روي الخبر عن ابن عباس .

63_ عن ابن عباس قال التفسير على أربعة أوجه ، وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله .

وهذا الوجه الرابع الذي ذكره ابن عباس من أن أحدا لا يعذر بجهالته معنى غير الإبانة عن وجوه مطالب تأويله ، وإنما هو خبر عن أن من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل به ، وقد روي بنحو ما قلنا في ذلك أيضا عن رسول الله خبر في إسناده نظر .

64_ عن ابن عباس أن رسول الله قال أنزل القرآن على أربعة أحرف ، حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به وتفسير يفسره العرب وتفسير يفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب . (حسن)

_ ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي

65_ عن ابن عباس أن النبي قال من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار . (صحيح لغيره)

66_ عن ابن عباس عن النبي قال من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار . (صحيح لغيره)

67_ عن ابن عباس قال قال رسول الله من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار . (صحيح لغيره)

68_ عن ابن عباس قال من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار . (صحيح لغيره)

69_ عن ابن عباس قال من تكلم في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار . (صحيح لغيره)

70_ عن أبي بكر الصديق قال أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن ما لا أعلم .

71_ عن أبي بكر قال أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم .

وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص رسول الله أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه ، بل القائل في ذلك برأيه وإن أصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله بقيله فيه برأيه ،

لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق وإنما هو إصابة خارص وظان ، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لا يعلم ، وقد حرم الله ذلك في كتابه على عباده فقال (قل إنما حرم ربي الفواحش

ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ،

فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله الذي جعل الله إليه بيانه قائل بما لا يعلم وإن وافق قيله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه ، لأن القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به ، وهذا هو معنى الخبر الذي حدثنا .

72_ عن جندب أن رسول الله قال من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ . (حسن)

يعني أنه أخطأ في فعله بقيله فيه برأيه وإن وافق قيله ذلك عين الصواب عند الله ، لأن قيله فيه برأيه ليس بقيل عالم أن الذي قال فيه من قول حق وصواب ، فهو قائل على الله ما لا يعلم آثم بفعله ما قد نهى عنه وحظر عليه .

_ ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة

73_ عن ابن مسعود قال كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن .

74_ عن أبي عبد الرحمن قال حدثنا الذين كانوا يقرؤننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .

75_ عن ابن مسعود قال والذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته .

76_ عن مسروق قال كان عبد الله بن مسعود يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار .

77_ عن شقيق قال استعمل علي بن أبي طالب ابن عباس على الحج ، قال فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها .

78_ عن أبي وائل قال قرأ ابن عباس سورة البقرة فجعل يفسرها ، فقال رجل لو سمعت هذا الديلم لأسلمت .

79_ عن سعيد بن جبير قال من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمى أو كالأعرابي .

80_ عن أبي وائل قال وليَ ابن عباس الموسم فخطبهم فقرأ على المنبر سورة النور والله لو سمعها الترك لأسلموا .

81_ عن شقيق قال شهدت ابن عباس وولي الموسم فقرأ سورة النور على المنبر وفسرها لو سمعت الروم لأسلمت .

قال أبو جعفر وفي حث الله عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والتبيان بقوله جل ذكره لنبيه (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) ، وقوله (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون) ،

وما أشبه ذلك من آي القرآن التي أمر الله عباده وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن والاتعاظ بمواعظه ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيات ، لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه ثم يتدبره ويعتبر به ،

فأما قبل ذلك فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل كما محال أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه لو أنشدت قصيدة شعر من أشعار بعض العرب ذات أمثال ومواعظ وحكم اعتبر بما فيها من الأمثال وادكر بما فيها من المواعظ إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلام العرب ومعرفته ثم الاعتبار بما نبهه عليه ما فيها من الحكم ،

فأما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق فمحال أمرها بما دلت عليه معاني ما حوته من الأمثال والعبر ، بل سواء أمرها بذلك وأمر بعض البهائم به إلا بعد العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها ، فكذلك ما في آي كتاب الله من العبر والحكم والأمثال والمواعظ ،

لا يجوز أن يقال اعتبر بها إلا لمن كان بمعاني بيانه عالما وبكلام العرب عارفا وإلا بمعنى الأمر لمن كان بذلك منه جاهلا أن يعلم معاني كلام العرب ثم يتدبره بعد ويتعظ بحكمه وصنوف عبره ، فإذا كان ذلك كذلك وكان الله قد أمر عباده بتدبره وحثهم على الاعتبار بأمثاله كان معلوما أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدل عليه آيه جاهلا ،

وإذا لم يجز أن يأمرهم بذلك إلا وهم بما يدلهم عليه عالمون صح أنهم بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آية الذي استأثر الله بعلمه منه دون خلقه الذي قد قدمنا صفته آنفا عارفون ، وإذا صح ذلك فسد قول من أنكر تفسير المفسرين من كتاب الله وتنزيله ما لم يحجب عن خلقه تأويله .

_ ذكر بعض الأخبار التي غلط في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن

فإن قال لنا قائل فما أنت قائل فيما حدثكم :

82_ عن عائشة قالت ما كان النبي يفسر شيئا من القرآن إلا آيا تُعَدُّ علمهن إياه جبريل . (صحيح لغيره)

83_ عن عائشة قالت لم يكن النبي يفسر شيئا من القرآن إلا آياً تعد علمهن إياه جبريل . (صحيح لغيره)

84_ عن عبيد الله بن عمر قال لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع .

85_ عن يحيى بن سعيد قال سمعت رجلا يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال لا أقول في القرآن شيئا .

86_ عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال أنا لا أقول في القرآن شيئا .

87_ عن ابن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن .

88_ عن ابن سيرين قال سألت عبيدة السلماني عن آية قال عليك بالسداد فقد ذهب الذين علموا فيم أنزل القرآن .

89_ عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن اتق الله وعليك بالسداد .

90_ عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبَى أن يقول فيها .

91_ عن الوليد بن مسلم قال جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن فقال له أحرج عليك إن كنت مسلما لما قمت عني أو قال أن تجالسني .

92_ عن يزيد بن أبي يزيد قال كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام وكان أعلم الناس وإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع .

93_ عن عمرو بن مرة قال سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال لا تسألني عن آية من القرآن وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه يعني عكرمة .

94_ عن عامر الشعبي قال والله ما من آية إلا قد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله .

95_ عن عامر الشعبي قال ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت القرآن والروح والرأي .

وما أشبه ذلك من الأخبار ، قيل له أما الخبر الذي روي عن رسول الله أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئا إلا آيا تعد ، فإن ذلك مصحح ما قلنا من القول في الباب الماضي قبل وهو أن من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه إلا ببيان الرسول ،

وذلك يفصل جمل ما في آيه من أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وسائر معاني شرائع دينه الذي هو مجمل في ظاهر التنزيل وبالعباد إلى تفسيره الحاجة لا يدرك علم تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسول الله ،

وما أشبه ذلك مما تحويه أي القرآن من سائر حكمه الذي جعل الله بيانه لخلقه إلى رسول الله ، فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان الرسول ولا يعلمه رسول الله إلا بتعليم الله إياه ذلك بوحيه إليه ، إما مع جبريل أو مع من شاء من رسله إليه ،

فذلك هو الآي التي كان رسول الله يفسرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه ، وهن لا شك أي ذوات عدد ، ومن أي القرآن ما قد ذكرنا أن الله استأثر بعلم تأويله فلم يطلع على علمه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولكنهم يؤمنون بأنه من عنده وأنه لا يعلم تأويله إلا الله ،

فأما ما لا بد للعباد من علم تأويله فقد بين لهم نبيهم ببيان الله ذلك له بوحيه مع جبريل وذلك هو المعنى الذي أمره الله ببيانه لهم ، فقال له جل ذكره (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) ،

ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله أنه كان لا يفسر من القرآن شيئا إلا آيا تعد هو ما يسبق إليه أوهام أهل الغباء من أنه لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آيه واليسير من حروفه كان إنما أنزل إليه الذكر ليترك للناس بيان ما أنزل إليهم لا ليبين لهم ما أنزل إليهم ،

وفي أمر الله نبيه ببلاغ ما أنزل إليه وإعلامه إياه أنه إنما نزل إليه ما أنزل ليبين للناس ما نزل إليهم وقيام الحجة على أن النبي قد بلغ فأدى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به ، وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود لقيله كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن ما ينبئ عن جهل من ظن أو توهم أن معنى الخبر الذي ذكرنا عن عائشة عن رسول الله أنه لم يفسر من القرآن شيئا إلا آيا تعد ،

هو أنه لم يكن يبين لأمته من تأويله إلا اليسير القليل منه ، هذا مع ما في الخبر الذي روي عن عائشة من العلة التي في إسناده التي لا يجوز معها الاحتجاج به لأحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها في الدين ، لأن راويه ممن لا يعرف في أهل الآثار وهو جعفر بن محمد الزبيري ،

وأما الأخبار التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه من التابعين بإحجامه عن التأويل فإن فعل من فعل ذلك منهم كفعل من أحجم منهم عن الفتيا في النوازل والحوادث مع إقراره بأن الله لم يقبض نبيه إليه إلا بعد إكمال الدين به لعباده وعلمه بأن لله في كل نازلة وحادثة حكما موجودا بنص أو دلالة

فلم يكن إحجامه عن القول في ذلك إحجام جاحد أن يكون لله فيه حكم موجود بين أظهر عباده ، ولكن إحجام خائف أن لا يبلغ في اجتهاده ما كلف الله العلماء من عباده فيه ،

فكذلك معنى إحجام من أحجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السلف إنما كان إحجامه عنه حذار أن لا يبلغ أداء ما كلف من إصابة صواب القول فيه ، لا على أن تأويل ذلك محجوب عن علماء الأمة غير موجود بين أظهرهم .

_ ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محمودا علمه بالتفسير ومن كان منهم مذموما علمه بذلك

96_ عن ابن مسعود قال نِعم ترجمان القرآن ابن عباس .

97_ عن ابن أبي مليكة قال رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحد فيقول له ابن عباس اكتب ، قال حتى سأله عن التفسير كله .

98_ عن مجاهد قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفته عند كل آية منه وأسأله عنها .

99_ عن سفيان الثوري قال إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به .

100_ عن عبد الملك بن ميسرة قال لم يلق الضحاك ابن عباس وإنما لقي سعيد بن جبير بالري وأخذ عنه التفسير .

101_ عن مشاش قال قلت للضحاك سمعت من ابن عباس شيئا ؟ قال لا .

102_ عن زكريا قال كان الشعبي يمر بأبي صالح باذان فيأخذ بأذنه فيعركها ويقول تفسر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن .

103_ عن ابن عباس (والله يقضي بالحق) قال قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة إن الله هو السميع البصير . قال الحسين فقلت للأعمش حدثني به الكلبي إلا أنه قال إن الله قادر أن يجزي بالسيئة السيئة وبالحسنة عشرا ، فقال الأعمش لو أن الذي عند الكلبي عندي ما خرج مني بحقير .

104_ عن صالح بن مسلم قال مر الشعبي على السدي وهو يفسر فقال لأن يضرب على استك بالطبل خير لك من مجلسك هذا .

105_ عن مسلم النخعي قال كنت مع إبراهيم فرأى السدي فقال أما إنه يفسر تفسير القوم .

106_ عن قتادة قال ما أرى أحدا يجري مع الكلبي في التفسير في عنان .

قال أبو جعفر قد قلنا فيما مضى من كتابنا هذا في وجوه تأويل القرآن وأن تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة أحدها لا سبيل إلى الوصول إليه وهو الذي استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن جميع خلقه ، وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة ،

مثل وقت قيام الساعة ووقت نزول عيسى ابن مريم ووقت طلوع الشمس من مغربها والنفخ في الصور وما أشبه ذلك ، والوجه الثاني ما خص الله بعلم تأويله نبيه دون سائر أمته وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجة فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول لهم تأويله ،

والثالث منها ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن ، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه لا توصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم ، فإذا كان ذلك كذلك فأحق المفسرين بإصابة الحق في تأويل القرآن الذي إلى علم تأويله للعباد سبيل أوضحهم حجة فيما تأول وفسر مما كان تأويله إلى رسول الله دون سائر أمته من أخبار رسول الله الثابتة عنه ،

إما من وجه النقل المستفيض فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض ، وإما من وجه نقل العدول الأثبات فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض ، أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحته وأوضحهم برهانا فيما ترجم وبين من ذلك مما كان مدركا علمه من جهة اللسان ،

إما بالشواهد من أشعارهم السائرة وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة كائنا من كان ذلك المتأول ، والمفسر بعد أن لا يكون خارجا تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة .

_ القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيِه

إن الله سمى تنزيله الذي أنزله على نبيه محمد أسماء أربعة منهن القرآن ، فقال في تسميته إياه بذلك في تنزيله (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) ، وقال (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) ،

ومنهن الفرقان ، قال جل ثناؤه في وحيه إلى نبيه يسميه بذلك (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) ، ومنهن الكتاب ، قال تبارك اسمه في تسميته إياه به (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) ،

ومنهن الذكر ، قال تعالى ذكره في تسميته إياه به (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب معنى ووجه غير معنى الآخر ووجهه .

فأما القرآن فإن المفسرين اختلفوا في تأويله والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس من التلاوة والقراءة وأن يكون مصدرا من قول القائل قرأت القرآن ، كقولك الخسران من خسرت والغفران من غفر الله لك والكفران من كفرتك ، والفرقان من فرق الله بين الحق والباطل .

107_ عن ابن عباس في قوله (فإذا قرأناه) يقول بيناه فاتبع قرآنه يقول اعمل به .

ومعنى قول ابن عباس هذا فإذا بيناه بالقراءة فاعمل بما بيناه لك بالقراءة ، ومما يوضح صحة ما قلنا في تأويل حديث ابن عباس هذا ما حدثني :

108_ عن ابن عباس (إن علينا جمعه وقرآنه) قال أن نقرئك فلا تنسى (فإذا قرأناه) عليك (فاتبع قرآنه) يقول إذا تلي عليك فاتبع ما فيه .

فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس أن معنى القرآن عنده القراءة فإنه مصدر من قول القائل قرأت علي ما قد قلناه ، وأما على قول قتادة فإن الواجب أن يكون مصدرا من قول القائل قرأت الشيء إذا

جمعته وضممت بعضه إلى بعض كقولك ما قرأت هذه الناقة سلى قط تريد بذلك أنها لم تضم رحما على ولد ،

كما قال عمرو بن كلثوم التغلبي تريك إذا دخلت على خلاءٍ ، وقد أمِنَت عيون الكاشِحِينَا ، ذراعي عيطَلٍ أدمَاءَ بِكرٍ / هجَانَ اللونِ لم تقرأ جَنِينا ، يعني بقوله لم تقرأ جنينا لم تضمم رحما على ولد ، وذلك حدثني :

109_ عن قتادة في قوله تعالى (إن علينا جمعه وقرآنه) يقول حفظه وتأليفه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) يقول اتبع حلاله واجتنب حرامه .

فرأى قتادة أن تأويل القرآن التأليف ، ولكلا القولين أعني قول ابن عباس وقول قتادة اللذين حكيناهما وجه صحيح في كلام العرب ، غير أن أولى قوليهما بتأويل قول الله (إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) قول ابن عباس ، لأن الله أمر نبيه في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحي إليه ولم يرخص له في ترك اتباع شيء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن ،

فكذلك قوله (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) نظير سائر ما في آي القرآن التي أمره الله فيها باتباع ما أوحي إليه في تنزيله ولو وجب أن يكون معنى قوله (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) فإذا ألفناه فاتبع ما ألفنا لك فيه لوجب أن لا يكون كان لزمه فرض (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ولا فرض (يا أيها المدثر قم فأنذر) قبل أن يؤلف إلى ذلك غيره من القرآن ،

وذلك إن قاله قائل خروج من قول أهل الملة ، وإذا صح أن حكم كل آية من آي القرآن كان لازما النبي اتباعه والعمل به مؤلفة كانت إلى غيرها أو غير مؤلفة صح ما قال ابن عباس في تأويل قوله (

فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أنه يعني به فإذا بيناه لك بقراءتنا فاتبع ما بيناه لك بقراءتنا دون قول من قال معناه فإذا ألفناه فاتبع ما ألفناه ،

وقد قيل إن قول الشاعر ضحوا بأشمط عنوان السجود به / يقطع الليل تسبيحا وقرآنا ، يعني به قائله تسبيحا وقراءة ، فإن قال قائل وكيف يجوز أن يسمى قرآنا بمعنى القراءة وإنما هو مقروء ؟ قيل كما جاز أن يسمى المكتوب كتابا بمعنى كتاب الكاتب ،

كما قال الشاعر في صفة كتاب طلاق كتبه لامرأته تؤمل رجعة مني وفيها / كتاب مثل ما لصق الغراء ، يريد طلاقا مكتوبا ، فجعل المكتوب كتابا وأما تأويل اسمه الذي هو فرقان ، فإن تفسير أهل التفسير جاء في ذلك بألفاظ مختلفة هي في المعاني مؤتلفة .

110_ عن عكرمة والسدي ومجاهد أنه كان يقول هو النجاة .

111_ عن ابن عباس قال الفرقان المخرج .

112_ عن مجاهد في قول الله (يوم الفرقان) يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل .

فكل هذه التأويلات في معنى الفرقان على اختلاف ألفاظها متقاربات المعاني ، وذلك أن من جعل له مخرج من أمر كان فيه فقد جعل ذلك المخرج منه نجاة ، وكذلك إذا نجى منه فقد نصر على من بغاه فيه سوءا وفرق بينه وبين باغيه بالسوء ، فجميع ما روينا عمن روينا عنه في معنى الفرقان قول صحيح المعنى لاتفاق معاني ألفاظهم في ذلك ،

وأصل الفرقان عندنا الفرق بين الشيئين والفصل بينهما وقد يكون ذلك بقضاء واستنقاذ وإظهار حجة وتصرف وغير ذلك من المعاني المفرقة بين المحق والمبطل ، فقد تبين بذلك أن القرآن سمي فرقانا لفصله بحجته وأدلته وحدوده وفرائضه وسائر معاني حكمه بين المحق والمبطل وفرقانه بينهما بنصره المحق وتخذيله المبطل حكما وقضاء ،

وأما تأويل اسمه الذي هو الكتاب فهو مصدر من قولك كتبت كتابا كما تقول قمت قياما وحسبت الشيء حسابا والكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة ومفترقة وسمي كتابا وإنما هو مكتوب كما قال الشاعر في البيت الذي استشهدنا به وفيها كتاب مثل ما لصق الغراء ، يعني به مكتوبا ،

وأما تأويل اسمه الذي هو الذكر فإنه محتمل معنيين ، أحدهما أنه ذكر من الله جل ذكره ذكر به عباده فعرفهم فيه حدوده وفرائضه وسائر ما أودعه من حكمه ، والآخر أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وصدق بما فيه ، كما قال جل ثناؤه (وإنه لذكر لك ولقومك) يعني به أنه شرف له ولقومه ثم لسور القرآن أسماء سماها بها رسول الله .

113_ عن واثلة بن الأسقع أن النبي قال أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل . (صحيح)

114_ عن أبي قلابة قال قال رسول الله أعطيت السبع الطول مكان التوراة وأعطيت المثاني مكان الزبور وأعطيت المئين مكان الإنجيل وفضلت بالمفصل . (حسن لغيره)

115_ عن خالد الحذّاء قال كانوا يسمون المفصل العربي ، قال بعضهم ليس في العربي سجدة .

116 _ عن ابن مسعود قال الطول كالتوارة والمئون كالإنجيل والمثاني كالزبور وسائر القرآن بَعْدُ فضْلٌ على الكتب .

117_ عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله قال أعطاني ربي مكان التوراة السبع الطول ومكان الإنجيل المثاني ومكان الزبور المئين وفضلني بالمفصل . (صحيح لغيره)

قال أبو جعفر فالسبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس في قول سعيد بن جبير .

118_ عن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ووضعتموهما في السبع الطول ؟ ما حملكم على ذلك ؟ ، قال عثمان كان رسول الله مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا ببعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ،

وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ووضعتهما في السبع الطول . (حسن)

فهذا الخبر ينبئ عن عثمان بن عفان رحمة الله عليه أنه لم يكن تبين له أن الأنفال وبراءة من السبع الطول ، ويصرح عن ابن عباس أنه لم يكن يرى ذلك منها وإنما سميت هذه السور السبع

الطول لطولها على سائر سور القرآن ، وأما المئون فهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مائة آية أو تزيد عليها شيئا أو تنقص منها شيئا يسيرا وأما المثاني فإنها ما ثنى المئين فتلاها ، وكان المئون لها أوائل وكان المثاني لها ثواني .

وقد قيل إن المثاني سميت مثاني لتثنية الله فيها الأمثال والخبر والعبر ، وهو قول ابن عباس .

119_ عن سعيد بن جبير أنه كان يقول إنما سميت مثاني لأنها ثنيت فيها الفرائض والحدود .

وقد قال جماعة يكثر تعدادهم القرآن كله مثان ، وقال جماعة أخرى بل المثاني فاتحة الكتاب لأنها تثنى قراءتها في كل صلاة ، وسنذكر أسماء قائلي ذلك وعللهم والصواب من القول فيما اختلفوا فيه من ذلك إذا انتهينا إلى تأويل قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) إن شاء الله ذلك ،

وبمثل ما جاءت الرواية عن رسول الله في أسماء سور القرآن التي ذكرت جاء شعر الشعراء ، فقال بعضهم حلفت بالسبع اللواتي طُوِّلَت / وبمئين بعدها قد أُمئِيَت ، وبمثانٍ ثُنِّيَت فكُرِّرَت وبالطواسين التي قد ثُلِّثَت ، وبالحواميم اللواتي سُبِّعَت / وبالمُفَصَّلِ اللواتي فُصِّلَت ،

قال أبو جعفر وهذه الأبيات تدل على صحة التأويل الذي تأولناه في هذه الأسماء ، وأما المفصل فإنها سميت مفصلا لكثرة الفصول التي بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم ، ثم تسمى كل سورة من القرآن سورة وتجمع سورا على تقدير خطبة وخطب وغرفة وغرف ،

والسورة بغير همز المنزلة من منازل الارتفاع ومن ذلك سور المدينة سمي بذلك الحائط الذي يحويها لارتفاعه على ما يحويه غير أن السورة من سور المدينة لم يسمع في جمعها سور كما سمع في جمع سورة من القرآن سور ،

قال العجاج في جمع السورة من البناء فرُبَّ ذي سرادق محجور / سرت إليه في أعالي السور ، فخرج بتقدير جمعها على تقدير جمع برة وبسرة ، لأن جمع ذلك بر وبسر ، وكذلك لم يسمع في جمع سورة من القرآن سور ولو جمعت كذلك لم يكن خطأ في القياس إذا أريد به جميع القرآن ،

وإنما تركوا فيما يرى جمعه كذلك لأن كل جمع كان بلفظ الواحد المذكر مثل بر وشعير وقصب وما أشبه ذلك ، فإن جماعه كالواحد من الأشياء غيره لأن حكم الواحد منه مفردا قلما يصاب فجرى جماعه مجرى الواحد من الأشياء غيره ،

ثم جعلت الواحدة منه كالقطعة من جميعه فقيل بُرَّةٌ وشعيرة وقصبة يراد به قطعة منه ، ولم تكن سور القرآن موجودة مجتمعة اجتماع البر والشعير وسور المدينة ، بل كل سورة منها موجودة منفردة بنفسها انفراد كل غرفة من الغرف وخطبة من الخطب ،

فجعل جمعها جمع الغرف والخطب المبني جمعها من واحدها ، ومن الدلالة على أن معنى السورة المنزلة من الارتفاع قول نابغة بني ذبيان ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى / كل ملك دونها يتذبذب ، يعني بذلك أن الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها منازل الملوك ،

وقد همز بعضهم السورة من القرآن وتأويلها في لغة من همزها القطعة التي أفضلت من القرآن عما سواها وأبقيت وذلك أن سؤر كل شيء البقية منه تبقى بعد الذي يؤخذ منه ولذلك سميت الفضلة من شراب الرجل يشربه ثم يفضلها فيبقيها في الإناء سؤرا ،

ومن ذلك قول أعشى بني ثعلبة يصف امرأة فارقته فأبقت من وجدها بقية : فبانت وقد أسأرت في الفؤاد / صدعا على نأيها مستطيرا ، وقال الأعشى في مثل ذلك بانت وقد أسأرت في النفس حاجتها / بعد ائتلاف وخير الود ما نفعا ،

وأما الآية من القرآن فإنها تحتمل وجهين في كلام العرب ، أحدهما أن تكون سميت آية لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها كالآية التي تكون دلالة على الشيء يستدل بها عليه ، كقول الشاعر أَلِكْنِي إليها عمرك الله يا فتى / بآية ما جاءت إلينا تَهَاديا ، يعني بعلامة ذلك ،

ومنه قوله جل ذكره (ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك) أي علامة منك لإجابتك دعاءنا وإعطائك إيانا سؤلنا ، والآخر منهما القصة كما قال كعب بن زهير بن أبي سلمى ألا بلغا هذا المعرض آيةً / أيقظانَ قال القول إذ قال أَمْ حَلَمَ ، يعني بقوله آية رسالة مني وخبرا عني ، فيكون معنى الآيات القصص قصة تتلو قصة بفصول ووصول .

_ القول في تأويل أسماء فاتحة الكتاب

قال أبو جعفر صح الخبر عن رسول الله بما حدثني :

120_ عن أبي هريرة عن رسول الله قال هي أم القرآن هي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني . (صحيح)

فهذه أسماء فاتحة الكتاب وسميت فاتحة الكتاب لأنها يفتتح بكتابتها المصاحف ويقرأ بها في الصلوات ، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة ،

وسميت أم القرآن لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها وتأخر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة ، وذلك من معناها شبيه بمعنى فاتحة الكتاب وإنما قيل لها لكونها كذلك أم القرآن لتسمية العرب كل جامع أمرا أو مقدما لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع ،

أما فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس وتسمي لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش ، أما ومن ذلك قول ذي الرمة يصف راية معقودة على قناة يجتمع تحتها هو وصحبه وأسمر قوام إذا نام صحبتي / خفيف الثياب لا تواري له أزرا ، على رأسه أم لنا نقتدي بها / جماع أمور لا نعاصي لها أمرا ، إذا نزلت قيل انزلوا وإذا غدت / غدت ذات برزيق ننال بها فخرا ،

يعني بقوله على رأسه أم لنا أي على رأس الرمح راية يجتمعون لها في النزول والرحيل وعند لقاء العدو ، وقد قيل إن مكة سميت أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ما سواها ، وقيل إنما سميت بذلك لأن الأرض دحيت منها فصارت لجميعها ،

أما ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالي إذا كانت الخمسون أمك لم يكن / لدائك إلا أن تموت طبيب ، لأن الخمسين جامعة ما دونها من العدد فسماها أما للذي قد بلغها ، وأما تأويل اسمها أنها السبع فإنها سبع آيات لا خلاف بين الجميع من القراء والعلماء في ذلك ،

وإنما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات ، فقال أعظم أهل الكوفة صارت سبع آيات ببسم الله الرحمن الرحيم ، وروي ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله والتابعين ، وقال آخرون هي سبع آيات وليس منهن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ولكن السابعة أنعمت عليهم ، وذلك قول أعظم قراء أهل المدينة ومتفقهيهم .

قال أبو جعفر وقد بينا الصواب من القول عندنا في ذلك في كتابنا اللطيف في أحكام شرائع الإسلام بوجيز من القول وسنستقصي بيان ذلك بحكاية أقوال المختلفين فيه من الصحابة والتابعين والمتقدمين والمتأخرين في كتابنا الأكبر في أحكام شرائع الإسلام إن شاء الله ذلك ، وأما وصف النبي آياتها السبع بأنهن مثان فلأنها تثنى قراءتها في كل صلاة تطوع ومكتوبة وكذلك كان الحسن البصري يتأول ذلك .

121_ عن أبي رجاء قال سألت الحسن عن قوله (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) قال هي فاتحة الكتاب ثم سئل عنها وأنا أسمع فقرأها (الحمد لله رب العالمين) حتى أتى على آخرها فقال تثنى في كل قراءة أو قال في كل صلاة .

والمعنى الذي قلنا في ذلك قصد أبو النجم العجلي بقوله الحمد لله الذي عافاني / وكل خير بعده أعطاني / من القران ومن المثاني ، وكذلك قول الراجز الآخر نشدتكم بمنزل الفرقان / أم الكتاب السبع من مثاني / تبين من آي من القرآن / والسبع سبع الطول الدواني ،

وليس في وجود اسم السبع المثاني لفاتحة الكتاب ما يدفع صحة وجود اسم المثاني للقرآن كله ولما يثنى من السور ، لأن لكل ذلك وجها ومعنى مفهوما لا يفسد بتسمية بعض ذلك بالمثاني

تسمية غيره بها ، فأما وجه تسمية مثاني المئين من سور القرآن بالمثاني فقد بينا صحته وسندل على صحة وجه تسمية جميع القرآن به عند انتهائنا إليه في سورة الزمر إن شاء الله .

_ القول في تأويل الاستعاذة

تأويل قوله (أعوذ)

والاستعاذة الاستجارة ، وتأويل قول القائل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أستجير بالله دون غيره من سائر خلقه من الشيطان أن يضرني في ديني أو يصدني عن حق يلزمني لربي .

_ تأويل قوله (من الشيطان)

والشيطان في كلام العرب كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء ، وكذلك قال ربنا جل ثناؤه (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن) فجعل من الإنس شياطين مثل الذي جعل من الجن .

122_ عن عمر بن الخطاب أنه ركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملتموني إلا على شيطان ، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي .

وإنما سُمِّيَ المتمرد من كل شيء شيطانا لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله وبعده عن الخير ، وقد قيل إنه أخذ من قول القائل شطنت داري من دارك يريد بذلك بعدت ، ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان نأت بسعاد عنك نوى ، شطون فبانت والفؤاد بها رهين ، والنوى الوجه الذي نوته وقصدته والشطون البعيد ،

فكأن الشيطان على هذا التأويل فيعال من شطن ، ومما يدل على أن ذلك كذلك قول أمية بن أبي الصلت أيما شاطن عصاه عكاه / ثم يلقى في السجن والأكبال ، ولو كان فعلان من شاط يشيط لقال أيما شائط ولكنه قال أيما شاطن لأنه من شطن يشطن فهو شاطن .

_ تأويل قوله (الرجيم)

وأما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول ، كقول القائل كف خضيب ولحية دهين ورجل لعين يريد بذلك مخضوبة ومدهونة وملعون ، وتأويل الرجيم الملعون المشتوم وكل مشتوم بقول رديء أو سب فهو مرجوم ، وأصل الرجم الرمي بقول كان أو بفعل ،

ومن الرجم بالقول قول أبي إبراهيم لإبراهيم صلوات الله عليه (لئن لم تنته لأرجمنك) ، وقد يجوز أن يكون قيل للشيطان رجيم لأن الله طرده من سمواته ورجمه بالشهب الثواقب ، وقد روي عن ابن عباس أن أول ما نزل جبريل على النبي علمه الاستعاذة .

123_ عن ابن عباس قال أول ما نزل جبريل على محمد قال يا محمد قل أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ، قال وهي أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل فأمره أن يتعوذ بالله دون خلقه .

_ سورة الفاتحة مكية وآياتها سبع (بسم الله الرحمن الرحيم)

_ القول في تأويل (بسم)

قال أبو جعفر إن الله وتقدست أسماؤه أدَّبَ نبيه محمدا بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ومقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته ، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها وسبيلا يتبعونه عليها في افتتاح أوائل منطقهم وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم ،

حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل (بسم الله) على ما بطن من مراده الذي هو محذوف ، وذلك أن الباء من (بسم الله) مقتضية فعلا يكون لها جالبا ولا فعل معها ظاهر فأغنت سامع القائل (بسم الله) معرفته بمراد قائله من إظهار قائل ذلك مراده قولا ،

إذ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمرا قد أحضر منطقه به إما معه وإما قبله بلا فصل ما قد أغنى سامعه من دلالة شاهدة على الذي من أجله أفتتح قيله به ، فصار استغناء سامع ذلك منه عن إظهار ما حذف منه ، نظير استغنائه إذا سمع قائلا قيل له ما أكلت اليوم ؟ فقال طعاما ، عن أن يكرر المسؤول مع قوله طعاما أكلت ،

لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه بتقدم مسألة السائل إياه عما أكل ، فمعقول إذا أن قول القائل إذا قال (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم افتتح تاليا سورة أن إتباعه (بسم الله الرحمن الرحيم) تلاوة السورة ينبئ عن معنى قوله (بسم الله الرحمن الرحيم) ،

ومفهوم به أنه مريد بذلك أقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وكذلك قوله (بسم الله) عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله ينبئ عن معنى مراده بقوله (بسم الله) ، وأنه أراد بقيله

(بسم الله) أقوم بسم الله وأقعد بسم الله ، وكذلك سائر الأفعال ، وهذا الذي قلنا في تأويل ذلك هو معنى قول ابن عباس .

124_ عن ابن عباس قال إن أول ما نزل به جبريل على محمد قال يا محمد قل أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم قال قال له جبريل قل بسم الله يا محمد يقول اقرأ بذكر الله ربك وقم واقعد بذكر الله .

قال أبو جعفر فإن قال لنا قائل فإن كان تأويل قوله (بسم الله) ما وصفت والجالب الباء في (بسم الله) ما ذكرت فكيف قيل (بسم الله) بمعنى أقرأ بسم الله أو أقوم أو أقعد بسم الله ، وقد علمت أن كل قارئ كتاب الله فبعون الله وتوفيقه قراءته وأن كل قائم أو قاعد أو فاعل فعلا فبالله قيامه وقعوده وفعله ،

وهلا إذا كان ذلك كذلك قيل (بسم الله الرحمن الرحيم) ولم يقل (بسم الله) فإن قول القائل أقوم وأقعد بالله الرحمن الرحيم أو أقرأ بالله أوضح معنى لسامعه من قوله (بسم الله) إذ كان قوله أقوم وأقعد بسم الله يوهم سامعه أن قيامه وقعوده بمعنى غير الله ،

قيل له إن المقصود إليه من معنى ذلك غير ما توهمته في نفسك ، وإنما معنى قوله (بسم الله) أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء أو أقرأ بتسمية الله أو أقوم وأقعد بتسمية الله وذكره لا أنه يعني بقيله (بسم الله) أقوم بالله أو أقرأ بالله ، فيكون قول القائل أقرأ بالله وأقوم وأقعد بالله أولى بوجه الصواب في ذلك من قوله بسم الله ،

فإن قال فإن كان الأمر في ذلك على ما وصفت فكيف قيل (بسم الله) وقد علمت أن الاسم اسم وأن التسمية مصدر من قولك سميت ؟ قيل إن العرب قد تخرج المصادر مبهمة على أسماء مختلفة ، كقولهم أكرمت فلانا كرامة وإنما بناء مصدر أفعلت إذا أخرج على فعله الإفعال ، وكقولهم أهنت فلانا هوانا وكلمته كلاما وبناء مصدر فعلت التفعيل ،

ومن ذلك قول الشاعر أكفرا بعد رد الموت عني / وبعد عطائك المائة الرتاعا ، يريد إعطائك ، ومنه قول الآخر وإن كان هذا البخل منك سجية / لقد كنت في طولي رجاءك أشعبا ، يريد في إطالتي رجاءك ، ومنه قول الآخر أظلوم إن مصابكم رجلا / أهدى السلام تحية ظلم ، يريد إصابتكم ،

والشواهد في هذا المعنى تكثر وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه ، فإذا كان الأمر على ما وصفنا من إخراج العرب مصادر الأفعال على غير بناء أفعالها كثيرا وكان تصديرها إياها على مخارج الأسماء موجودا فاشيا ، تبين بذلك صواب ما قلنا من التأويل في قول القائل (بسم الله) أن معناه في ذلك عند ابتدائه في فعل أو قول أبدأ بتسمية الله قبل فعلي أو قبل قولي ،

وكذلك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم) إنما معناه أقرأ مبتدئا بتسمية الله أو أبتدئ قراءتي بتسمية الله فجعل الاسم مكان التسمية كما جعل الكلام مكان التكليم والعطاء مكان الإعطاء ، وبمثل الذي قلنا من التأويل في ذلك روي الخبر عن ابن عباس .

125_ عن ابن عباس قال أول ما نزل جبريل على محمد قال يا محمد قل أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ، قال ابن عباس (بسم الله) يقول له جبريل يا محمد اقرأ بذكر الله ربك وقم واقعد بذكر الله .

وهذا التأويل من ابن عباس ينبئ عن صحة ما قلنا من أنه يراد بقول القائل مفتتحا قراءته (بسم الله الرحمن الرحيم) أقرأ بتسمية الله وذكره وأفتتح القراءة بتسمية الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وفساد قول من زعم أن معنى ذلك من قائله بالله الرحمن الرحيم في كل شيء ،

مع أن العباد إنما أمروا أن يبتدئوا عند فواتح أمورهم بتسمية الله لا بالخبر عن عظمته وصفاته ، كالذي أمروا به من التسمية على الذبائح والصيد وعند المطعم والمشرب وسائر أفعالهم ، وكذلك الذي أمروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله وصدور رسائلهم وكتبهم ،

ولا خلاف بين الجميع من علماء الأمة أن قائلا لو قال عند تذكيته بعض بهائم الأنعام بالله ولم يقل (بسم الله) أنه مخالف بتركه قيل (بسم الله) ما سن له عند التذكية من القول وقد علم بذلك أنه لم يرد بقوله (بسم الله) بالله ،

كما قال الزاعم أن اسم الله في قول الله (بسم الله الرحمن الرحيم) هو الله ، لأن ذلك لو كان كما زعم لوجب أن يكون القائل عند تذكيته ذبيحته بالله قائلا ما سن له من القول على الذبيحة ، وفي إجماع الجميع على أن قائل ذلك تارك ما سن له من القول على ذبيحته إذ لم يقل بسم الله دليل واضح على فساد ما ادعى من التأويل في قول القائل (بسم الله) وأنه مراد به بالله وأن اسم الله هو الله ،

وليس هذا الموضع من مواضع الإكثار في الإبانة عن الاسم أهو المسمى أم غيره أم هو صفة له فنطيل الكتاب به وإنما هو موضع من مواضع الإبانة عن الاسم المضاف إلى الله أهو اسم أم مصدر بمعنى التسمية ،

فإن قال قائل فما أنت قائل في بيت لبيد بن ربيعة إلى الحول ثم اسم السلام عليكما / ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر ، فقد تأوله مقدم في العلم بلغة العرب أنه معني به ثم السلام عليكما وأن اسم السلام هو السلام ،

قيل له لو جاز ذلك وصح تأويله فيه على ما تأول لجاز أن يقال رأيت اسم زيد وأكلت اسم الطعام وشربت اسم الشراب ، وفي إجماع جميع العرب على إحالة ذلك ما ينبئ عن فساد تأويل من تأول قول لبيد ، ثم اسم السلام عليكما أنه أراد ثم السلام عليكما وادعائه أن إدخال الاسم في ذلك وإضافته إلى السلام ،

إنما جاز إذا كان اسم المسمى هو المسمى بعينه ويسأل القائلون قول من حكينا قوله هذا ، فيقال لهم أتستجيزون في العربية أن يقال أكلت اسم العسل يعني بذلك أكلت العسل كما جاز عندكم اسم السلام عليك وأنتم تريدون السلام عليك ؟ فإن قالوا نعم خرجوا من لسان العرب وأجازوا في لغتها ما تخطئه جميع العرب في لغتها ،

وإن قالوا لا سئلوا الفرق بينهما ، فلن يقولوا في أحدهما قولا إلا ألزموا في الآخر مثله ، فإن قال لنا قائل فما معنى قول لبيد هذا عندك ؟ قيل له يحتمل ذلك وجهين كلاهما غير الذي قاله من حكينا قوله ، أحدهما أن السلام اسم من أسماء الله ،

فجائز أن يكون لبيد عنى بقوله ثم اسم السلام عليكما ثم الزما اسم الله وذكره بعد ذلك ودعا ذكري والبكاء علي على وجه الإغراء ، فرفع الاسم إذا أخر الحرف الذي يأتي بمعنى الإغراء ، وقد تفعل العرب ذلك إذا أخرت الإغراء وقدمت المغرى به وإن كانت قد تنصب به وهو مؤخر ،

ومن ذلك قول الشاعر يا أيها المائح دلوي دونكا / إني رأيت الناس يحمدونكا ، فأغرى بدونك وهي مؤخرة وإنما معناه دونك دلوي ، فذلك قول لبيد إلى الحول ، ثم اسم السلام عليكما يعني عليكما اسم السلام أي الزما ما ذكر الله ودعا ذكري والوجد بي ،

لأن من بكى حولا على امرئ ميت فقد اعتذر ، فهذا أحد وجهيه والوجه الآخر منهما ثم تسميتي الله عليكما ، كما يقول القائل للشيء يراه فيعجبه واسم الله عليك يعوذه بذلك من السوء ، فكأنه قال ثم اسم الله عليكما من السوء ، وكأن الوجه الأول أشبه المعنيين بقول لبيد ،

ويقال لمن وجه بيت لبيد هذا إلى أن معناه ثم السلام عليكما أترى ما قلنا من هذين الوجهين جائزا أو أحدهما أو غير ما قلت فيه ؟ فإن قال لا أبان مقداره من العلم بتصاريف وجوه كلام العرب وأغنى خصمه عن مناظرته ، وإن قال بلى قيل له فما برهانك على صحة ما ادعيت من التأويل أنه الصواب دون الذي ذكرت أنه محتمله من الوجه الذي يلزمنا تسليمه لك ؟ ولا سبيل إلى ذلك ، وأما الخبر الذي حدثنا :

126_ عن ابن مسعود وأبي سعيد قال قال رسول الله إن عيسى ابن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم اكتب بسم ، فقال له عيسى وما بسم ؟ فقال له المعلم ما أدري ، فقال عيسى الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مملكته . (ضعيف جدا)

فأخشى أن يكون غلطا من المحدث وأن يكون أراد ب س م على سبيل ما يعلم المبتدئ من الصبيان في الكتاب حروف أبي جاد ، فغلط بذلك فوصله فقال بسم لأنه لا معنى لهذا التأويل إذا

تلي (بسم الله الرحمن الرحيم) على ما يتلوه القارئ في كتاب الله لاستحالة معناه على المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها إذا حمل تأويله على ذلك .

_ القول في تأويل قوله تعالى (الله)

وأما تأويل قول الله الله فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق .

127_ عن ابن عباس قال الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين .

فإن قال لنا قائل فهل لذلك في فعل ويفعل أصل كان منه بناء هذا الاسم ؟ قيل أما سماعا من العرب فلا ولكن استدلالا ، فإن قال وما دل على أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود وأن له أصلا في فعل ويفعل ، قيل لا تمانع بين العرب في الحكم لقول القائل يصف رجلا بعبادة ويطلب مما عند الله جل ذكره تأله فلان بالصحة ولا خلاف ،

ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج لله در الغانيات المُدَّهِ / سبحن واسترجعن من تألهي ، يعني من تعبدي وطلبي الله بعمل ، ولا شك أن التأله التفعل من أله يأله وأن معنى أله إذا نطق به عبد الله ، وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بفعل يفعل بغير زيادة .

128_ عن ابن عباس أنه قرأ (ويذرك وإلاهتك) قال عبادتك ويقال إنه كان يُعبَد ولا يَعبُد .

129_ عن ابن عباس (ويذرك وإلاهتك) قال إنما كان فرعون يعبد ولا يعبد .

وكذلك كان عبد الله يقرؤها ومجاهد .

130_ عن مجاهد قوله (ويذرك وإلاهتك) قال وعبادتك .

ولا شك أن الإلاهة على ما فسره ابن عباس ومجاهد مصدر من قول القائل أله الله فلان إلاهة ، كما يقال عبد الله فلان عبادة وعبر الرؤيا عبارة ، فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا أن أله عبد وأن الإلاهة مصدره ،

فإن قال فإن كان جائزا أن يقال لمن عبد الله ألهه على تأويل قول ابن عباس ومجاهد فكيف الواجب في ذلك أن يقال إذا أراد المخبر الخبر عن استيجاب الله ذلك على عبده ؟ قيل أما الرواية فلا رواية عندنا ولكن الواجب على قياس ما جاء به الخبر عن رسول الله .

131_ عن ابن مسعود وأبي سعيد قال قال رسول الله إن عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم اكتب الله فقال له عيسى أتدري ما الله ؟ الله إله الآلهة . (ضعيف جدا)

أن يقال الله أله العبد والعبد ألهه وأن يكون قول القائل الله من كلام العرب أصله الإله ، فإن قال وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك مع اختلاف لفظيهما ؟ قال كما جاز أن يكون قوله (لكنا هو الله ربي أصله ولكن أنا هو الله ربي ،

كما قال الشاعر وترمينني بالطرف أي أنت مذنب / وتقلينني لكن إياك لا أقلي ، يريد لكن أنا إياك لا أقلي فحذف الهمزة من أنا فالتقت نون أنا ونون لكن وهي ساكنة فأدغمت في نون أنا فصارتا نونا مشددة ،

فكذلك الله أصله الإله أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الأخرى التي هي عين الاسم فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة ، كما وصفنا من قول الله (لكنا هو الله ربي) .

_ القول في تأويل قوله تعالى (الرحمن الرحيم)

أما الرحمن فهو فعلان من رحم والرحيم فعيل منه ، والعرب كثيرا ما تبني الأسماء من فعل يفعل على فعلان كقولهم من غضب غضبان ومن سكر سكران ومن عطش عطشان ، فكذلك قولهم رحمن من رحم لأن فعل منه رحم يرحم وقيل رحيم وإن كانت عين فعل منها مكسورة لأنه مدح ،

ومن شأن العرب أن يحملوا أبنيه الأسماء إذا كان فيها مدح أو ذم على فعيل وإن كانت عين فعل منها مكسورة أو مفتوحة ، كما قالوا من علم عالم وعليم ومن قدر قادر وقدير ، وليس ذلك منها بناء على أفعالها ، لأن البناء من فعل يفعل وفعل يفعل فاعل ،

فلو كان الرحمن والرحيم خارجين عن بناء أفعالهما لكانت صورتهما الراحم ، فإن قال قائل فإذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة فما وجه تكرير ذلك وأحدهما مؤد عن معنى الآخر ؟ قيل له ليس الأمر في ذلك على ما ظننت بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى منهما عنها ،

فإن قال وما المعنى الذي انفردت به كل واحدة منهما فصارت إحداهما غير مؤدية المعنى عن الأخرى ؟ قيل أما من جهة العربية فلا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب أن قول القائل الرحمن عن أبنية الأسماء من فعل يفعل أشد عدولا من قوله الرحيم ،

ولا خلاف مع ذلك بينهم أن كل اسم كان له أصل في فعل يفعل ثم كان عن أصله من فعل يفعل أشد عدولا أن الموصوف به مفضل على الموصوف بالاسم المبني على أصله من فعل يفعل إذا كانت التسمية به مدحا أو ذما ، فهذا ما في قول القائل الرحمن من زيادة المعنى على قوله الرحيم في اللغة ، وأما من جهة الأثر والخبر ففيه بين أهل التأويل اختلاف فحدثني :

132_ عن محمد العرزمي قال (الرحمن الرحيم) قال الرحمن بجميع الخلق الرحيم قال بالمؤمنين .

133_ عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري قال قال رسول الله إن عيسى ابن مريم قال الرحمن رحمن الآخرة والدنيا والرحيم رحيم الآخرة . (ضعيف جدا)

فهذان الخبران قد أنبآ عن فرق ما بين تسمية الله باسمه الذي هو رحمن وتسميته باسمه الذي هو رحيم واختلاف معنى الكلمتين وإن اختلفا في معنى ذلك الفرق ، فدل أحدهما على أن ذلك في الدنيا ودل الآخر على أنه في الآخرة ،

فإن قال فأي هذين التأويلين أولى عندك بالصحة ؟ قيل لجميعهما عندنا في الصحة مخرج ، فلا وجه لقول قائل أيهما أولى بالصحة ، وذلك أن المعنى الذي في تسمية الله بالرحمن دون الذي في تسميته بالرحيم هو أنه بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه ،

وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه ، إما في كل الأحوال وإما في بعض الأحوال ، فلا شك إذا كان ذلك كذلك أن ذلك الخصوص الذي في وصفه بالرحيم لا يستحيل عن معناه في الدنيا كان ذلك أو في الآخرة أو فيهما جميعا ،

فإذا كان صحيحا ما قلنا من ذلك وكان الله قد خص عباده المؤمنين في عاجل الدنيا بما لطف بهم في توفيقه إياهم لطاعته والإيمان به وبرسله واتباع أمره واجتناب معاصيه مما خذل عنه من أشرك به فكفر وخالف ما أمره به وركب معاصيه ،

وكان مع ذلك قد جعل جل ثناؤه ما أعد في آجل الآخرة في جناته من النعيم المقيم والفوز المبين لمن آمن به وصدق رسله وعمل بطاعته خالصا دون من أشرك وكفر به كان بينا أن الله قد خص المؤمنين من رحمته في الدنيا والآخرة مع ما قد عمهم به والكفار في الدنيا من الإفضال والإحسان إلى جميعهم في البسط في الرزق وتسخير السحاب بالغيث وإخراج النبات من الأرض وصحة الأجسام والعقول وسائر النعم التي لا تحصى التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون ،

فربنا جل ثناؤه رحمن جميع خلقه في الدنيا والآخرة ورحيم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ، فأما الذي عم جميعهم به في الدنيا من رحمته فكان رحمانا لهم به فما ذكرنا مع نظائره التي لا سبيل إلى إحصائها لأحد من خلقه ، كما قال جل ثناؤه (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ،

وأما في الآخرة فالذي عم جميعهم به فيها من رحمته فكان لهم رحمانا تسويته بين جميعهم جل ذكره في عدله وقضائه فلا يظلم أحدا منهم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ، وتُوَفَّى كلُّ نفسٍ ما كسبت ، فذلك معنى عمومه في الآخرة جميعهم برحمته الذي كان به رحمانا في الآخرة ،

وأما ما خص به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته الذي كان به رحيما لهم فيها ، كما قال جل ذكره (وكان بالمؤمنين رحيما) فما وصفنا من اللطف لهم في دينهم فخصهم به دون من خذله من

أهل الكفر به ، وأما ما خصهم به في الآخرة فكان به رحيما لهم دون الكافرين فما وصفنا آنفا مما أعد لهم دون غيرهم من النعيم والكرامة التي تقصر عنها الأماني ، وأما القول الآخر في تأويله فهو ما حدثنا :

134_ عن ابن عباس قال الرحمن الفعلان من الرحمة وهو من كلام العرب قال (الرحمن الرحيم) الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه وكذلك أسماؤه كلها .

وهذا التأويل من ابن عباس يدل على أن الذي به ربنا رحمن هو الذي به رحيم ، وإن كان لقوله الرحمن من المعنى ما ليس لقوله الرحيم ، لأنه جعل معنى الرحمن بمعنى الرقيق على من رق عليه ، ومعنى الرحيم بمعنى الرفيق بمن رفق به ،

والقول الذي رويناه في تأويل ذلك عن النبي وذكرناه عن العرزمي أشبه بتأويله من هذا القول الذي روينا عن ابن عباس ، وإن كان هذا القول موافقا معناه معنى ذلك في أن للرحمن من المعنى ما ليس للرحيم وأن للرحيم تأويلا غير تأويل الرحمن . والقول الثالث في تأويل ذلك ما حدثني :

135_ عن عطاء الخراساني قال كان الرحمن فلما اختزل الرحمن من اسمه كان الرحمن الرحيم .

والذي أراد إن شاء الله عطاء بقوله هذا أن الرحمن كان من أسماء الله التي لا يتسمى بها أحد من خلقه ، فلما تسمى به الكذاب مسيلمة وهو اختزاله إياه يعني اقتطاعه من أسمائه لنفسه أخبر الله أن اسمه الرحيم الرحيم ، ليفصل بذلك لعباده اسمه من اسم من قد تسمى بأسمائه ،

إذ كان لا يسمى أحد الرحمن الرحيم فيجمع له هذان الاسمان غيره جل ذكره وإنما تسمى بعض خلقه إما رحيما أو يتسمى رحمن ، فأما رحمن رحيم فلم يجتمعا قط لأحد سواه ولا يجمعان لأحد غيره ، فكأن معنى قول عطاء هذا أن الله إنما فصل بتكرير الرحيم على الرحمن بين اسمه واسم غيره من خلقه اختلف معناهما أو اتفقا ،

والذي قال عطاء من ذلك غير فاسد المعنى ، بل جائز أن يكون جل ثناؤه خص نفسه بالتسمية بهما معا مجتمعين إبانة لها من خلقه ليعرف عباده بذكرهما مجموعين أنه المقصود بذكرهما دون من سواه من خلقه ، مع ما في تأويل كل واحد منهما من المعنى الذي ليس في الآخر منهما ،

وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن ولم يكن ذلك في لغتها ، ولذلك قال المشركون للنبي (وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) إنكارا منهم لهذا الاسم كأنه كان محالا عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته أو كأنه لم يتل من كتاب الله قول الله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) يعني محمدا (كما يعرفون أبناءهم) ،

وهم مع ذلك به مكذبون ولنبوته جاحدون فيعلم بذلك أنهم قد كانوا يدافعون حقيقة ما قد ثبت عندهم صحته واستحكمت لديهم معرفته ، وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء ألا ضربت تلك الفتاة هجينها / ألا قَضَبَ الرحمنُ ربِّي يمينَها ، وقال سلامة بن جندل الطهوي عجلتم علينا عجلتينا عليكم ، وما يشأ الرحمن يَعقِدُ ويُطلِق ،

وقد زعم أيضا بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل وقلَّتْ روايته لأقوال السلف من أهل التفسير أن الرحمن مجازه ذو الرحمة والرحيم مجازه الراحم ، ثم قال قد يقدرون اللفظين من لفظ والمعنى واحد وذلك لاتساع الكلام عندهم قال وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا ندمان ونديم ،

ثم استشهد بقول برج بن مسهر الطائي وندمان يزيد الكأس طيبا / سقيت وقد تغورت النجوم ، واستشهد بأبيات نظائر له في النديم والندمان ، ففرق بين معنى الرحمن والرحيم في التأويل لقوله الرحمن ذو الرحمة والرحيم الراحم ،

وإن كان قد ترك بيان تأويل معنيهما على صحته ، ثم مثل ذلك باللفظين يأتيان بمعنى واحد فعاد إلى ما قد جعله بمعنيين فجعله مثال ما هو بمعنى واحد مع اختلاف الألفاظ ، ولا شك أن ذا الرحمة هو الذي ثبت أن له الرحمة ، وصح أنها له صفة وأن الراحم هو الموصوف بأنه سيرحم أو قد رحم فانقضى ذلك منه أو هو فيه ،

ولا دلالة له فيه حينئذ أن الرحمة له صفة كالدلالة على أنها له صفة إذا وصفه بأنه ذو الرحمة ، فأين معنى الرحمن الرحيم على تأويله من معنى الكلمتين يأتيان مقدرتين من لفظ واحد باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ، ولكن القول إذا كان غير أصل معتمد عليه كان واضحا عواره ،

وإن قال لنا قائل ولم قدم اسم الله الذي هو الله على اسمه الذي هو الرحمن واسمه الذي هو الرحمن على اسمه الذي هو الرحيم ؟ قيل لأن من شأن العرب إذا أرادوا الخبر عن مخبر عنه أن يقدموا اسمه ثم يتبعوه صفاته ونعوته ،

وهذا هو الواجب في الحكم أن يكون الاسم مقدما قبل نعته وصفته ليعلم السامع الخبر عمن الخبر ، فإذا كان ذلك كذلك وكان لله جل ذكره أسماء قد حرم على خلقه أن يتسموا بها خص بها نفسه دونهم ، وذلك مثل الله والرحمن والخالق وأسماء أباح لهم أن يسمي بعضهم بعضا بها ، وذلك كالرحيم والسميع والبصير والكريم وما أشبه ذلك من الأسماء ،

كان الواجب أن يقدم أسماءه التي هي له خاصة دون جميع خلقه ليعرف السامع ذلك من توجه إليه الحمد والتمجيد ، ثم يتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمى بها غيره بعد علم المخاطب أو السامع من توجه إليه ما يتلو ذلك من المعاني ، فبدأ الله جل ذكره باسمه الذي هو الله لأن الألوهية ليست لغيره جل ثناؤه بوجه من الوجوه لا من جهة التسمي به ولا من جهة المعنى ،

وذلك أنا قد بينا أن معنى الله هو المعبود ولا معبود غيره ﷻ ، وأن التسمي به قد حرمه الله وإن قصد المتسمي به ما يقصد المتسمي بسعيد وهو شقي وبحسن وهو قبيح ، أولا ترى أن الله قال في غير آية من كتابه (أإله مع الله) فاستكبر ذلك من المقر به ،

وقال تعالى في خصوصية نفسه بالله وبالرحمن (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى) ، ثم ثنى باسمه الذي هو الرحمن إذ كان قد منع أيضا خلقه التسمي به وإن كان من خلقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه ، وذلك أنه قد يجوز وصف كثير ممن هو دون الله من خلقه ببعض صفات الرحمة ،

وغير جائز أن يستحق بعض الألوهية أحد دونه ، فلذلك جاء الرحمن ثانيا لاسمه الذي هو الله ، وأما اسمه الذي هو الرحيم فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصف غيره به والرحمة من صفاته جل ذكره ، فكان إذ كان الأمر على ما وصفنا واقعا مواقع نعوت الأسماء اللواتي هن توابعها بعد تقدم الأسماء عليها ،

فهذا وجه تقديم اسم الله الذي هو الله على اسمه الذي هو الرحمن واسمه الذي هو الرحمن على اسمه الذي هو الرحيم ، وقد كان الحسن البصري يقول في الرحمن مثل ما قلنا أنه من أسماء الله التي منع التسمي بها لعباده .

136_ عن الحسن البصري قال الرحمن اسم ممنوع .

مع أن في إجماع الأمة من منع التسمي به جميع الناس ما يغني عن الاستشهاد على صحة ما قلنا في ذلك بقول الحسن وغيره .

_ القول في تأويل فاتحة الكتاب (الحمد لله رب العالمين)

معنى (الحمد لله) الشكر خالصا لله جل ثناؤه دون سائر ما يعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الآلات لطاعته وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه ،

مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم لذلك عليه ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم ، فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا ، وبما ذكرنا من تأويل قول ربنا جل ذكره وتقدست أسماؤه (الحمد لله) جاء الخبر عن ابن عباس وغيره .

137_ عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد قل يا محمد الحمد لله ، قال ابن عباس الحمد لله هو الشكر والاستخذاء لله والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك .

138_ عن الحكم بن عمير قال قال النبي إذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك (ضعيف)

وقد قيل إن قول القائل (الحمد لله) ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنى وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه ، وقد روي عن كعب الأحبار أنه قال الحمد لله ثناء على الله ولم يبين في الرواية عنه من أي معنيي الثناء اللذين ذكرنا ذلك .

139_ عن كعب قال من قال الحمد لله فذلك ثناء علي الله .

140_ عن الأسود بن سريع أن النبي قال ليس شيء أحب إليه الحمد من الله ولذلك أثنى على نفسه فقال الحمد لله . (حسن)

ولا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم لقول القائل الحمد لله شكرا بالصحة ، فقد تبين إذ كان ذلك عند جميعهم صحيحا أن الحمد لله قد ينطق به في موضع الشكر وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد ،

لأن ذلك لو لم يكن كذلك لما جاز أن يقال الحمد لله شكرا فيخرج من قول القائل الحمد لله مصدر أشكر لأن الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد كان خطأ أن يصدر من الحمد غير معناه وغير لفظه ، فإن قال لنا قائل وما وجه إدخال الألف واللام في الحمد وهلا قيل حمدا لله رب العالمين ، قيل إن لدخول الألف واللام في الحمد معنى لا يؤديه قول القائل حمدا بإسقاط الألف واللام ،

وذلك أن دخولهما في الحمد منبئ على أن معناه جميع المحامد والشكر الكامل لله ، ولو أسقطتا منه لما دل إلا على أن حمد قائل ذلك لله دون المحامد كلها ، إذ كان معنى قول القائل حمدا لله أو حمد لله أحمد الله حمدا وليس التأويل في قول القائل (الحمد لله رب العالمين) تاليا سورة أم القرآن أحمد الله ،

بل التأويل في ذلك ما وصفنا قبل من أن جميع المحامد لله بألوهيته وإنعامه على خلقه بما أنعم به عليهم من النعم التي لا كفء لها في الدين والدنيا والعاجل والآجل ، ولذلك من المعنى تتابعت قراءة القراء وعلماء الأمة على رفع الحمد من (الحمد لله رب العالمين) دون نصبها الذي يؤدي إلى الدلالة على أن معنى تاليه ،

كذلك أحمد الله حمدا ولو قرأ قارئ ذلك بالنصب لكان عندي محيلا معناه ومستحقا العقوبة على قراءته إياه ، كذلك إذا تعمد قراءته كذلك وهو عالم بخطئه وفساد تأويله ، فإن قال لنا قائل وما معنى قوله الحمد لله ؟ أحمد الله نفسه جل ثناؤه فأثنى عليها ثم علمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه ؟

فإن كان ذلك كذلك فما وجه قوله تعالى ذكره إذا (إياك نعبد وإياك نستعين) وهو عز ذكره معبود لا عابد ؟ أم ذلك من قيل جبريل أو محمد رسول الله ؟ فقد بطل أن يكون ذلك لله كلاما ، قيل بل ذلك كله كلام الله ولكنه جل ذكره حمد نفسه وأثنى عليها بما هو له أهل ثم علم ذلك عباده وفرض عليهم تلاوته اختبارا منه لهم وابتلاء ،

فقال لهم قولوا الحمد لله رب العالمين وقولوا إياك نعبد وإياك نستعين ، فقوله (إياك نعبد) مما علمهم جل ذكره أن يقولوه ويدينوا له بمعناه ، وذلك موصول بقوله (الحمد لله رب العالمين) ، وكأنه قال قولوا هذا وهذا فإن قال وأين قوله قولوا فيكون تأويل ذلك ما ادعيت ؟

قيل قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها إذا عرفت مكان الكلمة ولم تشك أن سامعها يعرف بما أظهرت من منطقها ما حذفت حذف ما كفى منه الظاهر من منطقها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حذفت قولا أو تأويل قول ،

كما قال الشاعر وأعلم أنني لأكون رمسا / إذا سار النواعج لا يسير ، فقال السائلون لمن حفرتم / فقال المخبرون لهم وزير ، قال أبو جعفر يريد بذلك فقال المخبرون لهم الميت وزير فأسقط الميت ، إذ كان قد أتى من الكلام بما يدل على ذلك ،

وكذلك قول الآخر ورأيت زوجك في الوغى / متقلدا سيفا ورمحا ، وقد علم أن الرمح لا يتقلد وإنما أراد وحاملا رمحا ، ولكن لما كان معلوما معناه اكتفى بما قد ظهر من كلامه عن إظهار ما حذف منه ، وقد يقولون للمسافر إذا ودعوه مصاحبا معافى يحذفون سر واخرج إذ كان معلوما معناه ،

وإن أسقط ذكره فكذلك ما حذف من قول الله (الحمد لله رب العالمين) لما علم بقوله جل وعز (إياك نعبد) ما أراد بقوله (الحمد لله رب العالمين) من معنى أمره عباده أغنت دلالة ما ظهر عليه من القول عن إبداء ما حذف ،

وقد روينا الخبر الذي قدمنا ذكره مبتدأ في تفسير قول الله (الحمد لله رب العالمين) عن ابن عباس وأنه كان يقول إن جبريل قال لمحمد قل يا محمد (الحمد لله رب العالمين) ، وبينا أن جبريل إنما علم محمدا ما أمر بتعليمه إياه وهذا الخبر ينبئ عن صحة ما قلنا في تأويل ذلك .

_ القول في تأويل قوله تعالى (رب)

قد مضى البيان عن تأويل اسم الله الذي هو الله في بسم الله فلا حاجة بنا إلى تكراره في هذا الموضع ، وأما تأويل قوله (رب) فإن الرب في كلام العرب متصرف على معان فالسيد المطاع فيها يدعى ربا ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة وأهلكن يوما رب كندة وابنه / ورب معد بين خبت وعرعر ، يعني برب كندة سيد كندة ،

ومنه قول نابغة بني ذبيان تخب إلى النعمان حتى تناله فدى لك / من رب طريفي وتالدي ، والرجل المصلح للشيء يدعى رَبّا ، ومنه قول الفرزدق بن غالب كانوا كسالئة حمقاء إذ / حقنت سلاءها في أديم غير مربوب ، يعني بذلك في أديم غير مصلح ،

ومن ذلك قيل إن فلانا يرب صنيعته عند فلان إذا كان يحاول إصلاحها وإدامتها ، ومن ذلك قول علقمة بن عبدة فكنت امرأ أفضت إليك ربابتي / وقبلك ربتني فضعت ربوب ، يعني بقوله أفضت إليك أي أوصلت إليك ربابتي ،

فصرت أنت الذي ترب أمري فتصلحه لما خرجت من ربابة غيرك من الملوك الذين كانوا قبلك علي فضيعوا أمري وتركوا تفقده ، وهم الربوب واحدهم رب ، والمالك للشيء يدعى ربه ، وقد يتصرف أيضا معنى الرب في وجوه غير ذلك غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة ،

فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سؤدده والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه والمالك الذي له الخلق والأمر ، وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله جل ثناؤه (رب العالمين) جاءت الرواية عن ابن عباس .

141_ عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد يا محمد قل (الحمد لله رب العالمين) ، قال ابن عباس يقول قل الحمد لله الذي له الخلق كله السموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن وما بينهن مما يعلم ومما لا يعلم يقول اعلم يا محمد أن ربك هذا لا يشبهه شيء .

_ القول في تأويل قوله تعالى (العالمين)

والعالمون جمع عالَم ، والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالأنام والرهط والجيش ونحو ذلك من الأسماء التي هي موضوعات على جماع لا واحد له من لفظه ، والعالم اسم لأصناف الأمم وكل صنف منها عالم وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان ،

فالإنس عالم وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان والجن عالم وكذلك سائر أجناس الخلق كل جنس منها عالم زمانه ، ولذلك جمع فقيل عالمون وواحده جمع لكون عالم كل زمان من ذلك عالم ذلك الزمان ، ومن ذلك قول العجاج فخندف هامة هذا العالم ، فجعلهم عالم زمانه ، وهذا القول الذي قلناه قول ابن عباس وسعيد بن جبير وهو معنى قول عامة المفسرين .

142_ عن ابن عباس (الحمد لله رب العالمين) الحمد لله الذي له الخلق كله السموات والأرض ومن فيهن وما بينهن مما يعلم ولا يعلم .

143_ عن ابن عباس (رب العالمين) الجن والإنس .

144_ عن ابن عباس في قول الله جل وعز (رب العالمين) قال رب الجن والإنس .

145_ عن سعيد بن جبير قوله (رب العالمين) قال الجن والإنس .

146 _ عن سعيد بن جبير قوله (رب العالمين) قال ابن آدم والجن والإنس كل أمة منهم عالم على حدته .

147_ عن مجاهد (الحمد لله رب العالمين) قال الإنس والجن .

148_ عن قتادة (رب العالمين) قال كل صنف عالم .

149_ عن أبي العالية في قوله (رب العالمين) قال الإنس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم أو أربعة عشر ألف عالم وهو يشك من الملائكة على الأرض وللأرض أربع زوايا في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته .

150_ عن ابن جريج في قوله (رب العالمين) قال الجن والإنس .

_ القول في تأويل قوله تعالى (الرحمن الرحيم)

قد مضى البيان عن تأويل قوله (الرحمن الرحيم) في تأويل بسم الله الرحمن الرحيم فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع ولم يحتج إلى الإبانة عن وجه تكرير الله ذلك في هذا الموضع ، إذ كنا لا نرى أن بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة الكتاب آية ،

فيكون علينا لسائل مسألة بأن يقول ما وجه تكرير ذلك في هذا الموضع وقد مضى وصف الله به نفسه في قوله (بسم الله الرحمن الرحيم) مع قرب مكان إحدى الآيتين من الأخرى ومجاورتها لصاحبتها ، بل ذلك لنا حجة على خطأ دعوى من ادعى أن بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ من فاتحة الكتاب آية ،

إذ لو كان ذلك كذلك لكان ذلك إعادة آية بمعنى واحد ولفظ واحد مرتين من غير فصل يفصل بينهما وغير موجود في شيء من كتاب الله آيتان متجاورتان مكررتان بلفظ واحد ومعنى واحد لا فصل بينهما من كلام يخالف معناه معناهما ،

وإنما يأتي بتكرير آية بكمالها في السورة الواحدة مع فصول تفصل بين ذلك وكلام يعترض به بغير معنى الآيات المكررات أو غير ألفاظها ولا فاصل بين قول الله تبارك وتعالى اسمه (الرحمن الرحيم) من (بسم الله الرحمن الرحيم) وقول الله (الرحمن الرحيم) من (الحمد لله رب العالمين) ،

فإن قال قائل فإن (الحمد لله رب العالمين) فاصل بين ذلك قيل قد أنكر ذلك جماعة من أهل التأويل وقالوا إن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم وإنما هو الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين ملك يوم الدين ،

واستشهدوا على صحة ما ادعوا من ذلك بقوله (ملك يوم الدين) فقالوا إن قوله (ملك يوم الدين) تعليم من الله عبده أن يصفه بالملك في قراءة من قرأ (ملك) وبالملك في قراءة من قرأ (مالك) ، قالوا فالذي هو أولى أن يكون مجاور وصفه بالملك أو الملك ما كان نظير ذلك من الوصف ،

وذلك هو قوله (رب العالمين) الذي هو خبر عن ملكه جميع أجناس الخلق وأن يكون مجاور وصفه بالعظمة والألوهة ما كان له نظيرا في المعني من الثناء عليه ، وذلك قوله (الرحمن الرحيم) فزعموا أن ذلك لهم دليل على أن قوله (الرحمن الرحيم) بمعنى التقديم قبل (رب العالمين) ،

وإن كان في الظاهر مؤخرا وقالوا نظائر ذلك من التقديم الذي هو بمعنى التأخير والمؤخر الذي هو بمعنى التقديم في كلام العرب أفشى وفي منطقها أكثر من أن يحصى ، من ذلك قول جرير بن عطية طاف الخيال وأين منك لِمَامَا / فارجع لزورك بالسلام سلاما ،

بمعنى طاف الخيال لماما وأين هو منك ، وكما قال جل ثناؤه في كتابه (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) المعنى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا وما أشبه ذلك ، ففي ذلك دليل شاهد على صحة قول من أنكر أن تكون (بسم الله الرحمن الرحيم) من فاتحة الكتاب آية .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ملك يوم الدين)

القراء مختلفون في تلاوة (ملك يوم الدين) فبعضهم يتلوه (ملك يوم الدين) وبعضهم يتلوه (مالكِ يوم الدين) وبعضهم يتلوه (مالكَ يوم الدين) بنصب الكاف ، وقد استقصينا حكاية الرواية عمن روي عنه في ذلك قراءة في كتاب القراءات ،

وأخبرنا بالذي نختار من القراءة فيه والعلة الموجبة صحة ما اخترنا من القراءة فيه فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع ، إذ كان الذي قصدنا له في كتابنا هذا البيان عن وجوه تأويل آي القرآن دون وجوه قراءتها ،

ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب أن الملك من الملك مشتق وأن المالك من الملك مأخوذ ، فتأويل قراءة من قرأ ذلك (ملك يوم الدين) أن لله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكا جبابرة ينازعونه الملك ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية ،

فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصغرة الأذلة وأن له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء ، كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) فأخبر تعالى أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار ومن دنياهم في المعاد إلى خسار ، وأما تأويل قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) فما حدثنا :

151_ عن ابن عباس (مالك يوم الدين) يقول لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكما كملكهم في الدنيا ، ثم قال (لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) ، وقال (وخشعت الأصوات للرحمن) ، وقال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) .

وأولى التأويلين بالآية وأصح القراءتين في التلاوة عندي التأويل الأول وهي قراءة من قرأ ملك بمعنى الملك ، لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك إيجابا لانفراده بالملك وفضيلة زيادة الملك على المالك إذ كان معلوما أن لا ملك إلا وهو مالك وقد يكون المالك لا ملكا وبعد ،

فإن الله جل ذكره قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله (مالك يوم الدين) أنه مالك جميع العالمين وسيدهم ومصلحهم والناظر لهم والرحيم بهم في الدنيا والآخرة ، بقوله (الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم) ، فإذا كان جل ذكره قد أنبأهم عن ملكه إياهم ، كذلك بقوله (رب العالمين) ،

فأولى الصفات من صفاته جل ذكره أن يتبع ذلك ما لم يحوه قوله (رب العالمين الرحمن الرحيم) مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة إذ كانت حكمته الحكمة التي لا تشبهها حكمة ، وكان في إعادة وصفه جل ذكره بأنه مالك يوم الدين إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله (رب العالمين) مع تقارب الآيتين وتجاور الصفتين ،

وكان في إعادة ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعان متفقة لا تفيد سامع ما كرر منه فائدة به إليها حاجة ، والذي لم يحوه من صفاته جل ذكره ما قبل قوله (مالك يوم الدين) المعنى الذي في قوله ملك يوم الدين وهو وصفه بأنه الملك ، فبين إذا أن أولى القراءتين بالصواب وأحق التأويلين بالكتاب قراءة من قرأه (ملك يوم الدين) بمعنى إخلاص الملك له يوم الدين ،

دون قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) بمعنى أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء متفردا به دون سائر خلقه ، فإن ظن ظان أن قوله (رب العالمين) نبأ عن ملكه إياهم في الدنيا دون الآخرة يوجب

وصله بالنبأ عن نفسه أنه قد ملكهم في الآخرة على نحو ملكه إياهم في الدنيا بقوله (مالك يوم الدين) فقد أغفل وظن خطأ ،

وذلك أنه لو جاز لظان أن يظن أن قوله (رب العالمين) محصور معناه على الخبر عن ربوبية عالم الدنيا دون عالم الآخرة مع عدم الدلالة على أن معنى ذلك ، كذلك في ظاهر التنزيل أو في خبر عن الرسول به منقول أو بحجة موجودة في المعقول ،

لجاز لآخر أن يظن أن ذلك محصور على عالم الزمان الذي فيه نزل قوله (رب العالمين) دون سائر ما يحدث بعده في الأزمنة الحادثة من العالمين ، إذ كان صحيحا بما قدمنا من البيان أن عالم كل زمان غير عالم الزمان الذي بعده فإن غبي عن علم صحة ذلك بما قد قدمنا ذو غباء ،

فإن في قول الله (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين) دلالة واضحة على أن عالم كل زمان غير عالم الزمان الذي كان قبله وعالم الزمان الذي بعده إذ كان الله قد فضل أمة نبينا محمد على سائر الأمم الخالية وأخبرهم بذلك في قوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس) الآية ،

فمعلوم بذلك أن بني إسرائيل في عصر نبينا لم يكونوا مع تكذيبهم به أفضل العالمين ، بل كان أفضل العالمين في ذلك العصر ، وبعده إلى قيام الساعة المؤمنون به المتبعون منهاجه دون من سواهم من الأمم المكذبة الضالة عن منهاجه ،

فإذ كان بينا فساد تأويل متأول لو تأول قوله (رب العالمين) أنه معني به أن الله رب عالمي زمن نبينا محمد دون عالمي سائر الأزمنة غيره كان واضحا فساد قول من زعم أن تأويله رب عالم الدنيا

دون عالم الآخرة وأن (مالك يوم الدين) استحق الوصل به ليعلم أنه في الآخرة من ملكهم وربوبيتهم بمثل الذي كان عليه في الدنيا ،

ويُسأَل زاعمُ ذلك الفرق بينه وبين متحكم مثله في تأويل قوله (رب العالمين) تحكم فقال أنه إنما عني بذلك أنه رب عالمي زمان محمد دون عالمي غيره من الأزمان الماضية قبله والحادثة بعده كالذي زعم قائل هذا القول أنه عنى به عالم الدنيا دون عالم الآخرة من أصل أو دلالة ، فلن يقول في أحدهما شيئا إلا ألزم في الآخر مثله ،

وأما الزاعم أن تأويل قوله (مالك يوم الدين) أنه الذي يملك إقامة يوم الدين ، فإن الذي ألزمنا قائل هذا القول الذي قبله له لازم إذ كانت إقامة القيامة إنما هي إعادة الخلق الذين قد بادوا لهيئاتهم التي كانوا عليها قبل الهلاك في الدار التي أعد الله لهم فيها ما أعد وهم العالمون الذين قد أخبر جل ذكره عنهم أنه ربهم في قوله (رب العالمين) ،

وأما تأويل ذلك في قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) فإنه أراد يا مالك يوم الدين فنصبه بنية النداء والدعاء ، كما قال جل ثناؤه (يوسف أعرض عن هذا) بتأويل يا يوسف أعرض عن هذا ، وكما قال الشاعر من بني أسد وهو شعر فيما يقال جاهلي إن كنت أزننتني بها كذبا / جَزْءُ فلاقيتَ مثلَهَا عَجِلا يريد يا جزء ،

وكما قال الآخر كذبتم وبيت الله لا تنكحونها / بني شاب قرناها تصر وتحلب ، يريد يا بني شاب قرناها ، وإنما أورطه في قراءة ذلك بنصب الكاف من (مالك) على المعنى الذي وصفت حيرته في توجيه قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وجهته مع جر (مالك يوم الدين) وخفضه ،

فظن أنه لا يصح معنى ذلك بعد جره (مالك يوم الدين) فنصب (مالك يوم الدين) ليكون (إياك نعبد) له خطابا كأنه أراد يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ، ولو كان علم تأويل أول السورة وأن (الحمد لله رب العالمين) أمر من الله عبده بقيل ذلك ،

كما ذكرنا قبل من الخبر عن ابن عباس أن جبريل قال للنبي عن الله قل يا محمد (الحمد لله رب العالمين) (الرحمن الرحيم) (مالك يوم الدين) وقل أيضا يا محمد (إياك نعبد وإياك نستعين) ، وكان عقل عن العرب أن من شأنها إذا حكت أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول أن تخاطب ثم تخبر عن غائب وتخبر عن الغائب ثم تعود إلى الخطاب ،

لما في الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب كقولهم للرجل قد قلت لأخيك لو قمت لقمت وقد قلت لأخيك لو قام لقمت لسهل عليه مخرج ما استصعب عليه ، وجهته من جر (مالك يوم الدين) ، ومن نظير (مالك يوم الدين) مجرورا ثم عوده إلى الخطاب ب (إياك نعبد) ،

لما ذكرنا قبل البيت السائر من شعر أبي كبير الهذلي يا لهف نفسي كان جدة / خالد وبياض وجهك للتراب الأعفر ، فرجع إلى الخطاب بقوله وبياض وجهك بعد ما قد قضى الخبر عن خالد على معنى الخبر عن الغائب ، ومنه قول لبيد بن ربيعة باتت تشكى إلي النفس مجهشة / وقد حملتك سبعا بعد سبعينا ، فرجع إلى مخاطبة نفسه وقد تقدم الخبر عنها على وجه الخبر عن الغائب ،

ومنه قول الله وهو أصدق قيل وأثبت حجة (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) فخاطب ثم رجع إلى الخبر عن الغائب ولم يقل وجرين بكم والشواهد من الشعر ، وكلام العرب في ذلك أكثر من أن تحصى وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه ، فقراءة (مالك يوم الدين) محظورة غير جائزة لإجماع جميع الحجة من القراء وعلماء الأمة على رفض القراءة بها .

_ القول في تأويل قوله تعالى (يوم الدين)

والدين في هذا الموضع بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال ، كما قال كعب بن جعيل إذا ما رمونا رميناهم / ودِنَّاهُم مثل ما يقرضونا ، وكما قال الآخر واعلم وأيقن أن ملكك زائل / واعلم بأنك ما تدين تدان ، يعني ما تجزي تجازى ،

ومن ذلك قول الله (كلا بل تكذبون بالدين) يعني بالجزاء (وإن عليكم لحافظين) يحصون ما تعملون من الأعمال ، وقوله تعالى (فلولا إن كنتم غير مدينين) يعني غير مجزيين بأعمالكم ولا محاسبين ،

وللدين معان في كلام العرب غير معنى الحساب والجزاء سنذكرها في أماكنها إن شاء الله ، وبما قلنا في تأويل قوله (يوم الدين) جاءت الآثار عن السلف من المفسرين مع تصحيح الشواهد لتأويلهم الذي تأولوه في ذلك .

152_ عن ابن عباس (يوم الدين) قال يوم حساب الخلائق هو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر إلا من عفا عنه فالأمر أمره ثم قال (ألا له الخلق والأمر) .

153_ عن ابن عباس وابن مسعود و ناس من أصحاب النبي (مالك يوم الدين) هو يوم الحساب .

154_ عن قتادة في قوله (مالك يوم الدين) قال يوم يدين الله العباد بأعمالهم .

155_ عن ابن جريج (مالك يوم الدين) قال يوم يدان الناس بالحساب .

_ القول في تأويل قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين)

وتأويل قوله (إياك نعبد) لك اللهم نخشع ونذل ونستكين إقرارا لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك .

156_ عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد قل يا محمد إياك نعبد إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك .

وذلك من قول ابن عباس بمعنى ما قلنا ، وإنما اخترنا البيان عن تأويله بأنه بمعنى نخشع ونذل ونستكين دون البيان عنه بأنه بمعنى نرجو ونخاف وإن كان الرجاء والخوف لا يكونان إلا مع ذلة ، لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة وأنها تسمي الطريق المذلل الذي قد وطئته الأقدام وذللته السابلة معبدا ،

ومن ذلك قول طرفة بن العبد تباري عتاقا ناجيات وأتبعت / وظيفا وظيفا فوق مَوْرٍ مُعَبَّدِ ، يعني بالمور الطريق وبالمعبد المذلل الموطوء ، ومن ذلك قيل للبعير المذلل بالركوب في الحوائج معبد ، ومنه سمي العبد عبدا لذلته لمولاه ، والشواهد من أشعار العرب وكلامها على ذلك أكثر من أن تحصى وفيما ذكرناه كفاية لمن وفق لفهمه إن شاء الله .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وإياك نستعين)

ومعنى قوله (وإياك نستعين) وإياك ربنا نستعين على عبادتنا إياك وطاعتنا لك وفي أمورنا كلها لا أحد سواك إذ كان من يكفر بك يستعين في أموره بمعبوده الذي يعبده من الأوثان دونك ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة .

157_ عن ابن عباس (وإياك نستعين) قال إياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها .

فإن قال قائل وما معنى أمر الله عباده بأن يسألوه المعونة على طاعته ؟ أو جائز وقد أمرهم بطاعته أن لا يعينهم عليها ؟ أم هل يقول قائل لربه إياك نستعين على طاعتك إلا وهو على قوله ذلك معان وذلك هو الطاعة ، فما وجه مسألة العبد ربه ما قد أعطاه إياه ؟

قيل إن تأويل ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه ، وإنما الداعي ربه من المؤمنين أن يعينه على طاعته إياه داع أن يعينه فيما بقي من عمره على ما كلفه من طاعته دون ما قد تقضى ومضى من أعماله الصالحة فيما خلا من عمره وجازت مسألة العبد ربه ذلك ،

لأن إعطاء الله عبده ذلك مع تمكينه جوارحه لأداء ما كلفه من طاعته وافترض عليه من فرائضه فضل منه جل ثناؤه تفضل به عليه ولطف منه لطف له فيه ، وليس في تركه التفضل على بعض عبيده بالتوفيق مع اشتغال عبده بمعصيته وانصرافه عن محبته ولا في بسطه فضله على بعضهم ، مع إجهاد العبد نفسه في محبته ومسارعته إلى طاعته فساد في تدبير ولا جور في حكم ،

فيجوز أن يجهل جاهل موضع حكم الله وأمره عبده بمسألته عونه على طاعته ، وفي أمر الله عباده أن يقولوا (إياك نعبد وإياك نستعين) بمعنى مسألتهم إياه المعونة على العبادة أدل الدليل

على فساد قول القائلين بالتفويض من أهل القدر الذين أحلوا أن يأمر الله أحدا من عباده بأمر أو يكلفه فرض عمل إلا بعد إعطائه المعونة على فعله وعلى تركه ،

ولو كان الذي قالوا من ذلك كما قالوا لبطلت الرغبة إلى الله في المعونة على طاعته ، إذ كان على قولهم مع وجود الأمر والنهي والتكليف حقا واجبا على الله للعبد إعطاؤه المعونة عليه ، سأله عبده ذلك أو ترك مسألة ذلك ، بل ترك إعطائه ذلك عندهم منه جور ،

ولو كان الأمر في ذلك على ما قالوا لكان القائل (إياك نعبد وإياك نستعين) إنما يسأل ربه أن لا يجور ، وفي إجماع أهل الإسلام جميعا على تصويب قول القائل اللهم إنا نستعينك وتخطئتهم قول القائل اللهم لا تَجُرْ علينا دليل واضح على خطأ ما قال الذين وصفت قولهم إن كان تأويل قول القائل عندهم اللهم إنا نستعينك اللهم لا تترك معونتنا التي تركها جور منك ،

فإن قال قائل وكيف قيل (إياك نعبد وإياك نستعين) فقدم الخبر عن العبادة وأخرت مسألة المعونة عليها بعدها ؟ وإنما تكون العبادة بالمعونة فمسألة المعونة كانت أحق بالتقديم قبل المعان عليه من العمل والعبادة بها قيل لما كان معلوما أن العبادة لا سبيل للعبد إليها إلا بمعونة من الله وكان محالا أن يكون العبد عابدا إلا وهو على العبادة مُعُان ،

وأن يكون مُعَانا عليها إلا وهو لها فاعل كان سواء تقديم ما قدم منهما على صاحبه كما سواء قولك للرجل إذا قضى حاجتك فأحسن إليك في قضائها قضيت حاجتي فأحسنت إلي فقدمت ذكر قضائه حاجتك أو قلت أحسنت إلي فقضيت حاجتي ،

فقدمت ذكر الإحسان على ذكر قضاء الحاجة لأنه لا يكون قاضيا حاجتك إلا وهو إليك محسن ولا محسنا إليك إلا وهو لحاجتك قاض ، فكذلك سواء قول القائل اللهم إنا إياك نعبد فأعنا على عبادتك وقوله اللهم أعنا على عبادتك فإنا إياك نعبد ،

وقد ظن بعض أهل الغفلة أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير ، كما قال امرؤ القيس ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني / ولم أطلب قليل من المال ، يريد بذلك كفاني قليل من المال ولم أطلب كثيرا ، وذلك من معنى التقديم والتأخير ،

ومن مشابهة بيت امرئ القيس بمعزل من أجل أنه قد يكفيه القليل من المال ويطلب الكثير ، فليس وجود ما يكفيه منه بموجب له ترك طلب الكثير ، فيكون نظير العبادة التي بوجودها وجود المعونة عليها وبوجود المعونة عليها وجودها ، ويكون ذكر أحدهما دالا على الآخر فيعتدل في صحة الكلام تقديم ما قدم منهما قبل صاحبه أن يكون موضوعا في درجته ومرتبا في مرتبته ،

فإن قال فما وجه تكراره (إياك) مع قوله (نستعين) وقد تقدم ذلك قبل نعبد ؟ وهلا قيل إياك نعبد ونستعين إذ كان المخبر عنه أنه المعبود هو المخبر عنه أنه المستعان ؟ قيل له إن الكاف التي مع إيا هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل ،

أعني بقوله (نعبد) لو كانت مؤخرة بعد الفعل وهي كناية اسم المخاطب المنصوب بالفعل فكثرت بإيا متقدمة ، إذ كان الأسماء إذا انفردت بأنفسها لا تكون في كلام العرب على حرف واحد ، فلما كانت الكاف من إياك هي كناية اسم المخاطب التي كانت تكون كافا وحدها متصلة بالفعل إذا كانت بعد الفعل ثم كان حظها أن تعاد مع كل فعل اتصلت به ،

فيقال اللهم إنا نعبدك ونستعينك ونحمدك ونشكرك ، وكان ذلك أفصح في كلام العرب من أن يقال اللهم إنا نعبدك ونستعين ونحمد ، كان كذلك إذا قدمت كناية اسم المخاطب قبل الفعل موصولة بإيا كان الأفصح إعادتها مع كل فعل كما كان الفصيح من الكلام إعادتها مع كل فعل إذا كانت بعد الفعل متصلة به ، وإن كان ترك إعادتها جائزا ،

وقد ظن بعض من لم يمعن النظر أن إعادة إياك مع نستعين بعد تقدمها في قوله (إياك نعبد) بمعنى قول عدي بن زيد العبادي وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به / بين النهار وبين الليل قد فَصَلَا ، وكقول أعشى همدان بين الأشج وبين قيسٍ باذِخٌ / بخ بخ لوالده وللمولود ،

وذلك جهلٌ من قائله من أجل أن حظ إياك أن تكون مكررة مع كل فعل لما وصفنا آنفا من العلة ، وليس ذلك حكم بين لأنها لا تكون إذا اقتضت اثنين إلا تكريرا إذا أعيدت إذ كانت لا تنفرد بالواحد وأنها لو أفردت بأحد الاسمين في حال اقتضائها اثنين كان الكلام كالمستحيل ،

وذلك أن قائلا لو قال الشمس قد فصلت بين النهار لكان من الكلام خلفا لنقصان الكلام عما به الحاجة إليه من تمامه الذي يقتضيه بين ، ولو قال قائل اللهم إياك نعبد لكان ذلك كلاما تاما ، فكان معلوما بذلك أن حاجة كل كلمة كانت نظيرة (إياك نعبد) إلى إياك كحاجة نعبد إليها وأن الصواب أن تكرر معها إياك ، إذ كانت كل كلمة منها جملة خبر مبتدأ ، وبينا حكم مخالفة ذلك حكم بين فيما وفق بينهما الذي وصفنا قوله .

_ القول في تأويل قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم)

ومعنى قوله (اهدنا الصراط المستقيم) في هذا الموضع عندنا وفقنا للثبات عليه ، كما روي ذلك عن ابن عباس .

158_ عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد قل يا محمد (اهدنا الصراط المستقيم) يقول ألهمنا الطريق الهادي .

وإلهامه إياه ذلك هو توفيقه له كالذي قلنا في تأويله ومعناه نظير معنى قوله (وإياك نستعين) في أنه مسألة العبد ربه التوفيق للثبات على العمل بطاعته وإصابة الحق والصواب فيما أمره به ونهاه عنه فيما يستقبل من عمره دون ما قد مضى من أعماله وتقضى فيما سلف من عمره ،

كما في قوله (وإياك نستعين) مسألة منه ربه المعونة على أداء ما قد كلفه من طاعته فيما بقي من عمره ، فكان معنى الكلام اللهم إياك نعبد وحدك لا شريك لك مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والأوثان فأعنا على عبادتك ووفقنا لما وفقت له من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك من السبيل والمنهاج ،

فإن قال قائل وأنى وجدت الهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق ؟ قيل له ذلك في كلامها أكثر وأظهر من أن يحصى عدد ما جاء عنهم في ذلك من الشواهد ، فمن ذلك قول الشاعر لا تحرمني هداك الله مسألتي / ولا أكونن كمن أودى به السفر ، يعني به وفقك الله لقضاء حاجتي ،

ومنه قول الآخر ولا تعجلني هداك المليك / فإن لكل مقامٍ مقالا ، فمعلوم أنه إنما أراد وفقك الله لإصابة الحق في أمري ، ومنه قول الله (والله لا يهدي القوم الظالمين) في غير آية من تنزيله ، وقد علم بذلك أنه لم يعن أنه لا يبين للظالمين الواجب عليهم من فرائضه ،

وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وقد عم بالبيان جميع المكلفين من خلقه ؟ ولكنه عَنَى جل وعز أنه لا يوفقهم ولا يشرح للحق والإيمان صدورهم ، وقد زعم بعضهم أن تأويل قوله (اهدنا) زدنا هداية ، وليس يخلو هذا القول من أحد أمرين إما أن يكون قائله قد ظن أن النبي أمر بمسألة ربه الزيادة في البيان أو الزيادة في المعونة والتوفيق ،

فإن كان ظن أنه أمر بمسألة الزيادة في البيان فذلك ما لا وجه له ، لأن الله لا يكلف عبدا فرضا من فرائضه إلا بعد تبيينه له وإقامة الحجة عليه به ، ولو كان معنى ذلك معنى مسألته البيان لكان قد أمر أن يدعو ربه أن يبين له ما فرض عليه وذلك من الدعاء خُلف ،

لأنه لا يفرض فرضا إلا مبينا لمن فرضه عليه أو يكون أمر أن يدعو ربه أن يفرض عليه الفرائض التي لم يفرضها ، وفي فساد وجه مسألة العبد ربه ذلك ما يوضح عن أن معنى (اهدنا الصراط المستقيم) غير معنى بين لنا فرائضك وحدودك أو يكون ظن أنه أمر بمسألة ربه الزيادة في المعونة والتوفيق ، فإن كان ذلك كذلك فلن تخلو مسألته تلك الزيادة من أن تكون مسألة للزيادة في المعونة على ما قد مضى من عمله أو على ما يحدث ،

وفي ارتفاع حاجة العبد إلى المعونة على ما قد تقضى من عمله ما يعلم أن معنى مسألة تلك الزيادة إنما هو مسألته الزيادة لما يحدث من عمله ، وإذا كان ذلك كذلك صار الأمر إلى ما وصفنا وقلنا في ذلك من أنه مسألة العبد ربه التوفيق لأداء ما كلف من فرائضه فيما يستقبل من عمره ،

وفي صحة ذلك فساد قول أهل القدر الزاعمين أن كل مأمور بأمر أو مكلف فرضا فقد أعطي من المعونة عليه ما قد ارتفعت معه في ذلك الفرض حاجته إلى ربه ، لأنه لو كان الأمر على ما قالوا في

ذلك لبطل معنى قول الله (إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم) ، وفي صحة معنى ذلك على ما بينا فساد قولهم ،

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله (اهدنا الصراط المستقيم) أسلكنا طريق الجنة في المعاد أي قدمنا له وامض بنا إليه ، كما قال جل ثناؤه (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أي أدخلوهم النار كما تهدى المرأة إلى زوجها ، يعني بذلك أنها تدخل إليه ،

وكما تهدى الهدية إلى الرجل وكما تهدي الساق القدم ، نظير قول طرفة بن العبد لعبت بعدي السيول به / وجرى في رونقٍ رِهَ مُهُ ، للفتى عقل يعيش به / حيث تُهدِي ساقَهُ قَدَمُهُ ، أي ترد به الموارد ، وفي قول الله (إياك نعبد وإياك نستعين) ما ينبئ عن خطأ هذا التأويل ، مع شهادة الحجة من المفسرين على تخطئته ،

وذلك أن جميع المفسرين من الصحابة والتابعين مجمعون على أن معنى الصراط في هذا الموضع غير المعنى الذي تأوله قائل هذا القول ، وأن قوله (وإياك نستعين) مسألة العبد ربه المعونة على عبادته ، فكذلك قوله اهدنا إنما هو مسألة الثبات على الهدى فيما بقي من عمره ،

والعرب تقول هديت فلانا الطريق وهديته للطريق وهديته إلى الطريق إذا أرشدته إليه وسددته له ، وبكل ذلك جاء القرآن ، قال الله (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) ، وقال في موضع آخر (اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم) ، وقال (اهدنا الصراط المستقيم) ،

وكل ذلك فاش في منطقها موجود في كلامها ، من ذلك قول الشاعر أستغفر الله ذنبا لست محصيه / ربَّ العباد إليه الوجه والعمل ، يريد أستغفر الله لذنب كما قال جل ثناؤه (واستغفر

لذنبك) ، ومنه قول نابغة بني ذبيان فيصيدنا العِير المُدِلُّ بحُضْرِهِ / قبل الوَنَى والأشْعَبِ النَّبَاحَا ، يريد فيصيد لنا ، وذلك كثير في أشعارهم وكلامهم وفيما ذكرنا منه كفاية .

_ القول في تأويل قوله تعالى (الصراط المستقيم)

أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية بن الخطفى أمير المؤمنين على صراط / إذا اعوج الموارد مستقيم ، يريد على طريق الحق ،

ومنه قول الهذلي أبي ذؤيب صبحنا أرضهم بالخيل حتى / تركناها أدق من الصراط ، ومنه قول الراجز فصد عن نهج الصراط القاصد ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى ، وفيما ذكرنا غنى عما تركنا ، ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج ، فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه ،

والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني (اهدنا الصراط المستقيم) أن يكون معنيا به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم ، لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهج النبي ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل عبد لله صالح ،

وكل ذلك من الصراط المستقيم ، وقد اختلفت تراجمة القرآن في المعني بالصراط المستقيم يشمل معاني جميعهم في ذلك ما اخترنا من التأويل فيه .

159_ عن علي بن أبي طالب عن النبي أنه قال وذكر القرآن فقال هو الصراط المستقيم . (حسن)

160_ عن علي قال الصراط المستقيم كتاب الله .

161_ عن ابن مسعود قال الصراط المستقيم كتاب الله .

162_ عن جابر (اهدنا الصراط المستقيم) قال الإسلام قال هو أوسع مما بين السماء والأرض .

163_ عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد قل يا محمد (اهدنا الصراط المستقيم) يقول ألهمنا الطريق الهادي وهو دين الله الذي لا عوج له .

164_ عن ابن عباس في قوله (اهدنا الصراط المستقيم) قال ذلك الإسلام .

165 _ عن ابن الحنفية في قوله (اهدنا الصراط المستقيم) قال هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره .

166_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (اهدنا الصراط المستقيم) قالوا هو الإسلام .

167_ عن ابن عباس في قوله (اهدنا الصراط المستقيم) قال الطريق .

168_ عن أبي العالية في قوله (اهدنا الصراط المستقيم) قال هو رسول الله وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر . قال عاصم فذكرت ذلك للحسن فقال صدق أبو العالية ونصح .

169_ عن عبد الرحمن بن زيد (اهدنا الصراط المستقيم) قال الإسلام .

170_ عن النواس بن سمعان عن رسول الله قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما والصراط الإسلام . (حسن)

قال أبو جعفر وإنما وصفه الله بالاستقامة لأنه صواب لا خطأ فيه ، وقد زعم بعض أهل الغباء أنه سماه مستقيما لاستقامته بأهله إلى الجنة ، وذلك تأويل لتأويل جميع أهل التفسير خلاف وكفى بإجماع جميعهم على خلافه دليلا على خطئه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

وقوله صراط الذين أنعمت عليهم إبانة عن الصراط المستقيم أي الصراط هو إذ كان كل طريق من طرق الحق صراطا مستقيما ، فقيل لمحمد قل يا محمد اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين ،

وذلك نظير ما قال ربنا جل ثناؤه في تنزيله (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) .

فالذي أمر محمد وأمته أن يسألوه ربهم من الهداية للطريق المستقيم هي الهداية للطريق الذي وصف الله صفته ، وذلك الطريق هو طريق الذي وصفهم الله بما وصفهم به في تنزيله ووعد من سلكه فاستقام فيه طائعا لله ولرسوله أن يورده مواردهم والله لا يخلف الميعاد ، وبنحو ما قلنا في ذلك روي الخبر عن ابن عباس وغيره .

171_ عن ابن عباس (صراط الذين أنعمت عليهم) يقول طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين أطاعوك وعبدوك .

172_ عن الربيع (صراط الذين أنعمت عليهم) قال النبيون .

173_ عن ابن عباس (أنعمت عليهم) المؤمنين .

174_ عن وكيع (أنعمت عليهم) المسلمين .

175_ عن ابن زيد في قول الله (صراط الذين أنعمت عليهم) قال النبي ومن معه .

قال أبو جعفر وفي هذه الآية دليل واضح على أن طاعة الله لا ينالها المطيعون إلا بإنعام الله بها عليهم وتوفيقه إياهم لها ، أولا يسمعونه يقول (صراط الذين أنعمت عليهم) فأضاف كل ما كان منهم من اهتداء وطاعة وعبادة إلى أنه إنعام منه عليهم ،

فإن قال قائل وأين تمام هذا الخبر وقد علمت أن قول القائل لآخر أنعمت عليك مقتض الخبر عما أنعم به عليه فأين ذلك الخبر في قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) وما تلك النعمة التي أنعمها

عليهم ؟ قيل له قد قدمنا البيان فيما مضى من كتابنا هذا عن اجتزاء العرب في منطقها ببعض من بعض إذا كان البعض الظاهر دالا على البعض الباطن وكافيا منه ،

فقوله (صراط الذين أنعمت عليهم) من ذلك لأن أمر الله عباده بمسألته المعونة وطلبهم منه الهداية للصراط المستقيم لما كان متقدما قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) الذي هو إبانة عن الصراط المستقيم وإبدال منه كان معلوما أن النعمة التي أنعم الله بها على من أمرنا بمسألته الهداية لطريقهم هو المنهاج القويم والصراط المستقيم الذي قد قدمنا البيان عن تأويله آنفا ،

فكان ظاهر ما ظهر من ذلك مع قرب تجاور الكلمتين مغنيا عن تكراره ، كما قال نابغة بني ذبيان كأنك من جمال بني أقيش / يقعقع خلف رجليه بشَنٍّ ، يريد كأنك من جمال بني أقيش جمل يقعقع خلف رجليه بشن ، فاكتفى بما ظهر من ذكر الجمال الدال على المحذوف من إظهار ما حذف ،

وكما قال الفرزدق بن غالب ترى أرباقهم متقلديها / إذا صدئ الحديد على الكماة ، يريد متقلديها هم فحذف هم إذ كان الظاهر من قوله أرباقهم دالا عليها ، والشواهد على ذلك من شعر العرب وكلامها أكثر من أن تحصى فكذلك ذلك في قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) .

_ القول في تأويل قوله تعالى (غير المغضوب عليهم)

والقراء مجمعة على قراءة غير بجر الراء منها والخفض يأتيها من وجهين ، أحدهما أن يكون غير صفة للذين ونعتا لهم فتخفضها إذ كان الذين خفضا وهي لهم نعت وصفة ، وإنما جاز أن يكون غير نعتا لالذين والذين معرفة وغير نكرة ،

لأن الذين بصلتها ليست بالمعرفة المؤقتة كالأسماء التي هي أمارات بين الناس مثل زيد وعمرو وما أشبه ذلك وإنما هي كالنكرات المجهولات مثل الرجل والبعير وما أشبه ذلك ، فما كان الذين كذلك صفتها وكانت غير مضافة إلى مجهول من الأسماء نظير الذين في أنه معرفة غير مؤقتة كما الذين معرفة غير مؤقتة ،

جاز من أجل ذلك أن يكون (غير المغضوب عليهم) نعتاً ل (الذين أنعمت عليهم) كما يقال لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل يراد لا أجلس إلا إلى من يعلم لا إلى من يجهل ، ولو كان (الذين أنعمت عليهم) معرفة مؤقتة كان غير جائز أن يكون (غير المغضوب عليهم) لها نعتا ،

وذلك أنه خطأ في كلام العرب إذا وصفت معرفة مؤقتة بنكرة أن تلزم نعتها النكرة إعراب المعرفة المنعوت بها إلا على نية تكرير ما أعرب المنعت بها خطأ في كلامهم أن يقال مررت بعبد الله غير العالم ، فتخفض غير إلا على نية تكرير الباء التي أعربت (عبد الله) ، فكان معنى ذلك لو قيل كذلك مررت (بعبد الله) مررت بغير العالم ،

فهذا أحد وجهي الخفض في (غير المغضوب عليهم) والوجه الآخر من وجهي الخفض فيها أن يكون الذين بمعنى المعرفة المؤقتة وإذا وجه إلى ذلك كانت غير مخفوضة بنية تكرير الصراط الذي خفض الذين عليها ، فكأنك قلت صراط الذين أنعمت عليهم صراط غير المغضوب عليهم ،

وهذان التأويلان في (غير المغضوب عليهم) وإن اختلفا باختلاف معربيهما فإنهما يتقارب معناهما ، من أجل أن من أنعم الله عليه فهداه لدينه الحق فقد سلم من غضب ربه ونجا من الضلال في دينه ،

فسواء إذ كان سامع قوله (اهدنا الصراط المستقيم) (صراط الذين أنعمت عليهم) غير جائز أن يرتاب مع سماعه ذلك من تاليه في أن الذين أنعم الله عليهم بالهداية للصراط غير غاضب ربهم عليهم مع النعمة التي قد عظمت منته بها عليهم في دينهم ولا أن يكونوا ضلالا وقد هداهم للحق ربهم ،

إذ كان مستحيلا في فطرهم اجتماع الرضا من الله عن شخص والغضب عليه في حال واحدة واجتماع الهدى والضلال له في وقت واحد أوصف القوم مع وصف الله إياهم بما وصفهم به من توفيقه إياهم وهدايته لهم وإنعامه عليهم بما أنعم الله به عليهم في دينهم بأنهم غير مغضوب عليهم ولا هم ضالون أم لم يوصفوا بذلك ،

لأن الصفة الظاهرة التي وصفوا بها قد أنبأت عنهم أنهم كذلك وإن لم يصرح وصفهم به هذا إذا وجهنا غير إلى أنها مخفوضة على نية تكرير الصراط الخافض الذين ، ولم نجعل (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) من صفة (الذين أنعمت عليهم) ،

بل إذا جعلناهم غيرهم وإن كان الفريقان لا شك منعما عليهما في أديانهم ، فأما إذا وجهنا (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) إلى أنها من نعت (الذين أنعمت عليهم) فلا حاجة بسامعه إلى الاستدلال ، إذ كان الصريح من معناه قد أغنى عن الدليل ،

وقد يجوز نصب غير في (غير المغضوب عليهم) وإن كنت للقراءة بها كارها لشذوذها عن قراءة القراء ، وإن ما شذ من القراءات عما جاءت به الأمة نقلا ظاهرا مستفيضا فرأي للحق مخالف وعن سبيل الله وسبيل رسوله وسبيل المسلمين متجانف ،

وإن كان له لو كانت القراءة جائزة به في الصواب مخرج وتأويل وجه صوابه إذا نصبت أن يوجه إلى أن يكون صفة للهاء والميم اللتين في عليهم العائدة على الذين ، لأنها وإن كانت مخفوضة بعلى فهي في محل نصب بقوله أنعمت ،

فكأن تأويل الكلام إذا نصبت غير التي مع المغضوب عليهم صراط الذين هديتهم إنعاما منك عليهم غير مغضوب عليهم أي لا مغضوبا عليهم ولا ضالين ، فيكون النصب في ذلك حينئذ كالنصب في غير في قولك مررت بعبد الله غير الكريم ولا الرشيد ، فتقطع غير الكريم من عبد الله إذ كان عبد الله معرفة مؤقتة وغير الكريم نكرة مجهولة ،

وقد كان بعض نحويي البصريين يزعم أن قراءة من نصب غير في (غير المغضوب عليهم) على وجه استثناء (غير المغضوب عليهم) من معاني صفة (الذين أنعمت عليهم) كأنه كان يرى أن معنى الذين قرءوا ذلك نصبا (اهدنا الصراط المستقيم) (صراط الذين أنعمت عليهم) إلا المغضوب عليهم الذين لم تنعم عليهم في أديانهم ولم تهدهم للحق فلا تجعلنا منهم ،

كما قال نابغة بني ذبيان وقفت فيها أصيلالا أسائلها / أعيت جوابا وما بالربع من أحد ، إلا أَوَارِيَّ لأياً ما أبيِّنُهَا والنُّؤيُ / كالحوض بالمظلومةِ الجَلَدَ ، والأواري معلوم أنها ليست من عداد أحد في شيء ، فكذلك عنده استثنى (غير المغضوب عليهم) من (الذين أنعمت عليهم) وإن لم يكونوا من معانيهم في الدين في شيء ،

وأما نحويو الكوفيين فأنكروا هذا التأويل واستخطئوه وزعموا أن ذلك لو كان كما قاله الزاعم من أهل البصرة لكان خطأ أن يقال (ولا الضالين) لأن لا نفي وجحد ولا يعطف بجحد إلا على جحد ،

وقالوا لم نجد في شيء من كلام العرب استثناء يعطف عليه بجحد ، وإنما وجدناهم يعطفون على الاستثناء بالاستثناء وبالجحد على الجحد ،

فيقولون في الاستثناء قام القوم إلا أخاك وإلا أباك وفي الجحد ما قام أخوك ولا أبوك ، وأما قام القوم إلا أباك ولا أخاك فلم نجده في كلام العرب ، قالوا فلما كان ذلك معدوما في كلام العرب وكان القرآن بأفصح لسان العرب نزوله علمنا إذ كان قوله (ولا الضالين) معطوفا على قوله (غير المغضوب عليهم) أن غير بمعنى الجحد لا بمعنى الاستثناء وأن تأويل من وجهها إلى الاستثناء خطأ ،

فهذه أوجه تأويل (غير المغضوب عليهم) باختلاف أوجه إعراب ذلك ، وإنما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه إعرابه وإن كان قصدنا في هذا الكتاب الكشف عن تأويل آي القرآن لما في اختلاف وجوه إعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله ،

فاضطرتنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه لتنكشف لطالب تأويله وجوه تأويله على قدر اختلاف المختلفة في تأويله وقراءته ، والصواب من القول في تأويله وقراءته عندنا القول الأول وهو قراءة (غير المغضوب عليهم) بخفض الراء من غير بتأويل أنها صفة ل (الذين أنعمت عليهم) ونعت لهم ، لما قد قدمنا من البيان إن شئت وإن شئت فبتأويل تكرار صراط كل ذلك صواب حسن ،

فإن قال لنا قائل فمن هؤلاء المغضوب عليهم الذين أمرنا الله بمسألته أن لا يجعلنا منهم ؟ قيل هم الذين وصفهم الله في تنزيله فقال (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) ،

فأعلمنا جل ذكره بمنه ما أحل بهم من عقوبته بمعصيتهم إياه ثم علمنا منة منه علينا وجه السبيل إلى النجاة من أن يحل بنا مثل الذي حل بهم من المثلات ورأفة منه بنا ، فإن قيل وما الدليل على أنهم أولاء الذين وصفهم الله وذكر نبأهم في تنزيله على ما وصفت ، قيل حدثني .

176_ عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله المغضوب عليهم اليهود . (صحيح)

177_ عن عدي بن حاتم قال قال لي رسول الله إن المغضوب عليهم اليهود . (صحيح)

178_ عن عدي بن حاتم قال سألت النبي عن قول الله (غير المغضوب عليهم) قال هم اليهود . (صحيح)

179_ عن عبد الله بن شقيق أن رجلا أتى رسول الله وهو محاصر وادي القرى فقال من هؤلاء الذين تحاصر يا رسول الله ؟ قال هؤلاء المغضوب عليهم اليهود . (صحيح)

180_ عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع النبي وهو بوادي القرى وهو على فرسه وسأله رجل من بني القين فقال يا رسول الله من هؤلاء ؟ قال المغضوب عليهم وأشار إلى اليهود . (صحيح)

181_ عن ابن عباس (غير المغضوب عليهم) يعني اليهود الذين غضب الله عليهم .

182_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي قالوا (غير المغضوب عليهم) هم اليهود .

183_ عن مجاهد (غير المغضوب عليهم) قال هم اليهود .

184_ عن الربيع (غير المغضوب عليهم) قال اليهود .

185_ عن ابن عباس (غير المغضوب عليهم) قال اليهود .

186_ عن ابن زيد قال (غير المغضوب عليهم) اليهود .

187_ عن زيد بن أسلم قال (المغضوب عليهم) اليهود .

قال أبو جعفر واختلف في صفة الغضب من الله جل ذكره ، فقال بعضهم غضب الله على من غضب عليه من خلقه إحلال عقوبته بمن غضب عليه إما في دنياه وإما في آخرته ، كما وصف به نفسه جل ذكره في كتابه فقال (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) ،

وكما قال (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) ، وقال بعضهم غضب الله على من غضب عليه من عباده ذم منه لهم ولأفعالهم وشتم منه لهم بالقول ،

وقال بعضهم الغضب منه معنى مفهوم كالذي يعرف من معاني الغضب ، غير أنه وإن كان كذلك من جهة الإثبات فمخالف معناه منه معنى ما يكون من غضب الآدميين الذين يزعجهم ويحركهم ويشق عليهم ويؤذيهم ، لأن الله لا تحل ذاته الآفات ولكنه له صفة كما العلم له صفة والقدرة له صفة على ما يعقل من جهة الإثبات ، وإن خالفت معاني ذلك معاني علوم العباد التي هي معارف القلوب وقواهم التي توجد مع وجود الأفعال وتعدم مع عدمها .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ولا الضالين)

كان بعض أهل البصرة يزعم أن لا مع الضالين أدخلت تتميما للكلام والمعنى إلغاؤها ، يستشهد على قيله ذلك ببيت العجاج في بئرٍ لا حُورٍ سَرَى وما شَعَر ، ويتأوله بمعنى في بئر حور سرى أي في بئر هلكة وأن لا بمعنى الإلغاء والصلة ، ويعتل أيضا لذلك بقول أبي النجم فما ألوم البيض أن لا تسخرا / لما رأين الشمط القفندرا ، وهو يريد فما ألوم البيض أن تسخر ،

وبقول الأحوص ويلحينني في اللهو أن لا أحبه / وللهو داع دائب غير غافل ، يريد ويلحينني في اللهو أن أحبه ، وبقوله تعالى (ما منعك ألا تسجد) يريد أن تسجد ، وحكي عن قائل هذه المقالة أنه كان يتأول غير التي مع المغضوب عليهم أنها بمعنى سوى ، فلئن معنى الكلام كان عنده (اهدنا الصراط المستقيم) (صراط الذين أنعمت عليهم) الذين هم سوى المغضوب عليهم والضالين ،

وكان بعض نحويي الكوفة يستنكر ذلك من قوله ويزعم أن غير التي مع المغضوب عليهم لو كانت بمعنى سوى لكان خطأ أن يعطف عليها بلا ، إذ كانت لا لا يعطف بها إلا على جحد قد تقدمها ، كما كان خطأ قول القائل عندي سوى أخيك ولا أبيك ، لأن سوى ليست من حروف النفي والجحود ويقول لما كان ذلك خطأ في كلام العرب ،

وكان القرآن بأفصح اللغات من لغات العرب كان معلوما أن الذي زعمه القائل أن غير مع المغضوب عليهم بمعنى سوى المغضوب عليهم خطأ إذ كان قد كر عليه الكلام بلا ، وكان يزعم أن غير هنالك إنما هي بمعنى الجحد إذ كان صحيحا في كلام العرب وفاشيا ظاهرا في منطقها توجيه غير إلى معنى النفي ومستعملا فيهم أخوك غير محسن ولا مجمل يراد بذلك أخوك لا محسن ولا مجمل ،

ويستنكر أن تأتي لا بمعنى الحذف في الكلام مبتدأ ولما يتقدمها جحد ويقول لو جاز مجيئها بمعنى الحذف مبتدأ قبل دلالة تدل على ذلك من جحد سابق لصح قول قائل قال أردت أن لا أكرم أخاك بمعنى أردت أن أكرم أخاك ، وكان يقول ففي شهادة أهل المعرفة بلسان العرب على تخطئة قائل ذلك دلالة واضحة على أن لا تأتي مبتدأة بمعنى الحذف ولما يتقدمها جحد ،

وكان يتأوله في (لا) التي في بيت العجاج الذي ذكرنا أن البصري استشهد به بقوله إنها جحد صحيح وأن معنى البيت سرى في بئر لا تحير عليه خيرا ولا يتبين له فيها أثر عمل وهو لا يشعر بذلك ولا يدري به ، من قولهم طحنت الطاحنة فما أحارت شيئا أي لم يتبين لها أثر عمل ،

ويقول في سائر الأبيات الأخر ، أعني مثل بيت أبي النجم فما ألوم البيض أن لا تسخرا ، إنما جاز أن تكون لا بمعنى الحذف لأن الجحد قد تقدمها في أول الكلام فكان الكلام الآخر مواصلا للأول ، كما قال الشاعر ما كان يرضى رسول الله فعلهم / والطيبان أبو بكر ولا عمر ، فجاز ذلك إذ كان قد تقدم الجحد في أول الكلام .

وهذا القول الآخر أولى بالصواب من الأول إذ كان غير موجود في كلام العرب ابتداء الكلام من غير جحد تقدمه بلا التي معناها الحذف ، ولا جائز العطف بها على سوى ولا على حرف الاستثناء ، وإنما لغير في كلام العرب معان ثلاثة ، أحدها الاستثناء والآخر الجحد والثالث سوى ،

فإذا ثبت خطأ لا أن يكون بمعنى الإلغاء مبتدأ وفسد أن يكون عطفا على غير التي مع (المغضوب عليهم) لو كانت بمعنى إلا التي هي استثناء ولم يجز أيضا أن يكون عطفا عليها لو كانت بمعنى سوى وكانت لا موجودة عطفا بالواو التي هي عاطفة لها على ما قبلها ، صح وثبت أن لا وجه لغير التي مع (المغضوب عليهم) يجوز توجيهها إليه على صحة إلا بمعنى الجحد والنفي ،

وأن لا وجه لقوله (ولا الضالين) إلا العطف على (غير المغضوب عليهم) ، فتأويل الكلام إذا إذ كان صحيحا ما قلنا بالذي عليه استشهدنا (اهدنا الصراط المستقيم) (صراط الذين أنعمت عليهم) لا المغضوب عليهم ولا الضالين .

فإن قال لنا قائل ومن هؤلاء الضالون الذين أمرنا الله بالاستعاذة بالله أن يسلك بنا سبيلهم أو نضل ضلالهم ؟ قيل هم الذين وصفهم الله في تنزيله فقال (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) ، فإن قال وما برهانك على أنهم أولاء ؟ قيل حدثنا :

188_ عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله (ولا الضالين) قال النصارى . وعنه قال قال لي رسول الله إن الضالين النصارى . وعنه قال سألت النبي عن قول الله (ولا الضالين) قال النصارى هم الضالون . (صحيح)

189_ عن عبد الله بن شقيق أن رجلا أتى رسول الله وهو محاصر وادي القرى قال من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الضالون النصارى .

190-191_ عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع النبي وهو بوادي القرى وهو على فرسه وسأله رجل من بني القين فقال يا رسول الله من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الضالون يعني النصارى . (صحيح)

192_ عن مجاهد (ولا الضالين) قال النصارى .

193_ عن ابن عباس (ولا الضالين) قال وغير طريق النصارى الذين أضلهم الله بفريتهم عليه ، قال يقول فألهمنا دينك الحق وهو لا إله إلا الله وحده لا شريك له حتى لا تغضب علينا كما غضبت على اليهود ولا تضلنا كما أضللت النصارى فتعذبنا بما تعذبهم به ، يقول امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك وقدرتك .

194_ عن ابن عباس قال (الضالين) النصارى .

195_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (ولا الضالين) هم النصارى .

196_ عن الربيع بن أنس (ولا الضالين) النصارى .

197_ عن عبد الرحمن بن زيد (ولا الضالين) النصارى .

198_ عن زيد بن أسلم قال (ولا الضالين) النصارى .

قال أبو جعفر وكل حائد عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم فضال عند العرب لإضلاله وجه الطريق ، فلذلك سمى الله جل ذكره النصارى ضلالا لخطئهم في الحق منهج السبيل وأخذهم من الدين في غير الطريق المستقيم ،

فإن قال قائل أوليس ذلك أيضا من صفة اليهود ؟ قيل بلى فإن قال كيف خص النصارى بهذه الصفة وخص اليهود بما وصفهم به من أنهم مغضوب عليهم ؟ قيل إن كلا الفريقين ضلال مغضوب عليهم غير أن الله وسم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفونه به إذا ذكره لهم أو أخبرهم عنه ولم يسم واحدا من الفريقين إلا بما هو له صفة على حقيقته وإن كان له من صفات الذم زيادات عليه ،

وقد ظن بعض أهل الغباء من القدرية أن في وصف الله النصارى بالضلال بقوله (ولا الضالين) وإضافته الضلال إليهم دون إضافة إضلالهم إلى نفسه وتركه وصفهم بأنهم المضللون كالذي وصف به اليهود أنهم المغضوب عليهم دلالة على صحة ما قاله إخوانه من جهلة القدرية جهلا منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه ،

ولو كان الأمر على ما ظنه الغبي الذي وصفنا شأنه لوجب أن يكون شأن كل موصوف بصفة أو مضاف إليه فعل لا يجوز أن يكون فيه سبب لغيره وأن يكون كل ما كان فيه من ذلك لغيره سبب فالحق فيه أن يكون مضافا إلى مسببه ، ولو وجب ذلك لوجب أن يكون خطأ قول القائل تحركت الشجرة إذا حركتها الرياح واضطربت الأرض إذا حركتها الزلزلة وما أشبه ذلك من الكلام الذي يطول بإحصائه الكتاب ،

وفي قول الله (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) بإضافته الجري إلى الفلك وإن كان جريها بإجراء غيرها إياها ما يدل على خطأ التأويل الذي تأوله من وصفنا قوله في قوله (ولا الضالين) وادعائه أن في نسبة الله الضلالة إلى من نسبها إليه من النصارى تصحيحا لما ادعى المنكرون أن يكون لله جل ثناؤه في أفعال خلقه سبب من أجله وجدت أفعالهم مع إبانة الله عز ذكره نصا في آي كثيرة من تنزيله أنه المضل الهادي ،

فمن ذلك قوله جل ثناؤه (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) ، فأنبأ جل ذكره أنه المضل الهادي دون غيره ، ولكن القرآن نزل بلسان العرب على ما قد قدمنا البيان عنه في أول الكتاب ،

ومن شأن العرب إضافة الفعل إلى من وجد منه وإن كان مسببه غير الذي وجد منه أحيانا وأحيانا إلى مسببه وإن كان الذي وجد منه الفعل غيره ، فكيف بالفعل الذي يكتسبه العبد كسبا ويوجده الله عينا منشأة ، بل ذلك أحرى أن يضاف إلى مكتسبه كسبا له بالقوة منه عليه والاختيار منه له وإلى الله بإيجاد عينه وإنشائها تدبيرا .

مسألة يسأل عنها أهل الإلحاد الطاعنون في القرآن إن سألنا منهم سائل فقال إنك قد قدمت في أول كتابك هذا في وصف البيان بأن أعلاه درجة وأشرفه مرتبة أبلغه في الإبانة عن حاجة المبين به عن نفسه وأبينه عن مراد قائله وأقربه من فهم سامعه وقلت مع ذلك إن أولى البيان بأن يكون كذلك كلام الله بفضله على سائر الكلام وبارتفاع درجته على أعلى درجات البيان ،

فما الوجه إذ كان الأمر على ما وصفت في إطالة الكلام بمثل سورة أم القرآن بسبع آيات ؟ وقد حوت معاني جميعها منها آيتان وذلك قوله (مالك يوم الدين) (إياك نعبد وإياك نستعين) إذ كان لا شك أن من عرف (مالك يوم الدين) فقد عرفه بأسمائه الحسنى وصفاته المثلى وأن من كان لله مطيعا فلا شك أنه لسبيل من أنعم الله عليه في دينه متبع وعن سبيل من غضب عليه وضل منعدل ،

فما في زيادة الآيات الخمس الباقية من الحكمة التي لم تحوها الآيتان اللتان ذكرنا ؟ قيل له إن الله جمع لنبينا محمد ولأمته بما أنزل إليه من كتابه معاني لم يجمعهن بكتاب أنزله إلى نبي قبله ولا لأمة من الأمم قبلهم ، وذلك أن كل كتاب أنزله جل ذكره على نبي من أنبيائه قبله ،

فإنما أنزل ببعض المعاني التي يحوي جميعها كتابه الذي أنزله إلى نبينا محمد كالتوراة التي هي مواعظ وتفصيل والزبور الذي هو تحميد وتمجيد والإنجيل الذي هو مواعظ وتذكير ، لا معجزة في واحد منها تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق ، والكتاب الذي أنزل على نبينا محمد يحوي معاني ذلك كله ويزيد عليه كثيرا من المعاني التي سائر الكتب غيره منها خالٍ ،

وقد قدمنا ذكرها فيما مضى من هذا الكتاب ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب ورصفه الغريب وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء وكلّت عن وصف شكل بعضِهِ البلغاء وتحيرت في تأليفه الشعراء وتبلدت قصورا عن أن تأتي بمثله لديه أفهام الفهماء ، فلم يجدوا له إلا التسليم والإقرار بأنه من عند الواحد القهار ،

مع ما يحوي مع ذلك من المعاني التي هي ترغيب وترهيب وأمر وزجر وقصص وجدل ومثل وما أشبه ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء ، فمهما يكن فيه من إطالة على نحو ما في أم القرآن ،

فلما وصفت قبل من أن الله جل ذكره أراد أن يجمع برصفه العجيب ونظمه الغريب المنعدل عن أوزان الأشعار وسجع الكهان وخطب الخطباء ورسائل البلغاء العاجز عن وصف مثله جميع الأنام وعن نظم نظيره كل العباد الدلالة على نبوة نبينا محمد وبما فيه من تحميد وتمجيد وثناء عليه تنبيها للعباد على عظمته وسلطانه وقدرته وعظم مملكته ،

ليذكروه بآلائه ويحمدوه على نعمائه فيستحقوا به منه المزيد ويستوجبوا عليه الثواب الجزيل وبما فيه من نعت من أنعم عليه بمعرفته وتفضل عليه بتوفيقه لطاعته تعريف عباده أن كل ما بهم من نعمة في دينهم ودنياهم فمنه ليصرفوا رغبتهم إليه ويبتغوا حاجاتهم من عنده دون ما سواه من الآلهة والأنداد ،

وبما فيه من ذكره ما أحل بمن عصاه من مثلاته وأنزل بمن خالف أمره من عقوباته ترهيب عباده عن ركوب معاصيه والتعرض لما لا قبل لهم به من سخطه فيسلك بهم في النكال والنقمات سبيل من ركب ذلك من الهلاك ، فذلك وجه إطالة البيان في سورة أم القرآن وفيما كان نظيرا لها من سائر سور الفرقان وذلك هو الحكمة البالغة والحجة الكاملة .

199_ عن أبي هريرة قال قال رسول الله إذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال أثنى عليَّ عبدي وإذا قال (مالك يوم الدين) قال مجّدني عبدي فهذا لي وإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) إلى أن يختم السورة . (صحيح)

200_ عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله قال الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وله ما سأل فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال أثنى عليَّ عبدي وإذا قال (مالك يوم الدين) قال مجدني عبدي ، قال هذا لي وله ما بقي . (صحيح)

آخر تفسير سورة فاتحة الكتاب .

_ سورة البقرة وآياتها ست وثمانون ومائتان

_ القول في تأويل السورة التي يذكر فيها البقرة

_ القول في تأويل قوله تعالى (الم)

قال أبو جعفر اختلفت تراجمة القرآن في تأويل قول الله (الم) فقال بعضهم هو اسم من أسماء القرآن .

201_ عن قتادة في قوله (الم) قال اسم من أسماء القرآن .

202_ عن مجاهد قال (الم) اسم من أسماء القرآن .

203_ عن ابن جريج قال (الم) اسم من أسماء القرآن .

وقال بعضهم هو فواتح يفتح الله بها القرآن . ذِكر من قال ذلك :

204_ عن مجاهد قال (الم) فواتح يفتح الله بها القرآن .

205_ عن مجاهد قال (الم) فواتح .

206_ عن مجاهد قال (الم) و(حم) و(المص) و(ص) فواتح افتتح الله بها .

وقال بعضهم هو اسم للسورة . ذكر من قال ذلك :

207_ عن عبد الله بن وهب قال سألت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن قول الله (الم ذلك الكتاب) و(الم تنزيل) و(المر تلك) فقال قال أبي إنما هي أسماء السور .

وقال بعضهم هو اسم الله الأعظم . ذكر من قال ذلك :

208_ عن شعبة قال سألت السدي عن (حم) و(طسم) و(الم) فقال قال ابن عباس هو اسم الله الأعظم .

209_ عن الشعبي قال فواتح السور من أسماء الله .

وقال بعضهم هو قسم أقسم الله به وهي من أسمائه . ذكر من قال ذلك :

210_ عن ابن عباس قال هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله .

211_ عن عكرمة قال (الم) قسم .

وقال بعضهم هو حروف مقطعة من أسماء وأفعال كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر . ذكر من قال ذلك :

212_ عن ابن عباس (الم) قال أنا الله أعلم .

213_ عن سعيد بن جبير قال قوله (الم) قال أنا الله أعلم .

214_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي قالوا أما (الم) فهو حرف اشتق من حروف هجاء أسماء الله .

215_ عن ابن عباس في قوله (الم) و(حم) و(ن) قال اسم مقطع .

وقال بعضهم هي حروف هجاء موضوع . ذكر من قال ذلك :

216_ عن مجاهد قال فواتح السور كلها (ق) و(ص) و(حم) و(طسم) و(الر) وغير ذلك هجاء موضوع .

وقال بعضهم هي حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة . ذكر من قال ذلك :

217_ عن الربيع بن أنس في قول الله (الم) قال هذه الأحرف من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه وليس منها حرف إلا وهو مدة قوم وآجالهم ،

وقال عيسى ابن مريم وعجيب ينطقون في أسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون ، قال الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والألف آلاء الله واللام لطفه والميم مجده الألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون .

وقال بعضهم هي حروف من حساب الجمل ، كرهنا ذكر الذي حكي ذلك عنه إذ كان الذي رواه ممن لا يعتمد على روايته ونقله ، وقد مضت الرواية بنظير ذلك من القول عن الربيع بن أنس .
وقال بعضهم لكل كتاب سر وسر القرآن فواتحه .

وأما أهل العربية فإنهم اختلفوا في معنى ذلك ، فقال بعضهم هي حروف من حروف المعجم ، استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفا ، كما استغنى المخبر عمن أخبر عنه أنه في حروف المعجم الثمانية والعشرين بذكر أب ت ث عن ذكر بواقي حروفها التي هي تتمة الثمانية والعشرين ،

قال ولذلك رفع (ذلك الكتاب) لأن معنى الكلام الألف واللام والميم من الحروف المقطعة (ذلك الكتاب) الذي أنزلته إليك مجموعا (لا ريب فيه) ، فإن قال قائل فإن أب ت ث قد صارت كالاسم في حروف الهجاء كما صارت الحمد اسما لفاتحة الكتاب ،

قيل له لما كان جائزا أن يقول القائل ابني في ط ظ وكان معلوما بقيله ذلك لو قاله أنه يريد الخبر عن ابنه أنه في الحروف المقطعة علم بذلك أن أب ت ث ليس لها باسم وإن كان ذلك آثر في الذكر من سائرها ،

قال وإنما خولف بين ذكر حروف المعجم في فواتح السور فذكرت في أوائلها مختلفة وذكرها إذا ذكرت بأوائلها التي هي أب ت ث مؤتلفة ليفصل بين الخبر عنها إذا أريد بذكر ما ذكر منها مختلفا الدلالة على الكلام المتصل وإذا أريد بذكر ما ذكر منها مؤتلفا الدلالة على الحروف المقطعة بأعيانها ،

واستشهدوا لإجازة قول القائل ابني في ط ظ وما أشبه ذلك من الخبر عنه أنه في حروف المعجم وأن ذلك من قيله في البيان يقوم مقام قوله ابني في أب ت ث برجز بعض الرجاز من بني أسد لما رأيت أمرها في حُطِّي / وفنَكَتْ في كَذِبٍ ولَطّ ، أخذت منها بقرون شمط فلم / يزل ضربي بها ومعطي ، حتى علا الرأس دم يغطي ،

فزعم أنه أراد بذلك الخبر عن المرأة أنها في أبي جاد فأقام قوله لما رأيت أمرها في حطي مقام خبره عنها أنها في أبي جاد إذ كان ذاك من قوله يدل سامعه على ما يدله عليه قوله لما رأيت أمرها في أبي جاد ،

وقال آخرون بل ابتدئت بذلك أوائل السور ليفتح لاستماعه أسماع المشركين إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلي عليهم المؤلف منه ، وقال بعضهم الحروف التي هي فواتح السور حروف يستفتح الله بها كلامه ،

فإن قيل هل يكون من القرآن ما ليس له معنى ؟ فإن معنى هذا أنه افتتح بها ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت وأنه قد أخذ في أخرى فجعل هذا علامة انقطاع ما بينهما وذلك في كلام العرب ينشد الرجل منهم الشعر فيقول بل وبلدة ما الإنس من آهالها ، ويقول لا بل ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا ، وبل ليست من البيت ولا تعد في وزنه ولكن يقطع بها كلاما ويستأنف الآخر .

ولكل قول من الأقوال التي قالها الذين وصفنا قولهم في ذلك وجه معروف ، فأما الذين قالوا (الم) اسم من أسماء القرآن فلقولهم ذلك وجهان أحدهما أن يكونوا أرادوا أن (الم) اسم للقرآن كما الفرقان اسم له ،

وإذا كان معنى قائل ذلك كذلك كان تأويل قوله (الم) ذلك الكتاب على معنى القسم كأنه قال والقرآن هذا الكتاب لا ريب فيه ، والآخر منهما أن يكونوا أرادوا أنه اسم من أسماء السورة التي تعرف به كما تعرف سائر الأشياء بأسمائها التي هي لها أمارات تعرف بها ،

فيفهم السامع من القائل يقول قرأت اليوم المص و ن أي السورة التي قرأها من سور القرآن كما يفهم عنه إذا قال لقيت اليوم عمرا وزيدا وهما بزيد وعمرو عارفان من الذي لقي من الناس ، وإن أشكل معنى ذلك على امرئ فقال وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ونظائر (الم) (المر) في القرآن جماعة من السور وإنما تكون الأسماء أمارات إذا كانت مميزة بين الأشخاص فأما إذا كانت غير مميزة فليست أمارات ،

قيل إن الأسماء وإن كانت قد صارت لاشتراك كثير من الناس في الواحد منها غير مميزة إلا بمعان أخر معها من ضم نسبة المسمى بها إليها أو نعته أو صفته بما يفرق بينه وبين غيره من أشكالها

فإنها وضعت ابتداء للتمييز لا شك ، ثم احتيج عند الاشتراك إلى المعاني المفرقة بين المسمى بها ، فكذلك ذلك في أسماء السور جعل كل اسم في قول قائل هذه المقالة أمارة للمسمى به من السور ،

فلما شارك المسمى به فيه غيره من سور القرآن احتاج المخبر عن سورة منها أن يضم إلى اسمها المسمى به من ذلك ما يفرق به للسامع بين الخبر عنها وعن غيرها من نعت وصفة أو غير ذلك فيقول المخبر عن نفسه إنه تلا سورة البقرة إذا سماها باسمها الذي هو (الم) قرأت الم البقرة وفي آل عمران قرأت الم آل عمران والم ذلك الكتاب والم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ،

كما لو أراد الخبر عن رجلين اسم كل واحد منهما عمرو غير أن أحدهما تميمي والآخر أزدي للزمه أن يقول لمن أراد إخباره عنهما لقيت عمرا التميمي وعمرا الأزدي إذ كان لا فرق بينهما وبين غيرهما ممن يشاركهما في أسمائهما إلا بنسبتهما كذلك ، فكذلك ذلك في قول من تأول في الحروف المقطعة أنها أسماء للسور ،

وأما الذين قالوا ذلك فواتح يفتتح الله بها كلامه فإنهم وجهوا ذلك إلى نحو المعنى الذي حكيناه عمن حكينا عنه من أهل العربية أنه قال ذلك أدلة على انقضاء سورة وابتداء في أخرى وعلامة لانقطاع ما بينهما ، كما جعلت بل في ابتداء قصيدة دلالة على ابتداء فيها وانقضاء أخرى قبلها ،

كما ذكرنا عن العرب إذا أرادوا الابتداء في إنشاد قصيدة قالوا بل ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا ، وبل ليست من البيت ولا داخلة في وزنه ولكن ليدل به على قطع كلام وابتداء آخر ، وأما الذين قالوا ذلك حروف مقطعة بعضها من أسماء الله وبعضها من صفاته ولكل حرف من ذلك معنى غير معنى الحرف الآخر فإنهم نحوا بتأويلهم ذلك نحو قول الشاعر قلنا لها قفي لنا قالت قاف / لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف ،

يعني بقوله قالت قاف قالت قد وقفت ، فدلت بإظهار القاف من وقفت على مرادها من تمام الكلمة التي هي وقفت ، فصرفوا قوله (الم) وما أشبه ذلك إلى نحو هذا المعنى فقال بعضهم الألف ألف أنا واللام لام الله والميم ميم أعلم وكل حرف منها دال على كلمة تامة ، قالوا فجملة هذه الحروف المقطعة إذا ظهر مع كل حرف منهن تمام حروف الكلمة أنا الله أعلم ،

قالوا وكذلك سائر جميع ما في أوائل سور القرآن من ذلك فعلى هذا المعنى وبهذا التأويل قالوا ومستفيض ظاهر في كلام العرب أن ينقص المتكلم منهم من الكلمة الأحرف إذا كان فيما بقي دلالة على ما حذف منها ويزيد فيها ما ليس منها إذا لم تكن الزيادة ملبسة معناها على سامعها ، كحذفهم في النقص في الترخيم من حارث الثاء فيقولون يا حار ومن مالك الكاف فيقولون يا مال وما أشبه ذلك ،

وكقول راجزهم ما للظليم عال كيف لا / يا ينقدُّ عنه جِلدُهُ إذا يا ، كأنه أراد أن يقول إذا يفعل كذا وكذا فاكتفى بالياء من يفعل ، وكما قال آخر منهم بالخير خيرات وإن شرا فا ، يريد فشرا ، ولا أريد الشر إلا أن تا ، يريد إلا أن تشاء ، فاكتفى بالتاء والفاء في الكلمتين جميعا من سائر حروفهما وما أشبه ذلك من الشواهد التي يطول الكتاب باستيعابه .

218_ عن محمد بن سيرين قال لما مات يزيد بن معاوية قال لي عبدة إني لا أراها إلا كائنة فتنة فافزع من ضيعتك والحق بأهلك ، قلت فما تأمرني ؟ قال أحب إلي لك أن تا . قال أيوب وابن عون بيده تحت خده الأيمن يصف الاضطجاع حتى ترى أمرا تعرفه .

قال أبو جعفر يعني ب تا تضطجع فاجتزأ بالتاء من تضطجع ، وكما قال الآخر في الزيادة في الكلام على النحو الذي وصفت ، أقول إذ خرت على الكلكال يا / ناقتي ما جلت من مجال ، يريد الكلكل ، وكما قال الآخر إن شكلي وإن شكلك شتى ، فالزمي الخص واخفضي تبيضضي ،

فزاد ضادا وليست في الكلمة ، قالوا فكذلك ما نقص من تمام حروف كل كلمة من هذه الكلمات التي ذكرنا أنها تتمة حروف (الم) ونظائرها نظير ما نقص من الكلام الذي حكيناه عن العرب في أشعارها وكلامها ،

وأما الذين قالوا كل حرف من (الم) ونظائرها دال على معان شتى نحو الذي ذكرنا عن الربيع بن أنس فإنهم وجهوا ذلك إلى مثل الذي وجهه إليه من قال هو بتأويل أنا الله أعلم في أن كل حرف منه بعض حروف كلمة تامة استغنى بدلالته على تمامه عن ذكر تمامه ،

وإن كانوا له مخالفين في كل حرف من ذلك أهو من الكلمة التي ادعى أنه منها قائلو القول الأول أم من غيرها ، فقالوا بل الألف من (الم) من كلمات شتى هي دالة على معاني جميع ذلك وعلى تمامه ، قالوا وإنما أفرد كل حرف من ذلك وقصر به عن تمام حروف الكلمة أن جميع حروف الكلمة لو أظهرت لم تدل الكلمة التي تظهر بعض هذه الحروف المقطعة بعض لها إلا على معنى واحد لا على معنيين وأكثر منهما ،

قالوا وإذا كان لا دلالة في ذلك لو أظهر جميعها إلا على معناها الذي هو معنى واحد وكان الله قد أراد الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لشيء واحد لم يجز إلا أن يفرد الحرف الدال على تلك المعاني ليعلم المخاطبون به أن الله لم يقصد قصد معنى واحد ودلالة على شيء واحد بما خاطبهم به وأنه إنما قصد الدلالة به على أشياء كثيرة ،

قالوا فالألف من (الم) مقتضية معاني كثيرة منها إتمام اسم الرب الذي هو الله وتمام اسم نعماء الله التي هي آلاء الله ، والدلالة على أجل قوم أنه سنة إذا كانت الألف في حساب الجمل واحدا واللام مقتضية تمام اسم الله الذي هو لطيف وتمام اسم فضله الذي هو لطف ، والدلالة على أجل قوم أنه ثلاثون سنة والميم مقتضية تمام اسم الله الذي هو مجيد وتمام اسم عظمته التي هي مجد والدلالة على أجل قوم أنه أربعون سنة ،

فكان معنى الكلام في تأويل قائل القول الأول أن الله افتتح كلامه بوصف نفسه بأنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء وجعل ذلك لعباده منهجا يسلكونه في مفتتح خطبهم ورسائلهم ومهم أمورهم وابتلاء منه لهم ليستوجبوا به عظيم الثواب في دار الجزاء ،

كما افتتح بالحمد لله رب العالمين و (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) وما أشبه ذلك من السور التي جعل مفاتحها الحمد لنفسه وكما جعل مفاتح بعضها تعظيم نفسه وإجلالها بالتسبيح كما قال جل ثناؤه (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) ،

وما أشبه ذلك من سائر سور القرآن التي جعل مفاتح بعضها تحميد نفسه ومفاتح بعضها تمجيدها ومفاتح بعضها تعظيمها وتنزيهها ، فكذلك جعل مفاتح السور الأخرى التي أوائلها بعض حروف المعجم مدائح نفسه أحيانا بالعلم وأحيانا بالعدل والإنصاف وأحيانا بالإفضال والإحسان بإيجاز واختصار ثم اقتصاص الأمور بعد ذلك ،

وعلى هذا التأويل يجب أن يكون الألف واللام والميم في أماكن الرفع مرفوعا بعضها ببعض دون قوله (ذلك الكتاب) ويكون ذلك الكتاب خبر مبتدأ منقطعا عن معنى (الم) ، وكذلك ذلك في

تأويل قول قائل هذا القول الثاني مرفوع بعضه ببعض وإن كان مخالفا معناه معنى قول قائل القول الأول ،

وأما الذين قالوا هن حروف من حروف حساب الجمل دون ما خالف ذلك من المعاني فإنهم قالوا لا نعرف للحروف المقطعة معنى يفهم سوى حساب الجمل وسوى تهجي قول القائل (الم) ، وقالوا غير جائز أن يخاطب الله عباده إلا بما يفهمونه ويعقلونه عنه ،

فلما كان ذلك كذلك وكان قوله (الم) لا يعقل لها وجه توجه إليه إلا أحد الوجهين اللذين ذكرنا ، فبطل أحد وجهيه وهو أن يكون مرادا بها تهجي (الم) صح وثبت أنه مراد به الوجه الثاني وهو حساب الجمل ، لأن قول القائل (الم) لا يجوز أن يليه من الكلام ذلك الكتاب لاستحالة معنى الكلام وخروجه عن المعقول إذا ولي (الم) ذلك الكتاب ، واحتجوا لقولهم ذلك أيضا بما حدثنا :

219_ عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رئاب قال مر أبو ياسر بن أخطب برسول الله وهو يتلو فاتحة سورة البقرة (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من يهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله عليه (الم ذلك الكتاب) ،

فقالوا أنت سمعته ؟ قال نعم فمشى حيي بن أخطب في أولئك النفر من يهود إلى رسول الله فقالوا يا محمد ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك (الم ذلك الكتاب) ، فقال رسول الله بلى ، فقالوا أجاءك بهذا جبريل من عند الله ؟ قال نعم ، قالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك ،

فقال حيي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة ، قال فقال لهم أتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ قال ثم أقبل على رسول الله فقال يا محمد هل مع هذا غيره ؟ قال نعم ،

قال ماذا ؟ قال (المص) قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه مائة وإحدى وستون سنة هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال نعم ، قال ماذا ؟ قال (الر) قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة ، فقال هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال نعم (المر) ،

قال فهذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ثم قال لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الأحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد ،

إحدى وسبعون وإحدى وستون ومائة ومائتان وإحدى وثلاثون ومائتان وإحدى وسبعون فذلك سبعمائة سنة وأربع وثلاثون فقالوا لقد تشابه علينا أمره ويزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) . (ضعيف)

فقالوا قد صرح هذا الخبر بصحة ما قلنا في ذلك من التأويل وفساد ما قاله مخالفونا فيه .
والصواب من القول عندي في تأويل مفاتح السور التي هي حروف المعجم أن الله جعلها حروفا مقطعة ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف ،

لأنه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة لا على معنى واحد كما قال الربيع بن أنس ، وإن كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاثة دون ما زاد عليها ، والصواب في تأويل ذلك عندي أن كل حرف منه يحوي ما قاله الربيع وما قاله سائر المفسرين غيره فيه سوى ما ذكرت من القول عمن ذكرت عنه من أهل العربية ،

أنه كان يوجه تأويل ذلك إلى أنه حروف هجاء استغنى بذكر ما ذكر منه في مفاتح السور عن ذكر تتمة الثمانية والعشرين حرفا من حروف المعجم بتأويل أن هذه الحروف (ذلك الكتاب) مجموعة (لا ريب فيه) فإنه قول خطأ فاسد لخروجه عن أقوال جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين من أهل التفسير والتأويل ،

فكفى دلالة على خطئه شهادة الحجة عليه بالخطأ مع إبطال قائل ذلك قوله الذي حكيناه عنه ، إذ صار إلى البيان عن رفع (ذلك الكتاب) بقوله مرة إنه مرفوع كل واحد منهما بصاحبه ومرة أخرى أنه مرفوع بالراجع من ذكره في قوله (لا ريب فيه) ومرة بقوله (هدى للمتقين) ،

وذلك ترك منه لقوله إن (الم) رافعة (ذلك الكتاب) وخروج من القول الذي ادعاه في تأويل (الم ذلك الكتاب) وأن تأويل ذلك هذه الحروف (ذلك الكتاب) ، فإن قال لنا قائل وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملا الدلالة على معان كثيرة مختلفة ؟ قيل كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة ،

كقولهم للجماعة من الناس أمة وللحين من الزمان أمة وللرجل المتعبد المطيع لله أمة وللدين والملة أمة وكقولهم للجزاء والقصاص دين وللسلطان والطاعة دين وللتذلل دين وللحساب دين ،

في أشباه لذلك كثيرة يطول الكتاب بإحصائها مما يكون من الكلام بلفظ واحد وهو مشتمل على معانٍ كثيرة ،

وكذلك قول الله (الم) و(المر) و(المص) وما أشبه ذلك من حروف المعجم التي هي فواتح أوائل السور كل حرف منها دال على معان شتى شامل جميعها من أسماء الله وصفاته ما قاله المفسرون من الأقوال التي ذكرناها عنهم وهن مع ذلك فواتح السور كما قاله من قال ذلك ،

وليس كون ذلك من حروف أسماء الله وصفاته بمانعها أن تكون للسور فواتح لأن الله قد افتتح كثيرا من سور القرآن بالحمد لنفسه والثناء عليها وكثيرا منها بتمجيدها وتعظيمها ، فغير مستحيل أن يبتدئ بعض ذلك بالقسم بها ،

فالتي ابتدئ أوائلها بحروف المعجم أحد معاني أوائلها أنهن فواتح ما افتتح بهن من سور القرآن وهن مما أقسم بهن لأن أحد معانيهن أنهن من حروف أسماء الله وصفاته على ما قدمنا البيان عنها ، ولا شك في صحة معنى القسم بالله وأسمائه وصفاته وهن من حروف حساب الجمل وهن للسور التي افتتحت بهن شعار وأسماء ،

فذلك يحوي معاني جميع ما وصفنا مما بينا من وجوهه ، لأن الله لو أراد بذلك أو بشيء منه الدلالة على معنى واحد مما يحتمله ذلك دون سائر المعاني غيره لأبان ذلك لهم رسول الله إبانة غير مشكلة ، إذ كان جل ثناؤه إنما أنزل كتابه على رسوله ليبين لهم ما اختلفوا فيه ،

وفي تركه إبانة ذلك أنه مراد به من وجوه تأويله البعض دون البعض أوضح الدليل على أنه مراد به جميع وجوهه التي هو لها محتمل ، إذ لم يكن مستحيلا في العقل وجه منها أن يكون من تأويله ومعناه كما كان غير مستحيل اجتماع المعاني الكثيرة للكلمة الواحدة باللفظ الواحد في كلام واحد ،

ومَن أبَى ما قلناه في ذلك سئل الفرق بين ذلك وبين سائر الحروف التي تأتي بلفظ واحد مع اشتمالها على المعاني الكثيرة المختلفة كالأمة والدين وما أشبه ذلك من الأسماء والأفعال فلن يقول في أحد ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله ،

وكذلك يُسأَل كل من تأول شيئا من ذلك على وجه دون الأوجه الأخر التي وصفنا عن البرهان على دعواه من الوجه الذي يحب التسليم له ثم يعارض بقوله يخالفه في ذلك ويسأل الفرق بينه وبينه من أصل أو مما يدل عليه أصل ، فلن يقول في أحدهما قولا إلا ألزم في الآخر مثله ،

وأما الذي زعم من النحويين أن ذلك نظير بل في قول المنشد شعرا بل ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا وأنه لا معنى له وإنما هو زيادة في الكلام معناه الطرح فإنه أخطأ من وجوه شتى ، أحدها أنه وصف الله بأنه خاطب العرب بغير ما هو من لغتها وغير ما هو في لغة أحد من الآدميين ،

إذ كانت العرب وإن كانت قد كانت تفتتح أوائل إنشادها ما أنشدت من الشعر ببل ، فإنه معلوم منها أنها لم تكن تبتدئ شيئا من الكلام ب (الم) و(الر) و(المص) بمعنى ابتدائها ذلك ب (بل) ، وإذ كان ذلك ليس من ابتدائها وكان الله إنما خاطبهم بما خاطبهم من القرآن بما يعرفون من لغاتهم ويستعملون بينهم من منطقهم في جميع آيه ،

فلا شك أن سبيل ما وصفنا من حروف المعجم التي افتتحت بها أوائل السور التي هن لها فواتح سبيل سائر القرآن في أنه لم يعدل بها عن لغاتهم التي كانوا بها عارفين ولها بينهم في منطقهم مستعملين ، لأن ذلك لو كان معدولا به عن سبيل لغاتهم ومنطقهم كان خارجا عن معنى الإبانة التي وصف الله بها القرآن ،

فقال تعالى ذكره (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) ، وأنَّى يكون مبينا ما لا يعقله ولا يفقهه أحد من العالمين في قول قائل هذه المقالة ولا يعرف في منطق أحد من المخلوقين في قوله ، وفي إخبار الله عنه أنه عربي مبين ما يكذب هذه المقالة وينبئ عنه أن العرب كانوا به عالمين وهو لها مستبين ، فذلك أحد أوجه خطئه ،

والوجه الثاني من خطئه في ذلك إضافته إلى الله أنه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه ولا معنى له من الكلام الذي سواء الخطاب به وترك الخطاب به ، وذلك إضافة العبث الذي هو منفي في قول جميع الموحدين عن الله إلى الله ،

والوجه الثالث من خطئه أن بل في كلام العرب مفهوم تأويلها ومعناها وأنها تدخلها في كلامها رجوعا عن كلام لها قد تقضى كقولهم ما جاءني أخوك بل أبوك وما رأيت عمرا بل عبد الله وما أشبه ذلك من الكلام ، كما قال أعشى بني ثعلبة ولأشربن ثمانيا وثمانيا / وثلاث عشرة واثنتين وأربعا ، ومضى في كلمته حتى بلغ قوله بالجُلَّسَانِ وطيب أردانه / بالوَنِّ يَضْرَب لي يكِرُّ الأُصْبُعَا ،

ثم قال بل عد هذا في قريضٍ غيرِه / واذكر فتًى سمح الخليقة أروعا ، فكأنه قال دع هذا وخذ في قريض غيره ، فبل إنما يأتي في كلام العرب على هذا النحو من الكلام ، فأما إفساحا لكلامها مبتدأ بمعنى التطويل والحذف من غير أن يدل على معنى فذلك مما لا نعلم أحدا ادعاه من أهل المعرفة

بلسان العرب ومنطقها سوى الذي ذكرت قوله ، فيكون ذلك أصلا يشبه به حروف المعجم التي هي فواتح سور القرآن التي افتتحت بها لو كان له مشبهة فكيف وهي من الشبه به بعيدة .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)

قال عامة المفسرين تأويل قول الله (ذلك الكتاب) هذا الكتاب .

220_ عن مجاهد (ذلك الكتاب) قال هو هذا الكتاب .

221_ عن عكرمة قال (ذلك الكتاب) هذا الكتاب .

222_ عن السدي في قوله (ذلك الكتاب) قال هذا الكتاب .

223_ عن ابن جريج قوله (ذلك الكتاب) هذا الكتاب ، قال قال ابن عباس (ذلك الكتاب) هذا الكتاب .

فإن قال قائل وكيف يجوز أن يكون ذلك بمعنى هذا وهذا لا شك إشارة إلى حاضر معاين وذلك إشارة إلى غائب غير حاضر ولا معاين ؟ قيل جاز ذلك لأن كل ما تقضى وقرب تقضيه من الأخبار فهو وإن صار بمعنى غير الحاضر فكالحاضر عند المخاطب ،

وذلك كالرجل يحدث الرجل الحديث فيقول السامع إن ذلك والله لكما قلت وهذا والله كما قلت وهو والله كما ذكرت ، فيخبر عنه مرة بمعنى الغائب إذ كان قد تقضى ومضى ومرة بمعنى الحاضر لقرب جوابه من كلام مخبره كأنه غير مُنَقِضٍ ، فكذلك ذلك في قوله (ذلك الكتاب) ،

لأنه جل ذكره لما قدم قبل ذلك الكتاب (الم) التي ذكرنا تصرفها في وجوهها من المعاني على ما وصفنا قال لنبيه يا محمد هذا الذي ذكرته وبينته لك الكتاب ، ولذلك حسن وضع ذلك في مكان هذا لأنه أشير به إلى الخبر عما تضمنه قوله (الم) من المعاني بعد تقضي الخبر عنه (الم) ،

فصار لقرب الخبر عنه من تقضيه كالحاضر المشار إليه فأخبر عنه بذلك لانقضائه ومصير الخبر عنه كالخبر عن الغائب ، وترجمه المفسرون أنه بمعنى هذا لقرب الخبر عنه من انقضائه فكان كالمشاهد المشار إليه بهذا نحو الذي وصفنا من الكلام الجاري بين الناس في محاوراتهم ،

وكما قال جل ذكره (واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار هذا ذكر) فهذا ما في ذلك إذا عنى بها هذا ، وقد يحتمل قوله جل ذكره (ذلك الكتاب) أن يكون معنيا به السور التي نزلت قبل سورة البقرة بمكة والمدينة ، فكأنه قال جل ثناؤه لنبيه محمد يا محمد اعلم أن ما تضمنته سور الكتاب التي قد أنزلتها إليك هو الكتاب الذي لا ريب فيه ،

ثم ترجمه المفسرون بأن معنى ذلك هذا الكتاب إذ كانت تلك السور التي نزلت قبل سورة البقرة من جملة جميع كتابنا هذا الذي أنزله الله على نبينا محمد ، وكان التأويل الأول أولى بما قاله المفسرون لأن ذلك أظهر معاني قولهم الذي قالوه في ذلك ،

وقد وجه معنى ذلك بعضهم إلى نظير معنى بيت خفاف بن ندبة السلمي فإن تك خيلي قد أصيب صميمُها / فعمْداً على عينٍ تيمَّمْتُ مالكا ، أقول له والرمح يأطر متنه / تأمل خفافا إنني أنا ذلكا ، كأنه أراد تأملني أنا ذلك فرأى أن (ذلك الكتاب) بمعنى هذا نظير ما أظهر خفاف من اسمه على وجه الخبر عن الغائب وهو مخبر عن نفسه ،

فكذلك أظهر ذلك بمعنى الخبر عن الغائب والمعنى فيه الإشارة إلى الحاضر المشاهد ، والقول الأول أولى بتأويل الكتاب لما ذكرنا من العلل ، وقد قال بعضهم (ذلك الكتاب) يعني به التوراة والإنجيل ، وإذا وجه تأويل ذلك إلى هذا الوجه فلا مؤنة فيه على متأوله كذلك لأن ذلك يكون حينئذ إخبارا عن غائب على صحة .

_ القول في تأويل قوله تعالى (لا ريب فيه)

وتأويل قوله (لا ريب فيه) لا شك فيه .

224_ عن مجاهد (لا ريب فيه) قال لا شك فيه .

225_ عن عطاء (لا ريب فيه) قال لا شك فيه .

226_ عن السدي قال (لا ريب فيه) لا شك فيه .

227_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (لا ريب فيه) لا شك فيه .

228_ عن ابن عباس (لا ريب فيه) قال لا شك فيه .

229_ عن قتادة (لا ريب فيه) قال لا شك فيه .

230_ عن الربيع قوله (لا ريب فيه) يقول لا شك فيه .

وهو مصدر من قولك رابني الشيء يريبني ريبا ، ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية الهذلي فقالوا تركنا الحي قد حصروا به / فلا ريب أن قد كان ثم لحيم ، ويروى حَصَرُوا وحَصِرُوا ، والفتح أكثر والكسر جائز يعني بقوله حصروا به أطافوا به ،

ويعني بقوله (لا ريب فيه) لا شك فيه وبقوله أن قد كان ثم لحيم يعني قتيلا ، يقال قد لحم إذا قتل ، والهاء التي في فيه عائدة على الكتاب كأنه قال لا شك في ذلك الكتاب أنه من عند الله هدى للمتقين .

_ القول في تأويل قوله تعالى (هدى)

231_ عن الشعبي (هدى) قال هدى من الضلالة .

232_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (هدى للمتقين) يقول نور للمتقين .

والهدى في هذا الموضع مصدر من قولك هديت فلانا الطريق إذا أرشدته إليه ودللته عليه وبينته له أهديه هدى وهداية ، فإن قال لنا قائل أوما كتاب الله نورا إلا للمتقين ولا رشادا إلا للمؤمنين ؟

قيل ذلك كما وصفه ربنا ، ولو كان نورا لغير المتقين ورشادا لغير المؤمنين لم يخصص الله المتقين بأنه لهم هدى بل كان يعم به جميع المنذرين ،

ولكنه هدى للمتقين وشفاء لما في صدور المؤمنين ووقر في آذان المكذبين وعمى لأبصار الجاحدين وحجة لله بالغة على الكافرين فالمؤمن به مهتد والكافر به محجوج ، وقوله (هدى) يحتمل أوجها من المعاني ،

أحدها أن يكون نصبا لمعنى القطع من الكتاب لأنه نكرة والكتاب معرفة فيكون التأويل حينئذ الم ذلك الكتاب هاديا للمتقين ، وذلك مرفوع ب (الم) والم به والكتاب نعت لذلك ، وقد يحتمل أن يكون نصبا على القطع من راجع ذكر الكتاب الذي في فيه ، فيكون معنى ذلك حينئذ الم الذي لا ريب فيه هاديا ،

وقد يحتمل أن يكون أيضا نصبا على هذين الوجهين ، أعني على وجه القطع من الهاء التي في فيه ومن الكتاب على أن الم كلام تام ، كما قال ابن عباس إن معناه أنا الله أعلم ثم يكون ذلك الكتاب خبرا مستأنفا ويرفع حينئذ الكتاب بذلك وذلك بالكتاب ويكون هدى قطعا من الكتاب وعلى أن يرفع ذلك بالهاء العائدة عليه التي في فيه والكتاب نعت له والهدى قطع من الهاء التي في فيه ،

وإن جعل الهدى في موضع رفع لم يجز أن يكون (ذلك الكتاب) إلا خبرا مستأنفا و(الم) كلاما تاما مكتفيا بنفسه إلا من وجه واحد وهو أن يرفع حينئذ هدى بمعنى المدح ، كما قال الله جل وعز (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) في قراءة من قرأ رحمة بالرفع على المدح للآيات ، والرفع في هدى حينئذ يجوز من ثلاثة أوجه ،

أحدها ما ذكرنا من أنه مدح مستأنف ، والآخر على أن يجعل الرافع ذلك والكتاب نعت لذلك ، والثالث أن يجعل تابعا لموضع (لا ريب فيه) ويكون (ذلك الكتاب) مرفوعا بالعائد في فيه فيكون كما قال تعالى ذكره (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) ،

وقد زعم بعض المتقدمين في العلم بالعربية من الكوفيين أن الم رافع (ذلك الكتاب) بمعنى هذه الحروف من حروف المعجم ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه إليك ، ثم نقض ذلك من قوله فأسرع نقضه وهدم ما بنى فأسرع هدمه فزعم أن الرفع في هدى من وجهين والنصب من وجهين وأن أحد وجهي الرفع أن يكون الكتاب نعتا لذلك والهدى في موضع رفع خبر لذلك كأنك قلت ذلك لا شك فيه ،

قال وإن جعلت (لا ريب فيه) خبره رفعت أيضا هدى بجعله تابعا لموضع (لا ريب فيه) ، كما قال الله (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) كأنه قال وهذا كتاب هدى من صفته كذا وكذا ، قال وأما أحد وجهي النصب فأن تجعل الكتاب خبرا لذلك وتنصب هدى على القطع لأن هدى نكرة اتصلت بمعرفة وقد تم خبرها فتنصبها ، لأن النكرة لا تكون دليلا على معرفة وإن شئت نصبت هدى على القطع من الهاء التي في فيه كأنك قلت لا شك فيه هاديا ،

قال أبوجعفر فترك الأصل الذي أصله في الم وأنها مرفوعة ب (ذلك الكتاب) ونبذه وراء ظهره ، واللازم له على الأصل الذي كان أصله أن لا يجيز الرفع في هدى بحال إلا من وجه واحد وذلك من قبل الاستئناف إذ كان مدحا ، فأما على وجه الخبر لذلك أو على وجه الإتباع لموضع (لا ريب فيه) فكان اللازم له على قوله أن يكون خطأ ،

وذلك أن الم إذا رفعت (ذلك الكتاب) فلا شك أن هدى غير جائز حينئذ أن يكون خبرا لذلك بمعنى الرافع له أو تابعا لموضع لا ريب فيه ، لأن موضعه حينئذ نصب لتمام الخبر قبله وانقطاعه بمخالفته إياه عنه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (للمتقين)

233_ عن الحسن قوله (للمتقين) قال اتقوا ما حرم عليهم وأدوا ما افترض عليهم .

234_ عن ابن عباس (للمتقين) أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته بالتصديق بما جاء به .

235_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (هدى للمتقين) قال هم المؤمنون .

236_ عن ابن عياش قال سألني الأعمش عن المتقين فأجبته فقال لي سئل عنها الكلبي فسألته فقال الذين يجتنبون كبائر الإثم ، قال فرجعت إلى الأعمش فقال نرى أنه كذلك ولم ينكره .

237_ عن قتادة (هدى للمتقين) هم من نعتهم ووصفهم فأثبت صفتهم فقال (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) .

238_ عن ابن عباس (للمتقين) قال المؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتي .

وأولى التأويلات بقول الله (هدى للمتقين) تأويل من وصف القوم بأنهم الذين اتقوا الله تبارك وتعالى في ركوب ما نهاهم عن ركوبه فتجنبوا معاصيه واتقوه فيما أمرهم به من فرائضه فأطاعوه بأدائها ، وذلك أن الله إنما وصفهم بالتقوى فلم يحصر تقواهم إياه على بعض ما هو أهل له منهم دون بعض ،

فليس لأحد من الناس أن يحصر معنى ذلك على وصفهم بشيء من تقوى الله دون شيء إلا بحجة يجب التسليم لها ، لأن ذلك من صفة القوم لو كان محصورا على خاص من معاني التقوى دون العام منها لم يدع الله بيان ذلك لعباده ، إما في كتابه وإما على لسان رسوله ،

إذ لم يكن في العقل دليل على استحالة وصفهم بعموم التقوى ، فقد تبين إذا بذلك فساد قول من زعم أن تأويل ذلك إنما هو الذين اتقوا الشرك وبرءوا من النفاق لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق غير مستحق أن يكون من المتقين ،

إلا أن يكون عند قائل هذا القول معنى النفاق ركوب الفواحش التي حرمها الله وتضييع فرائضه التي فرضها عليه ، فإن جماعة من أهل العلم قد كانت تسمي من كان يفعل ذلك منافقا ، فيكون وإن كان مخالفا في تسميته من كان كذلك بهذا الاسم مصيبا تأويل قول الله للمتقين .

_ القول في تأويل قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)

239_ عن ابن عباس (الذين يؤمنون) قال يصدقون .

240_ عن ابن عباس (يؤمنون) يصدقون .

241_ عن الربيع (يؤمنون) يخشون .

242_ عن ابن مسعود قال الإيمان التصديق .

ومعنى الإيمان عند العرب التصديق فيدعى المصدق بالشيء قولا مؤمنا به ويدعى المصدق قوله بفعله مؤمنا ، ومن ذلك قول الله (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) يعني وما أنت بمصدق لنا في قولنا ، وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل ،

وإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بتأويل الآية وأشبه بصفة القوم أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولا واعتقادا وعملا ، إذ كان جل ثناؤه لم يحصرهم من معنى الإيمان على معنى دون معنى بل أجمل وصفهم به من غير خصوص شيء من معانيه أخرجه من صفتهم بخبر ولا عقل .

_ القول في تأويل قوله تعالى (بالغيب)

243_ عن ابن عباس (بالغيب) قال بما جاء به يعني من الله .

244 _ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (بالغيب) أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر الله في القرآن لم يكن تصديقهم بذلك يعني المؤمنين من العرب من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم .

245_ عن زر بن حبيش قال الغيب القرآن .

246 _ عن قتادة في قوله (الذين يؤمنون بالغيب) قال آمنوا بالجنة والنار والبعث بعد الموت وبيوم القيامة وكل هذا غيب .

247 _ عن الربيع (الذين يؤمنون بالغيب) آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه وآمنوا بالحياة بعد الموت فهذا كله غيب وأصل الغيب كل ما غاب عنك من شيء وهو من قولك غاب فلان يغيب غيبا .

وقد اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أنزل الله هاتين الآيتين من أول هذه السورة فيهم وفي نعتهم وصفتهم التي وصفهم بها من إيمانهم بالغيب وسائر المعاني التي حوتها الآيتان من صفاتهم غيره ، فقال بعضهم هم مؤمنو العرب خاصة دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب ، واستدلوا على صحة قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم بالآية التي تتلو هاتين الآيتين وهو قول الله (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) ،

قالوا فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله على محمد تدين بتصديقه والإقرار والعمل به وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرها ، قالوا فلما قص الله نبأ الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب ، علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف الآخر وأن المؤمنين بالغيب نوع غير النوع المصدق بالكتابين اللذين أحدهما منزل على محمد والآخر منهما على من قبله من رسل الله ،

قالوا وإذا كان ذلك كذلك صح ما قلنا من أن تأويل قول الله (الذين يؤمنون بالغيب) إنما هم الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله وجميع ما كانت العرب لا تدين به في جاهليتها بما أوجب الله على عباده الدينونة به دون غيرهم . ذكر من قال ذلك :

248_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي أما (الذين يؤمنون بالغيب) فهم المؤمنون من العرب (ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار وما ذكر الله في القرآن لم يكن تصديقهم بذلك من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب .

وقال بعضهم بل نزلت هذه الآيات الأربع في مؤمني أهل الكتاب خاصة لإيمانهم بالقرآن عند إخبار الله إياهم فيه عن الغيوب التي كانوا يخفونها بينهم ويسرونها فعلموا عند إظهار الله نبيه على ذلك منهم في تنزيله أنه من عند الله جل وعز فآمنوا بالنبي وصدقوا بالقرآن وما فيه من الإخبار عن الغيوب التي لا علم لهم بها ، لما استقر عندهم بالحجة التي احتج الله بها عليهم في كتابه من الإخبار فيه عما كانوا يكتمونه من ضمائرهم أن جميع ذلك من عند الله ،

وقال بعضهم بل الآيات الأربع من أول هذه السورة أنزلت على محمد بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك صفتهم من العرب والعجم وأهل الكتابين وسواهم ، وإنما هذه صفة صنف من الناس والمؤمن بما أنزل الله على محمد وما أنزل من قبله هو المؤمن بالغيب ،

قالوا وإنما وصفهم الله بالإيمان بما أنزل إلى محمد وبما أنزل إلى من قبله بعد تقضي وصفه إياهم بالإيمان بالغيب لأن وصفه إياهم بما وصفهم به من الإيمان بالغيب كان معنيا به أنهم يؤمنون بالجنة والنار والبعث وسائر الأمور التي كلفهم الله بالإيمان بها مما لم يروه ولم يأت بعد مما هو آت دون الإخبار عنهم أنهم يؤمنون بما جاء به محمد ومن قبله من الرسل والكتب ،

قالوا فلما كان معنى قوله (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) غير موجود في قوله (الذين يؤمنون بالغيب) كانت الحاجة من العباد إلى معرفة صفتهم بذلك ليعرفهم نظير حاجتهم إلى معرفتهم بالصفة التي وصفوا بها من إيمانهم بالغيب ليعلموا ما يرضي الله من أفعال عباده ويحبه من صفاتهم فيكونوا به إن وفقهم له ربهم مؤمنين . ذكر من قال ذلك :

249_ عن مجاهد قال أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين وآيتان في نعت الكافرين وثلاث عشرة في المنافقين .

250_ عن الربيع بن أنس قال أربع آيات من فاتحة هذه السورة يعني سورة البقرة في الذين آمنوا وآيتان في قادة الأحزاب .

وأولى القولين عندي بالصواب وأشبههما بتأويل الكتاب القول الأول وهو أن الذين وصفهم الله بالإيمان بالغيب وما وصفهم به جل ثناؤه في الآيتين الأولتين غير الذين وصفهم بالإيمان بالذي أنزل على محمد والذي أنزل إلى من قبله من الرسل لما ذكرت من العلل قبل لمن قال ذلك ،

ومما يدل أيضا مع ذلك على صحة هذا القول أنه جنس بعد وصف المؤمنين بالصفتين اللتين وصف وبعد تصنيفه إلى كل صنف منهما على ما صنف الكفار جنسين ، فجعل أحدهما مطبوعا

على قلبه مختوما عليه مأيوسا من إيمانه والآخر منافقا يرائي بإظهار الإيمان في الظاهر ويستسر النفاق في الباطن ،

فصيَّرَ الكفار جنسين كما صير المؤمنين في أول السورة جنسين ثم عرَّفَ عباده نعت كل صنف منهم وصفتهم وما أعد لكل فريق منهم من ثواب أو عقاب وذم أهل الذم منهم وشكر سعي أهل الطاعة منهم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ويقيمون)

إقامتها أداؤها بحدودها وفروضها والواجب فيها على ما فرضت عليه ، كما يقال أقام القوم سوقهم إذا لم يعطلوها من البيع والشراء فيها ، وكما قال الشاعر أقمنا لأهل العراقين سوق الضراب / فخاموا وولوا جميعا .

251_ عن ابن عباس (ويقيمون الصلاة) قال الذين يقيمون الصلاة بفروضها .

252_ عن ابن عباس (ويقيمون الصلاة) قال إقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها فيها .

_ القول في تأويل قوله تعالى (الصلاة)

253_ عن الضحاك في قوله (الذين يقيمون الصلاة) يعني الصلاة المفروضة .

وأما الصلاة في كلام العرب فإنها الدعاء كما قال الأعشى لها حارس لا يبرح الدهر بيتها / وإن ذبحت صلى عليها وزمزما ، يعني بذلك دعا لها ، وكقول الآخر أيضا وقابلها الريح في دنها / وصلى على دنها وارتسم ، وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة لأن المصلي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته تعرض الداعي بدعائه ربه استنجاح حاجاته وسؤله .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون)

اختلف المفسرون في تأويل ذلك فقال بعضهم :

254_ عن ابن عباس (ومما رزقناهم ينفقون) قال يؤتون الزكاة احتسابا بها .

255_ عن ابن عباس (ومما رزقناهم ينفقون) قال زكاة أموالهم .

256 _ عن الضحاك (ومما رزقناهم ينفقون) قال كانت النفقات قربات يتقربون بها إلى الله على قدر ميسورهم وجهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات سبع آيات في سورة براءة مما يذكر فيهن الصدقات هن المثبتات الناسخات .

وقال بعضهم :

257_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (ومما رزقناهم ينفقون) هي نفقة الرجل على أهله وهذا قبل أن تنزل الزكاة .

وأولى التأويلات بالآية وأحقها بصفة القوم أن يكونوا كانوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين ، زكاةً كان ذلك أو نفقة من لزمته نفقته من أهل وعيال وغيرهم ممن تجب عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك ، لأن الله عم وصفهم إذ وصفهم بالإنفاق مما رزقهم فمدحهم بذلك من صفتهم ،

فكان معلوما أنه إذ لم يخصص مدحهم ووصفهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبها دون نوع بخبر ولا غيره أنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمود عليها صاحبها من طيب ما رزقهم ربهم من أموالهم وأملاكهم وذلك الحلال منه الذي لم يشبه حرام .

_ القول في تأويل قوله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)

قد مضى البيان عن المنعوتين بهذا النعت وأي أجناس الناس هم ، غير أنا نذكر ما روي في ذلك عمن روي عنه في تأويله قول .

258 _ عن ابن عباس (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) أي يصدقونك بما جئت به من الله وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاءوهم به من عند ربهم .

259_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وبالآخرة هم يوقنون)

أما الآخرة فإنها صفة للدار كما قال جل ثناؤه (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) ، وإنما وصفت بذلك لمصيرها آخرة لأولى كانت قبلها كما تقول للرجل أنعمت عليك مرة بعد أخرى فلم تشكر لي الأولى ولا الآخرة ،

وإنما صارت الآخرة آخرة للأولى لتقدم الأولى أمامها فكذلك الدار الآخرة سميت آخرة لتقدم الدار الأولى أمامها فصارت التالية لها آخرة ، وقد يجوز أن تكون سميت آخرة لتأخرها عن الخلق كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق ،

وأما الذي وصف الله به المؤمنين بما أنزل إلى نبيه محمد وما أنزل إلى من قبله من المرسلين من إيقانهم به من أمر الآخرة فهو إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين من البعث والنشر والثواب والعقاب والحساب والميزان وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يوم القيامة .

260_ عن ابن عباس (وبالآخرة هم يوقنون) أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان أي لا هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك ويكفرون بما جاءك من ربك .

وهذا التأويل من ابن عباس قد صرح عن أن السورة من أولها وإن كانت الآيات التي في أولها من نعت المؤمنين تعريض من الله بذم الكفار أهل الكتاب الذين زعموا أنهم بما جاءت به رسل الله الذين كانوا قبل محمد صلوات الله عليهم وعليه مصدقون وهم بمحمدٍ مكذبون ولما جاء به من التنزيل جاحدون ،

ويدعون مع جحودهم ذلك أنهم مهتدون وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، فأكذب الله ذلك من قيلهم بقوله (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) ،

وأخبر جل ثناؤه عباده أن هذا الكتاب هدى لأهل الإيمان بمحمد وبما جاء به المصدقين بما أنزل إليه وإلى من قبله من رسله من البينات والهدى خاصة دون من كذب بمحمد وبما جاء به وادعى أنه مصدق بمن قبل محمد عليه الصلاة والسلام من الرسل وبما جاء به من الكتب ،

ثم أكد جل ثناؤه أمر المؤمنين من العرب ومن أهل الكتاب المصدقين بمحمد عليه الصلاة والسلام وبما أنزل إليه وإلى من قبله من الرسل بقوله (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ، فأخبر أنهم هم أهل الهدى والفلاح خاصة دون غيرهم وأن غيرهم هم أهل الضلال والخسار .

_ القول في تأويل قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله (أولئك على هدى من ربهم) ، فقال بعضهم عنى بذلك أهل الصفتين المتقدمتين ، أعني المؤمنين بالغيب من العرب والمؤمنين بما أنزل إلى محمد وإلى من قبله من الرسل ، وإياهم جميعا وصف بأنهم على هدى منهم وأنهم هم المفلحون . ذكر من قال ذلك من أهل التأويل :

261_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي أما (الذين يؤمنون بالغيب) فهم المؤمنون من العرب (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) المؤمنون من أهل الكتاب ثم جمع الفريقين فقال (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) .

وقال بعضهم بل عنى بذلك المتقين الذين يؤمنون بالغيب وهم الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وبما أنزل إلى من قبله من الرسل ، وقال آخرون بل عنى بذلك الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وبما أنزل إلى من قبله وهم مؤمنو أهل الكتاب الذين صدقوا بمحمد وبما جاء به وكانوا مؤمنين من قبل بسائر الأنبياء والكتب ،

وعلى هذا التأويل الآخر يحتمل أن يكون (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) في محل خفض ومحل رفع ، فأما الرفع فيه فإنه يأتيها من وجهين أحدهما من قبل العطف على ما في (يؤمنون بالغيب) من ذكر الذين ، والثاني أن يكون خبر مبتدأ ويكون (أولئك على هدى من ربهم) رافعها ،

وأما الخفض فعلى العطف على المتقين ، وإذا كانت معطوفة على الذين اتجه لها وجهان من المعنى ، أحدهما أن تكون هي و الذين الأولى من صفة المتقين ، وذلك على تأويل من رأى أن الآيات الأربع بعد (الم) نزلت في صنف واحد من أصناف المؤمنين ،

والوجه الثاني أن تكون الذين الثانية معطوفة في الإعراب على المتقين بمعنى الخفض ، وهم في المعنى صنف غير الصنف الأول ، وذلك على مذهب من رأى أن الذين نزلت فيهم الآيتان الأولتان من المؤمنين بعد قوله (الم) غير الذين نزلت فيهم الآيتان الآخرتان اللتان تليان الأولتين ،

وقد يحتمل أن تكون الذين الثانية مرفوعة في هذا الوجه بمعنى الاستئناف إذ كانت مبتدأ بها بعد تمام آية وانقضاء قصة ، وقد يجوز الرفع فيها أيضا بنية الاستئناف إذ كانت في مبتدأ آية ، وإن كانت من صفة المتقين فالرفع إذا يصح فيها من أربعة أوجه والخفض من وجهين ،

وأولى التأويلات عندي بقوله (أولئك على هدى من ربهم) ما ذكرت من قول ابن مسعود وابن عباس وأن تكون أولئك إشارة إلى الفريقين أعني المتقين والذين يؤمنون بما أنزل إليك وتكون أولئك مرفوعة بالعائد من ذكرهم في قوله (على هدى من ربهم) وأن تكون الذين الثانية معطوفة على ما قبل من الكلام على ما قد بيناه ،

وإنما رأينا أن ذلك أولى التأويلات بالآية لأن الله نعت الفريقين بنعتهم المحمود ثم أثنى عليهم ، فلم يكن عز وجل ليخص أحد الفريقين بالثناء مع تساويهما فيما استحقا به الثناء من الصفات ، كما غير جائز في عدله أن يتساويا فيما يستحقان به الجزاء من الأعمال فيخص أحدهما بالجزاء دون الآخر ويحرم الآخر جزاء عمله ،

فكذلك سبيل الثناء بالأعمال لأن الثناء أحد أقسام الجزاء ، وأما معنى قوله (أولئك على هدى من ربهم) فإن معنى ذلك أنهم على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديد الله إياهم وتوفيقه لهم .

262_عن ابن عباس (أولئك على هدى من ربهم) أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وأولئك هم المفلحون)

وتأويل قوله (وأولئك هم المفلحون) أي أولئك هم المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله من الفوز بالثواب والخلود في الجنان والنجاة مما أعد الله تبارك وتعالى لأعدائه من العقاب .

263 _ عن ابن عباس (وأولئك هم المفلحون) أي الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا .

ومن الدلالة على أن أحد معاني الفلاح إدراك الطلبة والظفر بالحاجة قول لبيد بن ربيعة اعقلي إن كنت لما تعقلي / ولقد أفلح من كان عقل ، يعني ظفر بحاجته وأصاب خيرا ، ومنه قول الراجز عدمت أما ولدت رباحا / جاءت به مفركحا فركاحا ، تحسب أن قد ولدت نجاحا / أشهد لا يزيدها فلاحا ، يعني خيرا وقربا من حاجتها ،

والفلاح مصدر من قولك أفلح فلان يفلح إفلاحا وفلاحا وفلحا ، والفلاح أيضا البقاء ، ومنه قول لبيد نحُلُّ بلادا كلها حُلَّ قبلنا / ونرجو الفلاح بعد عادٍ وحِميَر ، يريد البقاء ، ومنه أيضا قول عبيد أفلح بما شئت فقد يبلغ / بالضعف وقد يُخدَع الأريب ، يريد عش وابق بما شئت ، وكذلك قول نابغة بني ذبيان وكل فتى ستشعبه شعوب / وإن أثرى وإن لاقى فلاحا ، أي نجاحا بحاجته وبقاء .

_ القول في تأويل قوله تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)

اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية وفيمن نزلت ، فكان ابن عباس يقول :

264_ عن ابن عباس (إن الذين كفروا) أي بما أنزل إليك من ربك وإن قالوا إنا قد آمنا بما قد جاءنا من قبلك .

وكان ابن عباس يرى أن هذه الآية نزلت في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد رسول الله توبيخا لهم في جحودهم نبوة محمد وتكذيبهم به مع علمهم به ومعرفتهم بأنه رسول الله إليهم وإلى الناس كافة .

265_ عن ابن عباس أن صدر سورة البقرة إلى المائة منها نزل في رجال سماهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبار اليهود ومن المنافقين من الأوس والخزرج .

كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم ، وقد روي عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر :

266_ عن ابن عباس قوله (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) قال كان رسول الله يحرص على أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق من الله السعادة في الذِّكِر الأول ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول .

وقال آخرون :

267_ عن الربيع بن أنس قال آيتان في قادة الأحزاب (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) إلى قوله (ولهم عذاب عظيم) قال وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار) قال فهم الذين قتلوا يوم بدر .

وأولى هذه التأويلات بالآية تأويل ابن عباس الذي ذكره .. (سبق برقم 264) . وإن كان لكل قول مما قاله الذين ذكرنا قولهم في ذلك مذهب ، فأما مذهب من تأول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس فهو أن الله لما أخبر عن قوم من أهل الكفر بأنهم لا يؤمنون وأن الإنذار غير نافعهم ، ثم كان من الكفار من قد نفعه الله بإنذار النبي إياه لإيمانه بالله وبالنبي وما جاء به من عند الله بعد نزول هذه السورة لم يجز أن تكون الآية نزلت إلا في خاص من الكفار ،

وإذ كان ذلك كذلك وكانت قادة الأحزاب لا شك أنهم ممن لم ينفعه الله بإنذار النبي إياه حتى قتلهم الله تبارك وتعالى بأيدي المؤمنين يوم بدر علم أنهم ممن عنى الله بهذه الآية ، وأما علتنا في اختيارنا ما اخترنا من التأويل في ذلك فهي أن قول الله (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) عقيب خبر الله عن مؤمني أهل الكتاب وعقيب نعتهم وصفتهم وثنائه عليهم بإيمانهم به وبكتبه ورسله ،

فأولى الأمور بحكمة الله أن يتلى ذلك الخبر عن كفارهم ونعوتهم وذم أسبابهم وأحوالهم وإظهار شتمهم والبراءة منهم لأن مؤمنيهم ومشركيهم وإن اختلفت أحواله باختلاف أديانهم فإن الجنس يجمع جميعهم بأنهم بنو إسرائيل ،

وإنما احتج الله بأول هذه السورة لنبيه على مشركي اليهود من أحبار بني إسرائيل الذين كانوا مع علمهم بنبوته منكرين نبوته بإظهار نبيه على ما كانت تسره الأحبار منهم وتكتمه فيجهله عظم اليهود وتعلمه الأحبار منهم ليعلموا أن الذي أطلعه على علم ذلك هو الذي أنزل الكتاب على موسى ،

إذ كان ذلك من الأمور التي لم يكن محمد ولا قومه ولا عشيرته يعلمونه ولا يعرفونه من قبل نزول الفرقان على محمد ، فيمكنهم ادعاء اللبس في أمره عليه الصلاة والسلام أنه نبي وأن ما جاء به فمن عند الله ،

وأنَّى يمكنهم ادعاء اللبس في صدق أميٍّ نشأ بين أميين لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فيقال قرأ الكتب فعلم أو حسب فنجم وانبعث على أخبار قراء كتبة قد درسوا الكتب ورأسوا الأمم يخبرهم عن مستور عيوبهم ومصون علومهم ومكتوم أخبارهم وخفيات أمورهم التي جهلها من هو دونهم من أحبارهم ،

إن أمر من كان كذلك لغير مشكل وإن صدقه والحمد لله لبين ومما ينبئ عن صحة ما قلنا من أن الذين عنى الله بقوله (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) هم أحبار اليهود الذين قتلوا على الكفر وماتوا عليه اقتصاص الله نبأهم وتذكيره إياهم ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق في أمر محمد عليه الصلاة والسلام ،

بعد اقتصاصه تعالى ذكره ما اقتص من أمر المنافقين واعتراضه بين ذلك بما اعترض به من الخبر عن إبليس وآدم في قوله (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) الآيات واحتجاجه لنبيه عليهم بما احتج به عليهم فيها بعد جحودهم نبوته ،

فإذا كان الخبر أولا عن مؤمني أهل الكتاب وآخرا عن مشركيهم فأولى أن يكون وسطا عنه إذ كان الكلام بعضه لبعض تبع إلا أن تأتيهم دلالة واضحة بعدول بعض ذلك عما ابتدئ به من معانيه فيكون معروفا حينئذ انصرافه عنه ،

وأما معنى الكفر في قوله (إن الذين كفروا) فإنه الجحود وذلك أن الأحبار من يهود المدينة جحدوا نبوة محمد وستروه عن الناس وكتموا أمره وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وأصل الكفر عند العرب تغطية الشيء ولذلك سموا الليل كافرا لتغطية ظلمته ما لبسته ،

كما قال الشاعر فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما / ألقت ذكاء يمينها في كافر ، وقال لبيد بن ربيعة في ليلة كفر النجوم غمامها ، يعني غطاها ، فكذلك الأحبار من اليهود غطوا أمر محمد وكتموه الناس مع علمهم بنبوته ووجودهم صفته في كتبهم ،

فقال الله فيهم (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) ، وهم الذين أنزل الله فيهم (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) .

_ القول في تأويل قوله تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)

وتأويل (سواء) معتدل مأخوذ من التساوي كقولك متساو هذان الأمران عندي وهما عندي سواء أي هما متعادلان عندي ، ومنه قول الله (فانبذ إليهم على سواء) يعني أعلمهم وآذنهم بالحرب حتى يستوي علمك وعلمهم بما عليه كل فريق منهم للفريق الآخر ، فكذلك قوله (سواء عليهم) معتدل عندهم أي الأمرين كان منك إليهم الإنذار أم ترك الإنذار ،

لأنهم كانوا لا يؤمنون وقد ختمت على قلوبهم وسمعهم ، ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرقيات تُغِذُّ بي الشهباء نحو ابن جعفرٍ / سواء عليها ليلها ونهارها ، يعني بذلك معتدل عندها

السير في الليل والنهار لأنه لا فتور فيه ، ومنه قول الآخر وليل يقول المرء من ظلماته / سواء صحيحات العيون وعورها ، لأن الصحيح لا يبصر فيه إلا بصرا ضعيفا من ظلمته .

وأما قوله (أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) فإنه ظهر به الكلام ظهور الاستفهام وهو خبر لأنه وقع موقع أي كما تقول لا نبالي أقمت أم قعدت وأنت مخبر لا مستفهم لوقوع ذلك موقع أي ، وذلك أن معناه إذا قلت ذلك ما نبالي أي هذين كان منك ،

فكذلك ذلك في قوله (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) لما كان معنى الكلام سواء عليهم أي هذين كان منك إليهم حسن في موضعه مع سواء أفعلت أم لم تفعل ، وقد كان بعض نحويي أهل البصرة يزعم أن حرف الاستفهام إنما دخل مع سواء وليس باستفهام لأن المستفهم إذا استفهم غيره فقال أزيد عندك أم عمرو ؟ مستثبت صاحبه أيهما عنده ،

فليس أحدهما أحق بالاستفهام من الآخر فلما كان قوله (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) بمعنى التسوية أشبه ذلك الاستفهام إذ أشبهه في التسوية ، وقد بينا الصواب في ذلك ، فتأويل الكلام إذا معتدل يا محمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك من أحبار يهود المدينة بعد علمهم بها وكتموا بيان أمرك للناس بأنك رسولي إلى خلقي ،

وقد أخذت عليهم العهد والميثاق أن لا يكتموا ذلك وأن يبينوه للناس ويخبروهم أنهم يجدون صفتك في كتبهم (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) فإنهم لا يؤمنون ولا يرجعون إلى الحق ولا يصدقون بك وبما جئتهم به ، لما حدثنا :

268 _ عن ابن عباس (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي أنهم قد كفروا بما عندهم من العلم من ذكر وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يسمعون منك إنذارا وتحذيرا وقد كفروا بما عندهم من علمك .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)

وأصل الختم الطبع والخاتم هو الطابع يقال منه ختمت الكتاب إذا طبعته ، فإن قال لنا قائل وكيف يختم على القلوب وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف ، قيل فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمور ،

فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع التي بها تدرك المسموعات ومن قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغيبات نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف ، فإن قال فهل لذلك من صفة تصفها لنا فنفهمها ؟ أهي مثل الختم الذي يعرف لما ظهر للأبصار أم هي بخلاف ذلك ؟ قيل قد اختلف أهل التأويل في صفة ذلك وسنخبر بصفته بعد ذكرنا قولهم .

269_ عن الأعمش قال أرانا مجاهد بيده فقال كانوا يرون أن القلب في مثل هذا يعني الكف فإذا أذنب العبد ذنبا ضم منه وقال بأصبعه الخنصر هكذا فإذا أذنب ضم وقال بأصبع أخرى فإذا أذنب ضم وقال بأصبع أخرى هكذا حتى ضم أصابعه كلها قال ثم يطبع عليه بطابع ، قال مجاهد وكانوا يرون أن ذلك الرَّيْن .

270_ عن مجاهد قال القلب مثل الكف فإذا أذنب ذنبا قبض أصبعا حتى يقبض أصابعه كلها وكان أصحابنا يرون أنه الرَّان .

271_ عن مجاهد قال نبئت أن الذنوب على القلب تحف به من نواحيه حتى تلتقي عليه فالتقاؤها عليه الطبع والطبع الختم . قال ابن جريج الختم ختم على القلب والسمع .

272_ عن مجاهد قال الران أيسر من الطبع والطبع أيسر من الإقفال والإقفال أشد ذلك كله .

وقال بعضهم إنما معنى قوله (ختم الله على قلوبهم) إخبار من الله عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق كما يقال إن فلانا لأصم عن هذا الكلام إذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن تفهمه تكبرا ، والحق في ذلك عندي ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله .

273_ عن أبي هريرة قال قال رسول الله إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت حتى يغلف قلبه فذلك الران الذي قال الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . (صحيح)

فأخبر أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلفتها وإذا أغلفتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله والطبع فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر منها مخلص ، فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) ،

نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها ، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم إلا بعد فضه خاتمه وحله رباطه عنها ،

ويقال لقائلي القول الثاني الزاعمين أن معنى قوله جل ثناؤه (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) هو وصفهم بالاستكبار والإعراض عن الذي دعوا إليه من الإقرار بالحق تكبرا ، أخبرونا عن استكبار الذين وصفهم الله بهذه الصفة وإعراضهم عن الإقرار بما دعوا إليه من الإيمان وسائر المعاني اللواحق به أفعل منهم أم فعل من الله بهم ؟

فإن زعموا أن ذلك فعل منهم وذلك قولهم قيل لهم فإن الله تبارك وتعالى قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وسمعهم وكيف يجوز أن يكون إعراض الكافر عن الإيمان وتكبره عن الإقرار به وهو فعله عندكم ختما من الله على قلبه وسمعه وختمه على قلبه وسمعه ، فعل الله دون فعل الكافر ؟

فإن زعموا أن ذلك جائز أن يكون كذلك لأن تكبره وإعراضه كانا عن ختم الله على قلبه وسمعه ، فلما كان الختم سببا لذلك جاز أن يسمى مسببه به تركوا قولهم وأوجبوا أن الختم من الله على قلوب الكفار وأسماعهم معنى غير كفر الكافر وغير تكبره وإعراضه عن قبول الإيمان والإقرار به ، وذلك دخول فيما أنكروه ،

وهذه الآية من أوضح الأدلة على فساد قول المنكرين تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله لأن الله أخبر أنه ختم على قلوب صنف من كفار عباده وأسماعهم ثم لم يسقط التكليف عنهم ولم يضع

عن أحد منهم فرائضه ولم يعذره في شيء مما كان منه من خلاف طاعته بسبب ما فعل به من الختم والطبع على قلبه وسمعه ،

بل أخبر أن لجميعهم منه عذابا عظيما على تركهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه من حدوده وفرائضه مع حتمه القضاء مع ذلك بأنهم لا يؤمنون .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وعلى أبصارهم غشاوة)

وقوله (وعلى أبصارهم غشاوة) خبر مبتدأ بعد تمام الخبر عما ختم الله عليه من جوارح الكفار الذين مضت قصصهم ، وذلك أن (غشاوة) مرفوعة بقوله (وعلى أبصارهم) فذلك دليل على أنه خبر مبتدأ وأن قوله (ختم الله على قلوبهم) قد تناهى عند قوله (وعلى سمعهم) ،

وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين ، أحدهما اتفاق الحجة من القراء والعلماء على الشهادة بتصحيحها وانفراد المخالف لهم في ذلك وشذوذه عما هم على تخطئته مجمعون ، وكفى بإجماع الحجة على تخطئة قراءته شاهدا على خطئها ،

والثاني أن الختم غير موصوفة به العيون في شيء من كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله ولا موجود في لغة أحد من العرب ، وقد قال تبارك وتعالى في سورة أخرى (وختم على سمعه وقلبه) ثم قال (وجعل على بصره غشاوة) فلم يدخل البصر في معنى الختم ،

وذلك هو المعروف في كلام العرب ، فلم يجز لنا ولا لأحد من الناس القراءة بنصب الغشاوة لما وصفت من العلتين اللتين ذكرت وإن كان لنصبها مخرج معروف في العربية وبما قلنا في ذلك من القول والتأويل روي الخبر عن ابن عباس .

274_ عن ابن عباس (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) والغشاوة على أبصارهم .

فإن قال قائل وما وجه مخرج النصب فيها ؟ قيل له إن نصبها بإضمار جعل كأنه قال وجعل على أبصارهم غشاوة ثم أسقط جعل إذ كان في أول الكلام ما يدل عليه ، وقد يحتمل نصبها على اتباعها موضع السمع إذ كان موضعه نصبا وإن لم يكن حسنا إعادة العامل فيه على غشاوة ولكن على إتباع الكلام بعضه بعضا ،

كما قال تعالى ذكره (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق) ثم قال (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين) فخفض اللحم والحور على العطف به على الفاكهة إتباعا لآخر الكلام أوله ومعلوم أن اللحم لا يطاف به ولا بالحور ،

ولكن ذلك كما قال الشاعر يصف فرسه علفتها تبنا وماء باردا / حتى شتت همَّالةً عيناها ، ومعلوم أن الماء يشرب ولا يعلف به ولكنه نصب ذلك على ما وصفت قبل ، وكما قال الآخر ورأيت زوجك في الوغى / متقلدا سيفا ورمحا ، وكان ابن جريج يقول في انتهاء الخبر عن الختم إلى قوله (وعلى سمعهم) وابتداء الخبر بعده بمثل الذي قلنا فيه ويتأول فيه من كتاب الله (فإن يشإ الله يختم على قلبك) .

275_ عن ابن جريج قال الختم على القلب والسمع والغشاوة على البصر .

قال الله تعالي (فإن يشإ الله يختم على قلبك) وقال (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) ، والغشاوة في كلام العرب الغطاء ، ومنه قول الحارث بن خالد بن العاص تبعتك إذ عيني عليها غشاوة / فلما انجلت قطعت نفسي ألومها ، ومنه يقال تغشاه الهم إذا تجلله وركبه ،

ومنه قول نابغة بني ذبيان هلا سألت بني ذبيان ما حسبي / إذا الدخان تغشى الأشمط البَرِمَا ، يعني بذلك إذا تجلله وخالطه ، وإنما أخبر الله نبيه محمدا عن الذين كفروا به من أحبار اليهود أنه قد ختم على قلوبهم وطبع عليها فلا يعقلون لله تبارك وتعالى موعظة وعظهم بها فيما آتاهم من علم ما عندهم من كتبه وفيما حدد في كتابه الذي أوحاه وأنزله إلى نبيه محمد وعلى سمعهم ،

فلا يسمعون من محمد نبي الله تحذيرا ولا تذكيرا ولا حجة أقامها عليهم بنبوته فيتذكروا ويحذروا عقاب الله في تكذيبهم إياه مع علمهم بصدقه وصحة أمره ، وأعلمه مع ذلك أن على أبصارهم غشاوة عن أن يبصروا سبيل الهدى فيعلموا قبح ما هم عليه من الضلالة والردى ، وبنحو ما قلنا في ذلك روي الخبر عن جماعة من أهل التأويل .

276_ عن ابن عباس (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) أي عن الهدى أن يصيبوه أبدا بغير ما كذبوك به من الحق الذي جاءك من ربك حتى يؤمنوا به وإن آمنوا بكل ما كان قبلك .

277_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) يقول فلا يعقلون ولا يسمعون ويقول وجعل على أبصارهم غشاوة يقول على أعينهم فلا يبصرون .

وأما آخرون فإنهم كانوا يتأولون أن الذين أخبر الله عنهم من الكفار أنه فعل ذلك بهم هم قادة الأحزاب الذين قتلوا يوم بدر .

278_ عن الربيع بن أنس قال هاتان الآيتان إلى (ولهم عذاب عظيم) هم (الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار) وهم الذين قتلوا يوم بدر فلم يدخل من القادة أحد في الإسلام إلا رجلان أبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاص .

279_ عن الحسن قال أما القادة فليس فيهم مجيب ولا ناج ولا مهتد .

وقد دللنا فيما مضى على أولى هذين التأويلين بالصواب فكرهنا إعادته .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ولهم عذاب عظيم)

وتأويل ذلك عندي كما قاله ابن عباس وتأوله .

280_ عن ابن عباس ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم قال فهذا في الأحبار من يهود فيما كذبوك به من الحق الذي جاءك من ربك بعد معرفتهم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)

أما قوله (ومن الناس) فإن في الناس وجهين أحدهما أن يكون جمعا لا واحد له من لفظه وإنما واحده إنسان وواحدته إنسانة ، والوجه الآخر أن يكون أصله أناس أسقطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها ثم دخلتها الألف واللام المعرفتان فأدغمت اللام التي دخلت مع الألف فيها للتعريف في النون ،

كما قيل في (لكنا هو الله ربي) على ما قد بينا في اسم الله الذي هو الله ، وقد زعم بعضهم أن الناس لغة غير أناس وأنه سمع العرب تصغره نويس من الناس وأن الأصل لو كان أناس لقيل في التصغير أنيس فرد إلى أصله ،

وأجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق وأن هذه الصفة صفتهم ذكر بعض من قال ذلك من أهل التأويل بأسمائهم .

281_ عن ابن عباس (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) يعني المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم .

وقد سمي في حديث ابن عباس هذا أسماؤهم عن أبي بن كعب غير أني تركت تسميتهم كراهة إطالة الكتاب بذكرهم .

282_ عن قتادة في قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) حتى بلغ (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قال هذه في المنافقين .

283_ عن مجاهد قال هذه الآية إلى ثلاث عشرة في نعت المنافقين .

284_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) هم المنافقون .

285_ عن الربيع بن أنس في قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) إلى (فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم) قال هؤلاء أهل النفاق .

286_ عن ابن جريج في قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) قال هذا المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه .

وتأويل ذلك أن الله لما جمع لرسوله محمد أمره في دار هجرته واستقر بها قراره وأظهر الله بها كلمته وفشا في دور أهلها الإسلام وقهر بها المسلمون من فيها من أهل الشرك من عبدة الأوثان وذل بها من فيها من أهل الكتاب أظهر أحبار يهودها لرسول الله الضغائن وأبدوا له العداوة والشنآن حسدا وبغيا ، إلا نفرا منهم هداهم الله للإسلام فأسلموا ،

كما قال الله (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) ، وطابقهم سرا على معاداة النبي وأصحابه وبغيهم الغوائل قوم من أراهط الأنصار الذين آووا رسول الله ونصروه وكانوا قد عتوا في شركهم وجاهليتهم ،

قد سموا لنا بأسمائهم كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم وأنسابهم ، وظاهروهم على ذلك في خفاء غير جهار حذار القتل على أنفسهم والسباء من رسول الله وأصحابه وركونا إلى اليهود لما هم عليه من الشرك وسوء البصيرة بالإسلام ،

فكانوا إذا لقوا رسول الله وأهل الإيمان به من أصحابه قالوا لهم حذارا على أنفسهم إنا مؤمنون بالله وبرسوله وبالبعث وأعطوهم بألسنتهم كلمة الحق ليدرءوا عن أنفسهم حكم الله فيمن اعتقد ما هم عليه مقيمون من الشرك لو أظهروا بألسنتهم ما هم معتقدوه من شركهم ،

وإذا لقوا إخوانهم من اليهود وأهل الشرك والتكذيب بمحمد وبما جاء به فخلوا بهم قالوا (إنا معكم إنما نحن مستهزئون) فإياهم عنى جل ذكره بقوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) يعني بقوله تعالى خبرا عنهم (آمنا بالله) صدقنا بالله .

وقد دللنا على أن معنى الإيمان التصديق فيما مضى قبل من كتابنا هذا ، وقوله (وباليوم الآخر) يعني بالبعث يوم القيامة ، وإنما سمي يوم القيامة اليوم الآخر لأنه آخر يوم لا يوم بعده سواه ، فإن قال قائل وكيف لا يكون بعده يوم ولا انقطاع للآخرة ولا فناء ولا زوال ؟ قيل إن اليوم عند العرب إنما سمي يوما بليلته التي قبله ،

فإذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم يوما فيوم القيامة يوم لا ليل له بعده سوى الليلة التي قامت في صبيحتها القيامة ، فذلك اليوم هو آخر الأيام ، ولذلك سماه الله اليوم الآخر ونعته بالعقيم ووصفه بأنه يوم عقيم لأنه لا ليل بعده .

وأما تأويل قوله (وما هم بمؤمنين) ونفيه عنهم جل ذكره اسم الإيمان وقد أخبر عنهم أنهم قد قالوا بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر ، فإن ذلك من الله جل وعز تكذيب لهم فيما أخبروا عن اعتقادهم من الإيمان والإقرار بالبعث وإعلام منه نبيه أن الذي يبدونه له بأفواههم خلاف ما في ضمائر قلوبهم وضد ما في عزائم نفوسهم ،

وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطول ما زعمته الجهمية من أن الإيمان هو التصديق بالقول دون سائر المعاني غيره ، وقد أخبر الله عن الذين ذكرهم في كتابه من أهل النفاق أنهم قالوا بألسنتهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) ثم نفى عنهم أن يكونوا مؤمنين إذ كان اعتقادهم غير مصدق قيلهم ذلك ، وقوله (وما هم بمؤمنين) يعني بمصدقين فيما يزعمون أنهم به مصدقون .

_ القول في تأويل قوله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون)

وخداع المنافق ربه والمؤمنين إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله اللازم من كان بمثل حاله من التكذيب لو لم يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار من القتل والسباء ، فذلك خداعه ربه وأهل الإيمان بالله ،

فإن قال قائل وكيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقية ؟ قيل لا تمتنع العرب أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي هو في ضميره تقية لينجو مما هو له خائف ،

فنجا بذلك مما خافه مخادعا لمن تخلص منه بالذي أظهر له من التقية ، فكذلك المنافق سمي مخادعا لله وللمؤمنين بإظهاره ما أظهر بلسانه تقية مما تخلص به من القتل والسباء والعذاب العاجل وهو لغير ما أظهر مستبطن وذلك من فعله ،

وإن كان خداعا للمؤمنين في عاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك من فعله خادع لأنه يظهر لها بفعله ذلك بها أنه يعطيها أمنيتها ويسقيها كأس سرورها وهو موردها به حياض عطبها ومجرعها به كأس عذابها ومذيقها من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به ،

فذلك خديعته نفسه ظنا منه مع إساءته إليها في أمر معادها أنه إليها محسن ، كما قال جل ثناؤه (وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) إعلاما منه عباده المؤمنين أن المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسخاطهم ربهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين ولكنهم على عمياء من أمرهم مقيمون . وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك .

287_ عن ابن وهب قال سألت عبد الرحمن بن زيد عن قول الله جل ذكره (يخادعون الله والذين آمنوا) إلى آخر الآية قال هؤلاء المنافقون يخادعون الله ورسوله والذين آمنوا أنهم مؤمنون بما أظهروا .

وهذه الآية من أوضح الدليل على تكذيب الله قول الزاعمين إن الله لا يعذب من عباده إلا من كفر به عنادا بعد علمه بوحدانيته وبعد تقرر صحة ما عاند ربه تبارك وتعالى عليه من توحيده والإقرار بكتبه ورسله عنده ،

لأن الله قد أخبر عن الذين وصفهم بما وصفهم به من النفاق وخداعهم إياه والمؤمنين أنهم لا يشعرون أنهم مبطلون فيما هم عليه من الباطل مقيمون وأنهم بخداعهم الذي يحسبون أنهم به يخادعون ربهم وأهل الإيمان به مخدوعون ،

ثم أخبر تعالى ذكره أن لهم عذابا أليما بتكذيبهم بما كانوا يكذبونه من نبوة نبيه واعتقاد الكفر به وبما كانوا يكذبون في زعمهم أنهم مؤمنون وهم على الكفر مصرون ، فإن قال لنا قائل قد علمت أن المفاعلة لا تكون إلا من فاعلين كقولك ضاربت أخاك وجالست أباك إذا كان كل واحد مجالس صاحبه ومضاربه ،

فأما إذا كان الفعل من أحدهما فإنما يقال ضربت أخاك وجلست إلى أبيك ، فمن خادع المنافق فجاز أن يقال فيه خادع الله والمؤمنون ، قيل قد قال بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب إن ذلك حرف جاء بهذه الصورة ، أعني يخادع بصورة يفاعل وهو بمعنى يفعل في حروف أمثالها شاذة من منطق العرب ،

نظير قولهم قاتلك الله بمعنى قتلك الله ، وليس القول في ذلك عندي كالذي قال ، بل ذلك من التفاعل الذي لا يكون إلا من اثنين كسائر ما يعرف من معنى يفاعل ومفاعل في كل كلام العرب ، وذلك أن المنافق يخادع الله بكذبه بلسانه على ما قد تقدم وصفه ،

والله تبارك اسمه خادعه بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في آجل معاده كالذي أخبر في قوله (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) ، وبالمعنى الذي أخبر أنه فاعل به في الآخرة بقوله (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) الآية ، فذلك نظير سائر ما يأتي من معاني الكلام بفاعل ومفاعل ،

وقد كان بعض أهل النحو من أهل البصرة يقول لا تكون المفاعلة إلا من شيئين ولكنه إنما قيل يخادعون الله عند أنفسهم بظنهم أن لا يعاقبوا فقد علموا خلاف ذلك في أنفسهم بحجة الله

تبارك اسمه الواقعة على خلقه بمعرفته (وما يخدعون إلا أنفسهم) ، قال وقد قال بعضهم (وما يخدعون) يقول يخدعون أنفسهم بالتخلية بها ، وقد تكون المفاعلة من واحد في أشياء كثيرة .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وما يخدعون إلا أنفسهم)

إن قال لنا قائل أوليس المنافقون قد خدعوا المؤمنين بما أظهروا بألسنتهم من قيل الحق عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم حتى سلمت لهم دنياهم وإن كانوا قد كانوا مخدوعين في أمر آخرتهم ؟ قيل خطأ أن يقال إنهم خدعوا المؤمنين ،

لأنا إذا قلنا ذلك أوجبنا لهم حقيقة خدعة جازت لهم على المؤمنين ، كما أنا لو قلنا قتل فلان فلانا أوجبنا له حقيقة قتل كان منه لفلان ولكنا نقول خادع المنافقون ربهم والمؤمنين ولم يخدعوهم بل خدعوا أنفسهم ،

كما قال جل ثناؤه دون غيرها نظير ما تقول في رجل قاتل آخر فقتل نفسه ولم يقتل صاحبه قاتل فلان فلانا ولم يقتل إلا نفسه فتوجب له مقاتلة صاحبه وتنفي عنه قتله صاحبه وتوجب له قتل نفسه ، فكذلك تقول خادع المنافق ربه والمؤمنين ولم يخدع إلا نفسه ،

فتثبت منه مخادعة ربه والمؤمنين وتنفي عنه أن يكون خدع غير نفسه ، لأن الخادع هو الذي قد صحت له الخديعة ووقع منه فعلها ، فالمنافقون لم يخدعوا غير أنفسهم لأن ما كان لهم من مال وأهل فلم يكن المسلمون ملكوه عليهم في حال خداعهم إياه عنه بنفاقهم ولا قبلها فيستنقذوه بخداعهم منهم ،

وإنما دافعوا عنه بكذبهم وإظهارهم بألسنتهم غير الذي في ضمائرهم ويحكم الله لهم في أموالهم وأنفسهم وذراريهم في ظاهر أمورهم بحكم ما انتسبوا إليه من الملة والله بما يخفون من أمورهم عالم ، وإنما الخادع من ختل غيره عن شيئه والمخدوع غير عالم بموضع خديعة خادعه ،

فأما والمخادع عارف بخداع صاحبه إياه وغير لاحقه من خداعه إياه مكروه ، بل إنما يتجافى للظان به أنه له مخادع استدراجا ليبلغ غاية يتكامل له عليه الحجة للعقوبة التي هو بها موقع عند بلوغه إياها ، والمستدرج غير عالم بحال نفسه عند مستدرجه ولا عارف باطلاعه على ضميره ،

وأن إمهال مستدرجيه إياه تركه معاقبته على جرمه ليبلغ المخاتل المخادع من استحقاقه عقوبة مستدرجه بكثرة إساءته وطول عصيانه إياه ، وكثرة صفح المستدرج وطول عفوه عنه أقصى غاية ، فإنما هو خادع نفسه لا شك دون من حدثته نفسه أنه له مخادع ،

ولذلك نفى الله عن المنافق أن يكون خدع غير نفسه إذ كانت الصفة التي وصفنا صفته ، وإذ كان الأمر على ما وصفنا من خداع المنافق ربه وأهل الإيمان به وأنه غير سائر بخداعه ذلك إلى خديعة صحيحة إلا لنفسه دون غيرها لما يورطها بفعله من الهلاك والعطب ،

فالواجب إذا أن يكون الصحيح من القراءة (وما يخدعون إلا أنفسهم) دون وما يخادعون لأن لفظ المخادع غير موجب تثبيت خديعة على صحة ولفظ خادع موجب تثبيت خديعة على صحة ، ولا شك أن المنافق قد أوجب خديعة الله لنفسه بما ركب من خداعه ربه ورسوله والمؤمنين بنفاقه ،

فلذلك وجبت الصحة لقراءة من قرأ (وما يخدعون إلا أنفسهم) ، ومن الدلالة أيضا على أن قراءة من قرأ (وما يخدعون) أولى بالصحة من قراءة من قرأ (وما يخادعون) أن الله قد أخبر عنهم أنهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية ، فمحال أن ينفي عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه لأن ذلك تضاد في المعنى وذلك غير جائز من الله جل وعز .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وما يشعرون)

يعني بقوله جل ثناؤه (وما يشعرون) وما يدرون يقال ما شعر فلان بهذا الأمر ، وهو لا يشعر به إذا لم يدر ولم يعلم شعرا وشعورا ، كما قال الشاعر عقوا بسهم ولم يشعر به أحد / ثم استفاءوا وقالوا حبذا الوضح ، يعني بقوله لم يشعر به لم يدر به أحد ولم يعلم ،

فأخبر الله عن المنافقين أنهم لا يشعرون بأن الله خادعهم بإملائه لهم واستدراجه إياهم الذي هو من الله إبلاغ إليهم في الحجة والمعذرة ومنهم لأنفسهم خديعة ولها في الآجل مضرة .

288_ عن ابن وهب قال سألت ابن زيد عن قوله (وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) قال ما يشعرون أنهم ضروا أنفسهم بما أسروا من الكفر والنفاق وقرأ قول الله (يوم يبعثهم الله جميعا) قال هم المنافقون حتى بلغ (ويحسبون أنهم على شيء) قد كان الإيمان ينفعهم عندكم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)

وأصل المرض السقم ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان فأخبر الله أن في قلوب المنافقين مرضا ، وإنما عنى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم الخبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد ولكن لما كان معلوما بالخبر عن مرض القلب أنه معني به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد استغنى بالخبر عن القلب بذلك والكناية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم ،

كما قال عمر بن لجأ وسبحت المدينة لا تلمها / رأت قمرا بسوقهم نهارا ، يريد وسبح أهل المدينة فاستغنى بمعرفة السامعين خبره بالخبر عن المدينة عن الخبر عن أهلها ، ومثله قول عنترة العبسي هلا سألتِ الخيل يا ابنة مالكٍ / إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي ، يريد هلا سألت أصحاب الخيل ،

ومنه قولهم يا خيل الله اركبي يراد يا أصحاب خيل الله اركبوا ، والشواهد على ذلك أكثر من أن يحصيها كتاب ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه ، فكذلك معنى قول الله (في قلوبهم مرض) إنما يعني في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بمحمد وبما جاء به من عند الله مرض وسقم ،

فاجتزأ بدلالة الخبر عن قلوبهم على معناه عن تصريح الخبر عن اعتقادهم ، والمرض الذي ذكر الله أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه هو شكهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله وتحيرهم فيه فلا هم به موقنون إيقان إيمان ولا هم له منكرون إنكار إشراك ،

ولكنهم كما وصفهم الله مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، كما يقال فلان تمرض في هذا الأمر أي يضعف العزم ولا يصحح الروية فيه ، وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك تظاهر القول في تفسيره من المفسرين .

289_ عن ابن عباس (في قلوبهم مرض) أي شك .

290_ عن ابن عباس قال المرض النفاق .

291_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (في قلوبهم مرض) يقول في قلوبهم شك .

292_ عن عبد الرحمن بن زيد في قوله (في قلوبهم مرض) قال هذا مرض في الدين وليس مرضا في الأجساد قال هم المنافقون .

293_ عن قتادة في قوله (في قلوبهم مرض) قال في قلوبهم ريبة وشك في أمر الله .

294_ عن الربيع بن أنس (في قلوبهم مرض) قال هؤلاء أهل النفاق والمرض الذي في قلوبهم الشك في أمر الله .

295_ عن عبد الرحمن بن زيد (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) حتى بلغ (في قلوبهم مرض) قال المرض الشك الذي دخلهم في الإسلام .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فزادهم الله مرضا)

قد دللنا آنفا على أن تأويل المرض الذي وصف الله أنه في قلوب المنافقين هو الشك في اعتقادات قلوبهم وأديانهم وما هم عليه في أمر محمد رسول الله وأمر نبوته وما جاء به مقيمون ، فالمرض

الذي أخبر الله عنهم أنه زادهم على مرضهم هو نظير ما كان في قلوبهم من الشك والحيرة قبل الزيادة ،

فزادهم الله بما أحدث من حدوده وفرائضه التي لم يكن فرضها قبل الزيادة التي زادها المنافقين من الشك والحيرة إذ شكوا وارتابوا في الذي أحدث لهم من ذلك إلى المرض والشك الذي كان في قلوبهم في السالف من حدوده وفرائضه التي كان فرضها قبل ذلك ،

كما زاد المؤمنين به إلى إيمانهم الذي كانوا عليه قبل ذلك بالذي أحدث لهم من الفرائض والحدود إذ آمنوا به إلى إيمانهم بالسالف من حدوده وفرائضه إيمانا ، كالذي قال جل ثناؤه في تنزيله (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) ،

فالزيادة التي زيدها المنافقون من الرجاسة إلى رجاستهم هو ما وصفنا والزيادة التي زيدها المؤمنون إلى إيمانهم هو ما بينا ، وذلك هو التأويل المجمع عليه .

ذكر بعض من قال ذلك من أهل التأويل :

296_ عن ابن عباس (فزادهم الله مرضا) قال شكا .

297_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (فزادهم الله مرضا) يقول فزادهم الله ريبة وشكا .

298_ عن قتادة (فزادهم الله مرضا) يقول فزادهم الله ريبة وشكا في أمر الله .

299_ عن ابن زيد في قول الله (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) قال زادهم رجسا وقرأ قول الله (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) قال شرا إلى شرهم وضلالة إلى ضلالتهم .

300_ عن الربيع (فزادهم الله مرضا) قال زادهم الله شكا .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ولهم عذاب أليم)

والأليم هو الموجع ومعناه ولهم عذاب مؤلم ، فصرف مؤلم إلى أليم كما يقال ضرب وجيع بمعنى موجع ، والله بديع السموات والأرض بمعنى مبدع ، ومنه قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي أمن ريحانة الداعي السميع / يؤرقني وأصحابي هجوع ، بمعنى المسمع ،

ومنه قول ذي الرمة ويرفع من صدور شمردلات / يصد وجوهها وهَجٌ أليم ، ويروى يصك وإنما الأليم صفة للعذاب كأنه قال ولهم عذاب مؤلم وهو مأخوذ من الألم والألم الوجع .

301_ عن الربيع قال الأليم الموجع .

302_ عن الضحاك قال الأليم الموجع .

303_ عن الضحاك في قوله (أليم) قال هو العذاب الموجع وكل شيء في القرآن من الأليم فهو الموجع .

_ القول في تأويل قوله تعالى (بما كانوا يكذبون)

اختلفت القراءة في قراءة ذلك فقرأه بعضهم (بما كانوا يَكذِبون) مخففة الذال مفتوحة الياء وهي قراءة معظم أهل الكوفة ، وقرأه آخرون (يُكذِّبون) بضم الياء وتشديد الذال وهي قراءة معظم أهل المدينة والحجاز والبصرة ،

وكأن الذين قرءوا ذلك بتشديد الذال وضم الياء رأوا أن الله إنما أوجب للمنافقين العذاب الأليم بتكذيبهم نبيهم محمدا وبما جاء به وأن الكذب لولا التكذيب لا يوجب لأحد اليسير من العذاب فكيف بالأليم منه ، وليس الأمر في ذلك عندي كالذي قالوا ،

وذلك أن الله أنبأ عن المنافقين في أول النبأ عنهم في هذه السورة بأنهم يكذبون بدعواهم الإيمان وإظهارهم ذلك بألسنتهم خداعا لله عز وجل ولرسوله وللمؤمنين ، فقال (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا) بذلك من قيلهم مع استسرارهم الشك والريبة ،

(وما يخدعون) بصنيعهم ذلك (إلا أنفسهم) دون رسول الله والمؤمنين (وما يشعرون) بموضع خديعتهم أنفسهم واستدراج الله إياهم بإملائه لهم ، (في قلوبهم مرض) أي نفاق وريبة والله زائدهم شكا وريبة بما كانوا يكذبون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم بألسنتهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) ،

وهم في قيلهم ذلك كذبة ، لاستسرارهم الشك والمرض في اعتقادات قلوبهم في أمر الله وأمر رسوله ، فأولى في حكمة الله أن يكون الوعيد منه لهم على ما افتتح به الخبر عنهم من قبيح أفعالهم وذميم أخلاقهم دون ما لم يجر له ذكر من أفعالهم إذ كان سائر آيات تنزيله بذلك نزل ،

وهو أن يفتتح ذكر محاسن أفعال قوم ثم يختم ذلك بالوعيد على ما افتتح به ذكره من أفعالهم ويفتتح ذكر مساوئ أفعال آخرين ثم يختم ذلك بالوعيد على ما ابتدأ به ذكره من أفعالهم ، فكذلك الصحيح من القول في الآيات التي افتتح فيها ذكر بعض مساوئ أفعال المنافقين أن يختم ذلك بالوعيد على ما افتتح به ذكره من قبائح أفعالهم ،

فهذا مع دلالة الآية الأخرى على صحة ما قلنا وشهادتها بأن الواجب من القراءة ما اخترنا وأن الصواب من التأويل ما تأولنا من أن وعيد الله المنافقين في هذه الآية العذاب الأليم على الكذب الجامع معنى الشك والتكذيب ،

وذلك قول الله تبارك وتعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جُنَّةً فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون) ،

والآية الأخرى في المجادلة (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين) فأخبر جل ثناؤه أن المنافقين بقيلهم ما قالوا لرسول الله مع اعتقادهم فيه ما هم معتقدون كاذبون ، ثم أخبر تعالى ذكره أن العذاب المهين لهم على ذلك من كذبهم ،

ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القارئون في سورة البقرة (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) لكانت القراءة في السورة الأخرى والله يشهد إن المنافقين لمكذبون ليكون الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيدا على التكذيب لا على الكذب ،

وفي إجماع المسلمين على أن الصواب من القراءة في قوله (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) بمعنى الكذب وأن إيعاد الله تبارك وتعالى فيه المنافقين العذاب الأليم على ذلك من كذبهم أوضح الدلالة على أن الصحيح من القراءة في سورة البقرة (بما كانوا يكذبون) بمعنى الكذب وأن الوعيد من الله للمنافقين فيها على الكذب حق ، لا على التكذيب الذي لم يجز له ذكر نظير الذي في سورة المنافقين سواء ،

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن ما من قول الله تبارك اسمه (بما كانوا يكذبون) اسم للمصدر كما أن أن والفعل اسمان للمصدر في قولك أحب أن تأتيني وأن المعنى إنما هو بكذبهم وتكذيبهم ، قال وأدخل كان ليخبر أنه كان فيما مضى كما يقال ما أحسن ما كان عبد الله فأنت تعجب من عبد الله لا من كونه ، وإنما وقع التعجب في اللفظ على كونه ،

وكان بعض نحويي الكوفة ينكر ذلك من قوله ويستخطئه ويقول إنما ألغيت كان في التعجب لأن الفعل قد تقدمها ، فكأنه قال حسنا كان زيد وحسن كان زيد يبطل كان ، ويعمل مع الأسماء والصفات التي بألفاظ الأسماء إذا جاءت قبل كان ووقعت كان بينها وبين الأسماء ،

وأما العلة في إبطالها إذا أبطلت في هذه الحال ، فشبه الصفات والأسماء بفعل ويفعل اللتين لا يظهر عمل كان فيهما ، ألا ترى أنك تقول يقوم كان زيد ولا يظهر عمل كان في يقوم ، وكذلك قام

كان زيد فلذلك أبطل عملها مع فاعل تمثيلا بفعل ويفعل وأعملت مع فاعل أحيانا لأنه اسم كما تعمل في الأسماء ،

فأما إذا تقدمت كان الأسماء والأفعال وكان الاسم والفعل بعدها ، فخطأ عنده أن تكون كان مبطلة ، فلذلك أحال قول البصري الذي حكيناه وتأول قول الله (بما كانوا يكذبون) أنه بمعنى الذي يكذبونه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون)

اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية . فروي عن سلمان الفارسي أنه كان يقول لم يجئ هؤلاء بعد .

304_ عن سلمان قال ما جاء هؤلاء بعد الذين (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) .

305_ عن سلمان أنه قال في هذه الآية (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) قال ما جاء هؤلاء بعد .

وقال آخرون :

306_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) هم المنافقون أما (لا تفسدوا في الأرض) فإن الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية .

307_ عن الربيع (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) يقول لا تعصوا في الأرض ، قال فكان فسادهم على أنفسهم ذلك معصية الله لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الأرض لأن إصلاح الأرض والسماء بالطاعة .

وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال إن قول الله تبارك اسمه (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ، وإن كان معنيا بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة ،

وقد يحتمل قول سلمان عند تلاوة هذه الآية ما جاء هؤلاء بعد أن يكون قاله بعد فناء الذين كانوا بهذه الصفة على عهد رسول الله ، خبرا منه عمن جاء منهم بعدهم ولما يجئ بعد ، لا أنه عنى أنه لم يمض ممن هذه صفته أحد ،

وإنما قلنا أولى التأويلين بالآية ما ذكرنا لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك صفة من كان بين ظهراني أصحاب رسول الله على عهد رسول الله من المنافقين وأن هذه الآيات فيهم نزلت ، والتأويل المجمع عليه أولى بتأويل القرآن من قول لا دلالة على صحته من أصل ولا نظير ،

والإفساد في الأرض العمل فيها بما نهى الله عنه وتضييع ما أمر الله بحفظه ، فذلك جملة الإفساد كما قال جل ثناؤه في كتابه مخبرا عن قيل ملائكته (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) يعنون بذلك أتجعل في الأرض من يعصيك ويخالف أمرك ،

فكذلك صفة أهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه ، وشكهم في دين الله الذي لا يقبل من أحد عملا إلا بالتصديق به والإيقان بحقيته ، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ، وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا ،

فذلك إفساد المنافقين في أرض الله وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها ، فلم يسقط الله عنهم عقوبته ولا خفف عنهم أليم ما أعد من عقابه لأهل معصيته بحسبانهم أنهم فيما أتوا من معاصي الله مصلحون ، بل أوجب لهم الدرك الأسفل من ناره والأليم من عذابه والعار العاجل بسب الله إياهم وشتمه لهم ،

فقال تعالى (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) وذلك من حكم الله فيهم أدل الدليل على تكذيبه تعالى قول القائلين إن عقوبات الله لا يستحقها إلا المعاند ربه فيما لزمه من حقوقه وفروضه بعد علمه وثبوت الحجة عليه بمعرفته بلزوم ذلك إياه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا إنما نحن مصلحون)

وتأويل ذلك كالذي قاله ابن عباس .

308_ عن ابن عباس قوله (إنما نحن مصلحون) أي قالوا إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب .

وخالفه في ذلك غيره .

309_ عن مجاهد (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) قال إذا ركبوا معصية الله فقيل لهم لا تفعلوا كذا وكذا قالوا إنما نحن على الهدى مصلحون .

وأي الأمرين كان منهم في ذلك أعني في دعواهم أنهم مصلحون فهم لا شك أنهم كانوا يحسبون أنهم فيما أتوا من ذلك مصلحون فسواء بين اليهود والمسلمين كانت دعواهم الإصلاح أو في أديانهم وفيما ركبوا من معصية الله وكذبهم المؤمنين فيما أظهروا لهم من القول وهم لغير ما أظهروا مستبطنون ،

لأنهم كانوا في جميع ذلك من أمرهم عند أنفسهم محسنين وهم عند الله مسيئون ولأمر الله مخالفون ، لأن الله قد كان فرض عليهم عداوة اليهود وحربهم مع المسلمين وألزمهم التصديق برسول الله وبما جاء به من عند الله كالذي ألزم من ذلك المؤمنين ،

فكان لقاؤهم اليهود على وجه الولاية منهم لهم وشكهم في نبوة رسول الله وفيما جاء به أنه من عند الله أعظم الفساد ، وإن كان ذلك كان عندهم إصلاحا وهدى في أديانهم أو فيما بين المؤمنين واليهود ، فقال جل ثناؤه فيهم (ألا إنهم هم المفسدون) دون الذين ينهونهم من المؤمنين عن الإفساد في الأرض (ولكن لا يشعرون) .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

وهذا القول من الله تكذيب للمنافقين في دعواهم إذا أمروا بطاعة الله فيما أمرهم الله به ونهوا عن معصية الله فيما نهاهم الله عنه قالوا إنما نحن مصلحون لا مفسدون ونحن على رشد وهدى فيما أنكرتموه علينا دونكم لا ضالون ،

فكذبهم الله في ذلك من قيلهم فقال (ألا إنهم هم المفسدون) المخالفون أمر الله المتعدون حدوده الراكبون معصيته التاركون فروضه وهم لا يشعرون ولا يدرون أنهم كذلك ، لا الذين يأمرونهم بالقسط من المؤمنين وينهونهم عن معاصي الله في أرضه من المسلمين .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون)

وتأويل قوله (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) يعني وإذا قيل لهؤلاء الذين وصفهم الله ونعتهم بأنهم يقولون (آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) صدقوا بمحمد وبما جاء به من عند الله كما صدق به الناس ، ويعني بالناس المؤمنين الذين آمنوا بمحمد ونبوته وما جاء به من عند الله .

310_ عن ابن عباس في قوله (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) يقول وإذا قيل لهم صدقوا كما صدق أصحاب محمد قولوا إنه نبي ورسول وإن ما أنزل عليه حق وصدقوا بالآخرة وأنكم مبعوثون من بعد الموت .

وإنما أدخلت الألف واللام في الناس وهم بعض الناس لا جميعهم لأنهم كانوا معروفين عند الذين خوطبوا بهذه الآية بأعيانهم ، وإنما معناه آمنوا كما آمن الناس الذين تعرفونهم من أهل اليقين والتصديق بالله وبمحمد وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر ،

فلذلك أدخلت الألف واللام فيه كما أدخلتا في قوله (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) لأنه أشير بدخولها إلى ناس معروفين عند من خوطب بذلك .

_ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء)

والسفهاء جمع سفيه كالعلماء جمع عليم والحكماء جمع حكيم ، والسفيه الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ، ولذلك سمى الله النساء والصبيان سفهاء فقال تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) ،

فقال عامة أهل التأويل هم النساء والصبيان لضعف آرائهم وقلة معرفتهم بمواضع المصالح والمضار التي تصرف إليها الأموال ، وإنما عنى المنافقون بقيلهم أنؤمن كما آمن السفهاء إذ دعوا إلى التصديق بمحمد وبما جاء به من عند الله والإقرار بالبعث ،

فقال لهم آمنوا كما آمن أصحاب محمد وأتباعه من المؤمنين المصدقين به أهل الإيمان واليقين والتصديق بالله وبما افترض عليهم على لسان رسوله محمد وفي كتابه وباليوم الآخر ، فقالوا إجابة لقائل ذلك لهم أنؤمن كما آمن أهل الجهل ونصدق بمحمد كما صدق به هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا أفهام .

311_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي قالوا (أنؤمن كما آمن السفهاء) يعنون أصحاب النبي .

312_ عن الربيع بن أنس (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) يعنون أصحاب محمد .

313_ عن عبد الرحمن بن زيد في قوله (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) قال هذا قول المنافقين يريدون أصحاب النبي .

314_ عن ابن عباس (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) يقولون أنقول كما تقول السفهاء ؟ يعنون أصحاب محمد لخلافهم لدينهم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون)

وهذا خبر من الله عن المنافقين الذين تقدم نعته لهم ووصفه إياهم بما وصفهم به من الشك والتكذيب أنهم هم الجهال في أديانهم الضعفاء الآراء في اعتقاداتهم واختياراتهم التي اختاروها لأنفسهم من الشك والريب في أمر الله وأمر رسوله وأمر نبوته وفيما جاء به من عند الله وأمر البعث لإساءتهم إلى أنفسهم بما أتوا من ذلك وهم يحسبون أنهم إليها يحسنون ،

وذلك هو عين السفه لأن السفيه إنما يفسد من حيث يرى أنه يصلح ويضيع من حيث يرى أنه يحفظ ، فكذلك المنافق يعصي ربه من حيث يرى أنه يطيعه ويكفر به من حيث يرى أنه يؤمن به ويسيء إلى نفسه من حيث يحسب أنه يحسن إليها ،

كما وصفهم به ربنا جل ذكره فقال (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) ، وقال ألا إنهم هم السفهاء دون المؤمنين المصدقين بالله وبكتابه وبرسوله وثوابه وعقابه ولكن لا يعلمون ، وكذلك كان ابن عباس يتأول هذه الآية .

315_ عن ابن عباس يقول الله (ألا إنهم هم السفهاء) يقول الجهال (ولكن لا يعلمون) يقول ولكن لا يعقلون .

وأما وجه دخول الألف واللام في السفهاء فشبيه بوجه دخولهما في الناس في قوله (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) ، وقد بينا العلة في دخولهما هنالك والعلة في دخولهما في السفهاء نظيرتها في دخولهما في الناس هنالك سواء ،

والدلالة التي تدل عليه هذه الآية من خطأ قول من زعم أن العقوبة من الله لا يستحقها إلا المعاند ربه مع علمه بصحة ما عانده فيه نظير دلالة الآيات الأخر التي قد تقدم ذكرنا تأويلها في قوله (ولكن لا يشعرون) ونظائر ذلك .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون)

وهذه الآية نظير الآية الأخرى التي أخبر الله فيها عن المنافقين بخداعهم الله ورسوله والمؤمنين فقال (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) ثم أكذبهم تعالى ذكره بقوله (وما هم بمؤمنين) وأنهم بقيلهم ذلك يخادعون الله والذين آمنوا ،

وكذلك أخبر عنهم في هذه الآية أنهم يقولون للمؤمنين المصدقين بالله وكتابه ورسوله بألسنتهم آمنا وصدقنا بمحمد وبما جاء به من عند الله خداعا عن دمائهم وأموالهم وذراريهم ودرءا لهم عنها وأنهم إذا خلوا إلى مردتهم وأهل العتو والشر والخبث منهم ومن سائر أهل الشرك الذين هم على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله وبكتابه ورسوله وهم شياطينهم ،

وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن شياطين كل شيء مردته قالوا لهم (إنا معكم) أي إنا معكم على دينكم وظهراؤكم على من خالفكم فيه وأولياؤكم دون أصحاب محمد إنما نحن مستهزئون بالله وبكتابه ورسوله وأصحابه .

316_ عن ابن عباس في قوله (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) قال كان رجال من اليهود إذا لقوا أصحاب النبي أو بعضهم قالوا إنا على دينكم وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم (قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) .

317_ عن ابن عباس (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم) قال إذا خلوا إلى شياطينهم من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول (قالوا إنا معكم) أي إنا على مثل ما أنتم عليه (إنما نحن مستهزئون) .

318_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله (وإذا خلوا إلى شياطينهم) أما شياطينهم فهم رءوسهم في الكفر .

319_ عن قتادة قوله (وإذا خلوا إلى شياطينهم) أي رؤسائهم وقادتهم في الشر قالوا (إنما نحن مستهزئون) .

320_ عن قتادة في قوله (وإذا خلوا إلى شياطينهم) قال المشركون .

321_ عن مجاهد في قول الله (وإذا خلوا إلى شياطينهم) قال إذا خلا المنافقون إلى أصحابهم من الكفار .

322_ عن مجاهد (وإذا خلوا إلى شياطينهم) قال أصحابهم من المنافقين والمشركين .

323_ عن الربيع بن أنس (وإذا خلوا إلى شياطينهم) قال إخوانهم من المشركين (قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) .

324_ عن ابن جريج في قوله (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) قال إذا أصاب المؤمنين رخاء قالوا إنا نحن معكم إنما نحن إخوانكم وإذا خلوا إلى شياطينهم استهزءوا بالمؤمنين .

325_ عن مجاهد (شياطينهم) أصحابهم من المنافقين والمشركين .

فإن قال لنا قائل أرأيت قوله (وإذا خلوا إلى شياطينهم) فكيف قيل (خلوا إلى شياطينهم) ولم يقل خلوا بشياطينهم ؟ فقد علمت أن الجاري بين الناس في كلامهم خلوت بفلان أكثر وأفشى من خلوت إلى فلان ومن قولك إن القرآن أفصح البيان ،

قيل قد اختلف في ذلك أهل العلم بلغة العرب ، فكان بعض نحويي البصرة يقول يقال خلوت إلى فلان إذا أريد به خلوت إليه في حاجة خاصة لا يحتمل إذا قيل كذلك إلا الخلاء إليه في قضاء

الحاجة ، فأما إذا قيل خلوت به احتمل معنيين أحدهما الخلاء به في الحاجة والآخر في السخرية به ،

فعلى هذا القول (وإذا خلوا إلى شياطينهم) لا شك أفصح منه لو قيل وإذا خلوا بشياطينهم ، لما في قول القائل إذا خلوا بشياطينهم من التباس المعنى على سامعيه الذي هو منتفٍ عن قوله (وإذا خلوا إلى شياطينهم) فهذا أحد الأقوال ،

والقول الآخر أن توجه معنى قوله (وإذا خلوا إلى شياطينهم) أي إذا خلوا مع شياطينهم إذ كانت حروف الصفات يعاقب بعضها بعضا ، كما قال الله مخبرا عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين (من أنصاري إلى الله) يريد مع الله ،

وكما توضع على في موضع من وفي وعن والباء ، كما قال الشاعر إذا رضيت عليَّ بنو قشير ، لعمر الله أعجبني رضاها ، بمعنى عني ، وأما بعض نحويي أهل الكوفة فإنه كان يتأول أن ذلك بمعنى (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) وإذا صرفوا خلاءهم إلى شياطينهم ،

فيزعم أن الجالب إلى المعنى الذي دل عليه الكلام من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم لا قوله خلوا ، وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع إلى غيرها لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها ،

وهذا القول عندي أولى بالصواب لأن لكل حرف من حروف المعاني وجها هو به أولى من غيره فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها ولإلى في كل موضع دخلت من الكلام حكم وغير جائز سلبها معانيها في أماكنها .

_ القول في تأويل قوله تعالى (إنما نحن مستهزئون)

أجمع أهل التأويل جميعا لا خلاف بينهم على أن معنى قوله (إنما نحن مستهزئون) إنما نحن ساخرون ، فمعنى الكلام إذا وإذا انصرف المنافقون خالين إلى مردتهم من المنافقين والمشركين قالوا إنا معكم عن ما أنتم عليه من التكذيب بمحمد وبما جاء به ومعاداته ومعاداة أتباعه إنما نحن ساخرون بأصحاب محمد في قيلنا لهم إذا لقيناهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) .

326_ عن ابن عباس قالوا (إنما نحن مستهزئون) ساخرون بأصحاب محمد .

327_ عن ابن عباس (إنما نحن مستهزئون) أي إنما نحن نستهزئ بالقوم ونلعب بهم .

328_ عن قتادة (إنما نحن مستهزئون) إنما نستهزئ بهؤلاء القوم ونسخر بهم .

329_ عن الربيع (إنما نحن مستهزئون) أي نستهزئ بأصحاب محمد .

_ القول في تأويل قوله تعالى (الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون)

اختلف في صفة استهزاء الله الذي ذكر أنه فاعله بالمنافقين الذين وصف صفتهم ، فقال بعضهم استهزاؤه بهم كالذي أخبرنا تبارك اسمه أنه فاعل بهم يوم القيامة في قوله تعالى (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا

فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى) الآية ،

وكالذي أخبرنا أنه فعل بالكفار بقوله (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) ، فهذا وما أشبهه من استهزاء الله جل وعز وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به عند قائلي هذا القول ومتأولي هذا التأويل ،

وقال آخرون بل استهزاؤه بهم توبيخه إياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصي الله والكفر به كما يقال إن فلانا ليهزأ منه اليوم ويسخر منه يراد به توبيخ الناس إياه ولومهم له أو إهلاكه إياهم وتدميره بهم ، كما قال عبيد بن الأبرص سائل بنا حجر ابن أم قطام / إذ ظلت به السمر النواهل تلعب ،

فزعموا أن السمر وهي القنا لا لعب منها ولكنها لما قتلتهم وشردتهم جعل ذلك من فعلها لعبا بمن فعلت ذلك به ، قالوا فكذلك استهزاء الله بمن استهزأ به من أهل النفاق والكفر به ، إما إهلاكه إياهم وتدميره بهم وإما إملاؤه لهم ليأخذهم في حال أمنهم عند أنفسهم بغتة أو توبيخه لهم ولأئمته إياهم ، قالوا وكذلك معنى المكر منه والخديعة والسخرية ،

وقال آخرون قوله (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم) على الجواب كقول الرجل لمن كان يخدعه إذا ظفر به أنا الذي خدعتك ولم تكن منه خديعة ، ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه قالوا ، وكذلك قوله (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) والله يستهزئ بهم على الجواب والله لا يكون منه المكر ولا الهزء والمعنى أن المكر والهزء حاق بهم ،

وقال آخرون قوله (إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم) وقوله (يخادعون الله وهو خادعهم) وقوله (فيسخرون منهم سخر الله منهم) و(نسوا الله فنسيهم) وما أشبه ذلك إخبار من الله أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ومعاقبهم عقوبة الخداع ، فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ وإن اختلف المعنيان ،

كما قال جل ثناؤه (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ومعلوم أن الأولى من صاحبها سيئة إذ كانت منه لله تبارك وتعالى معصية وأن الأخرى عدل لأنها من الله جزاء للعاصي على المعصية ، فهما وإن اتفق لفظاهما مختلفا المعنى ،

وكذلك قوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) فالعدوان الأول ظلم والثاني جزاء لا ظلم بل هو عدل لأنه عقوبة للظالم على ظلمه وإن وافق لفظه لفظ الأول ، وإلى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك مما هو خبر عن مكر الله جل وعز بقوم وما أشبه ذلك ،

وقال آخرون إن معنى ذلك أن الله جل وعز أخبر عن المنافقين أنهم إذا خلوا إلى مردتهم قالوا إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد وما جاء به وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم صدقنا بمحمد عليه الصلاة والسلام وما جاء به مستهزئون ، يعنون إنا نظهر لهم ما هو عندنا باطل لا حق ولا هدى ،

قالوا وذلك هو معنى من معاني الاستهزاء فأخبر الله أنه يستهزئ بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف الذي لهم عنده في الآخرة كما أظهروا للنبي والمؤمنين في الدين ما هم على خلافه في سرائرهم .

والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا أن معنى الاستهزاء في كلام العرب إظهار المستهزئ للمستهزإ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهرا وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطنا ، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر ،

وإذ كان ذلك كذلك وكان الله قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله المدخل لهم في عداد من يشمله اسم الإسلام وإن كانوا لغير ذلك مستبطنين من أحكام المسلمين المصدقين إقرارهم بألسنتهم بذلك بضمائر قلوبهم وصحائح عزائمهم وحميد أفعالهم المحققة لهم صحة إيمانهم ،

مع علم الله بكذبهم واطلاعه على خبث اعتقادهم وشكهم فيما ادعوا بألسنتهم أنهم مصدقون حتى ظنوا في الآخرة إذ حشروا في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا أنهم واردون موردهم وداخلون مدخلهم ،

والله مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام الملحقتهم في عاجل الدنيا وآجل الآخرة إلى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه وتفريقه بينهم وبينهم معدٌّ لهم من أليم عقابه ونكال عذابه ما أعد منه لأعدى أعدائه وأشر عباده حتى ميز بينهم وبين أوليائه فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل ،

كان معلوما أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم وإن كان جزاء لهم على أفعالهم وعدلا ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم إياه منه بعصيانهم له كان بهم بما أظهر لهم من الأمور التي أظهرها لهم من إلحاقه أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه وهم له أعداء ،

وحشره إياهم في الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين إلى أن ميز بينهم وبينهم مستهزئا وساخرا ولهم خادعا وبهم ماكرا ، إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل ، دون أن يكون ذلك معناه في حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم أو عليه فيها غير عادل ،

بل ذلك معناه في كل أحواله إذا وجدت الصفات التي قدمنا ذكرها في معنى الاستهزاء وما أشبهه من نظائره ، وبنحو ما قلنا فيه روي الخبر عن ابن عباس .

330_ عن ابن عباس في قوله (الله يستهزئ بهم) قال يسخر بهم للنقمة منهم .

وأما الذين زعموا أن قول الله (الله يستهزئ بهم) إنما هو على وجه الجواب وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة فنافون على الله ما قد أثبته الله لنفسه وأوجبه لها ، وسواء قال قائل لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به ، أو قال لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف به من الأمم ولم يغرق من أخبر أنه أغرقه منهم ،

ويقال لقائل ذلك إن الله أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرهم ، وأخبر عن آخرين أنه خسف بهم وعن آخرين أنه أغرقهم ، فصدقنا الله فيما أخبرنا به من ذلك ولم نفرق بين شيء منه ، فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه بزعمك أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به ولم يمكر به أخبر أنه قد مكر به ؟

ثم نعكس القول عليه في ذلك ، فلن يقول في أحدهما شيئا إلا ألزم في الآخر مثله ، فإن لجأ إلى أن يقول إن الاستهزاء عبث ولعب وذلك عن الله منفي ، قيل له إن كان الأمر عندك على ما وصفت من معنى الاستهزاء ،

أفلست تقول (الله يستهزئ بهم) وسخر الله منهم ومكر الله بهم وإن لم يكن من الله عندك هزء ولا سخرية ؟ فإن قال لا كذب بالقرآن وخرج عن ملة الإسلام ، وإن قال بلى قيل له أفتقول من الوجه الذي قلت (الله يستهزئ بهم) وسخر الله منهم يلعب الله بهم ويعبث ولا لعب من الله ولا عبث ؟

فإن قال نعم وصف الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه وعلى تخطئة واصفه به وأضاف إليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه إليه ، وإن قال لا أقول يلعب الله به ولا يعبث وقد أقول يستهزئ بهم ويسخر منهم قيل فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث والهزء والسخرية والمكر والخديعة ،

ومن الوجه الذي جاز قيل هذا ولم يجز قيل هذا افترق معنياهما فعلم أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر ، وللكلام في هذا النوع موضع غير هذا كرهنا إطالة الكتاب باستقصائه ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وَيَمُدُّهُم)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (ويمدهم) ، فقال بعضهم :

331_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (ويمدهم) يملي لهم .

وقال آخرون :

332_ عن مجاهد (يمدهم) قال يزيدهم .

وكان بعض نحويي البصرة يتأول ذلك أنه بمعنى يمد لهم ويزعم أن ذلك نظير قول العرب الغلام يلعب الكعاب يراد به يلعب بالكعاب ، قال وذلك أنهم قد يقولون قد مددت له وأمددت له في غير هذا المعنى ، وهو قول الله (وأمددناهم) وهذا من أمددناهم ،

قال ويقال قد مد البحر فهو ماد وأمد الجرح فهو ممد ، وحكي عن يونس الجرمي أنه كان يقول ما كان من الشر فهو مددت وما كان من الخير فهو أمددت ، ثم قال وهو كما فسرت لك إذا أردت أنك تركته فهو مددت له وإذا أردت أنك أعطيته قلت أمددت ،

وأما بعض نحويي الكوفة فإنه كان يقول كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير ألف ، كما تقول مد النهر ومده نهر آخر غيره إذا اتصل به فصار منه ، وكل زيادة أحدثت في الشيء من غيره فهو بألف ، كقولك أمد الجرح لأن المدة من غير الجرح وأمددت الجيش بمدد .

وأولى هذه الأقوال بالصواب في قوله (ويمدهم) أن يكون بمعنى يزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم ، كما وصف ربنا أنه فعل بنظرائهم في قوله (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يعني نذرهم ونتركهم فيه ونملي لهم ليزدادوا إثما إلى إثمهم ،

ولا وجه لقول من قال ذلك بمعنى يمد لهم لأنه لا تدافع بين العرب وأهل المعرفة بلغتها أن يستجيزوا قول القائل مد النهر نهر آخر بمعنى اتصل به فصار زائدا ماء المتصل به بماء المتصل ، من غير تأول منهم ذلك أن معناه مد النهر نهر آخر ، فكذلك ذلك في قول الله (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) .

_ القول في تأويل قوله تعالى (في طغيانهم)

والطغيان الفعلان من قولك طغى فلان يطغى طغيانا إذا تجاوز في الأمر حده فبغى ، ومنه قول الله (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) أي يتجاوز حده ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت ودعا الله دعوةً لاتَ هنًّا / بعد طغيانه فظلَّ مُشِيَرا ، وإنما عنى الله بقوله (ويمدهم في طغيانهم) أنه يملي لهم ويذرهم يبغون في ضلالهم وكفرهم حيارى يترددون .

333_ عن ابن عباس في قوله (في طغيانهم يعمهون) قال في كفرهم يترددون .

334_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (في طغيانهم) في كفرهم .

335_ عن قتادة (في طغيانهم يعمهون) أي في ضلالتهم يعمهون .

336_ عن الربيع (في طغيانهم) في ضلالتهم .

337_ عن ابن زيد في قوله (في طغيانهم) قال طغيانهم كفرهم وضلالتهم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (يعمهون)

والعمه نفسه الضلال ، يقال منه عمه فلان يعمه عمهانا وعموها إذا ضل ، ومنه قول رؤبة بن العجاج يصف مضلة من المهامه ومُخفِقٌ من لهْلُهٍ ولُهْلُهِ / من مَهْمَهٍ يجتبنه في مهْمَهِ ، أعمى الهدى بالجاهلين العُمَّه ، والعمه جمع عَامِه ، وهم الذين يضلون فيه فيتحيرون ،

فمعنى قوله جل ثناؤه (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) في ضلالهم وكفرهم الذي قد غمرهم دنسه وعلاهم رجسه يترددون حيارى ضلالا لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا ، لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها فأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا ، وبنحو ما قلنا في العمه جاء تأويل المتأولين .

338_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (يعمهون) يتمادون في كفرهم .

339_ عن ابن عباس (يعمهون) قال يتمادون .

340_ عن ابن عباس في قوله (يعمهون) قال يترددون .

341_ عن ابن عباس (يعمهون) قال المتلدد .

342_ عن مجاهد في قول الله (في طغيانهم يعمهون) قال يترددون .

343_ عن الربيع (يعمهون) قال يترددون .

_ القول في تأويل قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)

إن قال قائل وكيف اشترى هؤلاء القوم الضلالة بالهدى وإنما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم إيمان ، فيقال فيهم باعوا هداهم الذي كانوا عليه بضلالتهم حتى استبدلوها منه ، وقد علمت أن معنى الشراء المفهوم اعتياض شيء ببذل شيء مكانه عوضا منه ، والمنافقون الذين وصفهم الله بهذه الصفة لم يكونوا قط على هدى فيتركوه ويعتاضوا منه كفرا ونفاقا ؟

قيل قد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فنذكر ما قالوا فيه ثم نبين الصحيح من التأويل في ذلك إن شاء الله .

344_ عن ابن عباس (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي الكفر بالإيمان .

345_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) يقول أخذوا الضلالة وتركوا الهدى .

346_ عن قتادة (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) استحبوا الضلالة على الهدى .

347_ عن مجاهد في قوله (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) آمنوا ثم كفروا .

فكأن الذين قالوا في تأويل ذلك أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وجهوا معنى الشراء إلى أنه أخذ المشتري مكان الثمن المشترى به ، فقالوا كذلك المنافق والكافر قد أخذا مكان الإيمان الكفر ، فكان ذلك منهما شراء للكفر والضلالة اللذين أخذاهما بتركهما ما تركا من الهدى ، وكان الهدى الذي تركاه هو الثمن الذي جعلاه عوضا من الضلالة التي أخذاها ،

وأما الذين تأولوا أن معنى قوله (اشتروا) استحبوا فإنهم لما وجدوا الله قد وصف الكفار في موضع آخر فنسبهم إلى استحبابهم الكفر على الهدى فقال (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) صرفوا قوله (اشتروا الضلالة بالهدى) إلى ذلك ،

وقالوا قد تدخل الباء مكان على وعلى مكان الباء كما يقال مررت بفلان ومررت على فلان بمعنى واحد ، وكقول الله (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدِّهِ إليك) أي على قنطار ، فكان تأويل الآية على معنى هؤلاء أولئك الذين اختاروا الضلالة على الهدى وأراهم ،

وجهوا معنى قول الله (اشتروا) إلى معنى اختاروا لأن العرب تقول اشتريت كذا على كذا واشتريته يعنون اخترته عليه ، ومن الاشتراء قول أعشى بني ثعلبة فقد أخرج الكاعب المشتراة / من خدرها وأشيع القمارا ، يعني بالمشتراة المختارة ،

وقال ذو الرمة في الاشتراء بمعنى الاختيار يذب القصايا عن شَرَاةٍ كأنها / جماهير تحت المدجنات الهواضب ، يعني بالشراة المختارة ، وقال آخر في مثل ذلك إن الشراة روقة الأموال / وحزرة القلب خيار المال .

وهذا وإن كان وجها من التأويل فلست له بمختار لأن الله قال (فما ربحت تجارتهم) فدل بذلك على أن معنى قوله (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) معنى الشراء الذي يتعارفه الناس من استبدال شيء مكان شيء وأخذ عوض على عوض ،

وأما الذين قالوا إن القوم كانوا مؤمنين وكفروا فإنه لا مؤنة عليهم لو كان الأمر على ما وصفوا به القوم لأن الأمر إذا كان كذلك فقد تركوا الإيمان واستبدلوا به الكفر عوضا من الهدى ، وذلك هو المعنى المفهوم من معاني الشراء والبيع ،

ولكن دلائل أول الآيات في نعوتهم إلى آخرها دالة على أن القوم لم يكونوا قط استضاءوا بنور الإيمان ولا دخلوا في ملة الإسلام ، أوما تسمع الله من لدن ابتدأ في نعتهم إلى أن أتى على صفتهم إنما وصفهم بإظهار الكذب بألسنتهم بدعواهم التصديق بنبينا محمد وبما جاء به خداعا لله ولرسوله وللمؤمنين عند أنفسهم واستهزاء في نفوسهم بالمؤمنين وهم لغير ما كانوا يظهرون مستبطنون ،

لقول الله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) ، ثم اقتص قصصهم إلى قوله (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) ، فأين الدلالة على أنهم كانوا مؤمنين فكفروا ؟ فإن كان قائل هذه المقالة ظن أن قوله (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) هو الدليل على أن القوم قد كانوا على الإيمان فانتقلوا عنه إلى الكفر فلذلك قيل لهم اشتروا ،

فإن ذلك تأويل غير مسلَّمٍ له ، إذ كان الاشتراء عند مخالفيه قد يكون أخذ شيء بترك آخر غيره ، وقد يكون بمعنى الاختيار وبغير ذلك من المعاني ، والكلمة إذا احتملت وجوها لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجة يجب التسليم لها .

والذي هو أولى عندي بتأويل الآية ما روينا عن ابن عباس وابن مسعود من تأويلهما قوله (اشتروا الضلالة بالهدى) أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، وذلك أن كل كافر بالله فإنه مستبدل بالإيمان كفرا باكتسابه الكفر الذي وجد منه بدلا من الإيمان الذي أمر به ،

أوما تسمع الله يقول فيمن اكتسب كفرا به مكان الإيمان به وبرسوله (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) ، وذلك هو معنى الشراء لأن كل مشتر شيئا فإنما يستبدل مكان الذي يؤخذ منه من البدل آخر بدلا منه ، فكذلك المنافق والكافر استبدلا بالهدى الضلالة والنفاق فأضلهما الله وسلبهما نور الهدى فترك جميعهم في ظلمات لا يبصرون .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فما ربحت تجارتهم)

وتأويل ذلك أن المنافقين بشرائهم الضلالة بالهدى خسروا ولم يربحوا لأن الرابح من التجار المستبدل من سلعته المملوكة عليه بدلا هو أنفس من سلعته أو أفضل من ثمنها الذي يبتاعها به ، فأما المستبدل من سلعته بدلا دونها ودون الثمن الذي يبتاعها به فهو الخاسر في تجارته لا شك ، فكذلك الكافر والمنافق ،

لأنهما اختارا الحيرة والعمى على الرشاد والهدى والخوف والرعب على الحفظ والأمن ، فاستبدلا في العاجل بالرشاد الحيرة وبالهدى الضلالة وبالحفظ الخوف وبالأمن الرعب ، مع ما قد أعد لهما في الآجل من أليم العقاب وشديد العذاب ، فخابا وخسرا ذلك هو الخسران المبين . وبنحو الذي قلنا في ذلك كان قتادة يقول .

348_ عن قتادة (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة ومن الجماعة إلى الفرقة ومن الأمن إلى الخوف ومن السنة إلى البدعة .

فإن قال قائل فما وجه قوله (فما ربحت تجارتهم) وهل التجارة مما تربح أو تنقص فيقال ربحت أو وضعت ؟ قيل إن وجه ذلك على غير ما ظننت وإنما معنى ذلك فما ربحوا في تجارتهم لا فيما اشتروا ولا فيما شروا ، ولكن الله خاطب بكتابه عربا فسلك في خطابه إياهم وبيانه لهم مسلك خطاب بعضهم بعضا وبيانهم المستعمل بينهم ،

فلما كان فصيحا لديهم قول القائل لآخر خاب سعيك ونام ليلك وخسر بيعك ونحو ذلك من الكلام الذي لا يخفى على سامعه ما يريد قائله ، خاطبهم بالذي هو في منطقهم من الكلام ، فقال (فما ربحت تجارتهم) ، إذ كان معقولا عندهم أن الربح إنما هو في التجارة كما النوم في الليل ،

فاكتفى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك عن أن يقال فما ربحوا في تجارتهم ، وإن كان ذلك معناه كما قال الشاعر وشر المنايا ميت وسط أهله / كهلك الفتاة أسلم الحي حاضره ، يعني بذلك وشر المنايا منية ميت وسط أهله ، فاكتفى بفهم سامع قيله مراده من ذلك عن إظهار ما ترك إظهاره ،

وكما قال رؤبة بن العجاج حارث قد فرجت عني همي / فنام ليلي وتجلى غمِّي ، فوصف بالنوم الليل ومعناه أنه هو الذي نام ، وكما قال جرير بن الخطفي وأعور من نبهان أما نهاره / فأعمى وأما ليله فبصير ، فأضاف العمى والإبصار إلى الليل والنهار ومراده وصف النبهاني بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى (وما كانوا مهتدين)

يعني بقوله جل ثناؤه (وما كانوا مهتدين) ما كانوا رشداء في اختيارهم الضلالة على الهدى واستبدالهم الكفر بالإيمان واشترائهم النفاق بالتصديق والإقرار .

_ القول في تأويل قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون)

فإن قال لنا قائل وكيف قيل (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) وقد علمت أن الهاء والميم من قوله (مثلهم) كناية جماعة من الرجال أو الرجال والنساء والذي دلالة على واحد من الذكور ؟ فكيف جعل الخبر عن واحد مثلا لجماعة ؟ وهلا قيل مثلهم كمثل الذين استوقدوا نارا ،

وإن جاز عندك أن تمثل الجماعة بالواحد فتجيز لقائل رأي جماعة من الرجال فأعجبته صورهم وتمام خلقهم وأجسامهم أن يقول كأن هؤلاء أو كأن أجسام هؤلاء نخلة . قيل أما في الموضع الذي مثل ربنا جل ثناؤه جماعة من المنافقين بالواحد الذي جعله لأفعالهم مثلا فجائز حسن وفي نظائره ،

كما قال جل ثناؤه في نظير ذلك (تدور أعينهم كالذي يُغشَى عليه من الموت) يعني كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت ، وكقوله (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) بمعنى إلا كبعث نفس واحدة ،

وأما في تمثيل أجسام الجماعة من الرجال في طول وتمام الخلق بالواحدة من النخيل فغير جائز ولا في نظائره لفرق بينهما ، فأما تمثيل الجماعة من المنافقين بالمستوقد الواحد فإنما جاز لأن المراد من الخبر عن مثل المنافقين الخبر عن مثل استضاءتهم بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار ،

وهم لغيره مستبطنون من اعتقاداتهم الرديئة وخلطهم نفاقهم الباطن بالإقرار بالإيمان الظاهر والاستضاءة ، وإن اختلفت أشخاص أهلها معنى واحد لا معان مختلفة ، فالمثل لها في معنى المثل للشخص الواحد من الأشياء المختلفة الأشخاص ،

وتأويل ذلك مثل استضاءة المنافقين بما أظهروه من الإقرار بالله وبمحمد وبما جاء به قولا وهم به مكذبون اعتقادا كمثل استضاءة الموقد نارا ثم أسقط ذكر الاستضاءة وأضيف المثل إليهم ، كما قال نابغة بني جعدة وكيف تواصل من أصبحت / خلالته كأبي مرحب ، يريد كخلالة أبي مرحب فأسقط خلالة إذ كان فيما أظهر من الكلام دلالة لسامعيه على ما حذف منه ،

فكذلك القول في قوله (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) لما كان معلوما عند سامعيه بما أظهر من الكلام أن المثل إنما ضرب لاستضاءة القوم بالإقرار دون أعيان أجسامهم حسن ، حذف ذكر الاستضاءة وإضافة المثل إلى أهله ، والمقصود بالمثل ما ذكرنا ،

فلما وصفنا جاز وحسن قوله (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) ، ويشبه مثل الجماعة في اللفظ بالواحد إذ كان المراد بالمثل الواحد في المعنى ، وأما إذا أريد تشبيه الجماعة من أعيان بني آدم أو أعيان ذوي الصور والأجسام بشيء فالصواب من الكلام تشبيه الجماعة بالجماعة والواحد بالواحد ، لأن عين كل واحد منهم غير أعيان الآخرين ،

ولذلك من المعنى افترق القول في تشبيه الأفعال والأسماء فجاز تشبيه أفعال الجماعة من الناس وغيرهم إذا كانت بمعنى واحد بفعل الواحد ، ثم حذف أسماء الأفعال وإضافة المثل والتشبيه إلى

الذين لهم الفعل ، فيقال ما أفعالكم إلا كفعل الكلب ثم يحذف فيقال ما أفعالكم إلا كالكلب أو كالكلاب وأنت تعني إلا كفعل الكلب وإلا كفعل الكلاب ،

ولم يجز أن تقول ما هم إلا نخلة وأنت تريد تشبيه أجسامهم بالنخل في الطول والتمام ، وأما قوله (استوقد نارا) فإنه في تأويل أوقد كما قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب إلى الندى / فلم يستجبه عند ذاك مجيب ، يريد فلم يجبه ،

فكان معنى الكلام إذا مثل استضاءة هؤلاء المنافقين في إظهارهم لرسول الله وللمؤمنين بألسنتهم من قولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) وصدقنا بمحمد وبما جاء به وهم للكفر مستبطنون فيما الله فاعل بهم مثل استضاءة موقد نار بناره حتى أضاءت له النار ما حوله يعني ما حول المستوقد ،

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن الذي في قوله (كمثل الذي استوقد نارا) بمعنى الذين ، كما قال جل ثناؤه (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) ، وكما قال الشاعر فإن الذي حانت بفلجٍ دماؤهم / هم القوم كلُّ القوم يا أمَّ خالد .

والقول الأول هو القول لما وصفنا من العلة ، وقد أغفل قائل ذلك فرق ما بين الذي في الآيتين وفي البيت لأن الذي في قوله (والذي جاء بالصدق) قد جاءت الدلالة على أن معناها الجمع وهو قوله (أولئك هم المتقون) ، وكذلك الذي في البيت وهو قوله دماؤهم ،

وليست هذه الدلالة في قوله (كمثل الذي استوقد نارا) ، فذلك فرق ما بين الذي في قوله (كمثل الذي استوقد نارا) ، وسائر شواهده التي استشهد بها على أن معنى الذي في قوله (كمثل الذي استوقد نارا) بمعنى الجماعة ،

وغير جائز لأحد نقل الكلمة التي هي الأغلب في استعمال العرب على معنى إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها . ثم اختلفت أهل التأويل في تأويل ذلك ، فروي عن ابن عباس فيه أقوال . أحدها :

349_ عن ابن عباس قال ضرب الله للمنافقين مثلا فقال (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) أي يبصرون الحق ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم ونفاقهم فيه فتركهم في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق .

والآخر :

350_ عن ابن عباس (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) إلى آخر الآية هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه وتركهم في ظلمات يقوم في عذاب .

والثالث :

351_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) أن أناسا دخلوا في الإسلام مقدم النبي المدينة ثم إنهم نافقوا فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد نارا فأضاءت له ما حوله من قذى أو أذى فأبصره حتى عرف ما يتقي ،

فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره فأقبل لا يدري ما يتقي من أذى ، فكذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال من الحرام والخير من الشر فبينا هو كذلك إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر ، وأما النور فالإيمان بما جاء به محمد وكانت الظلمة نفاقهم .

والآخر :

352_ عن ابن عباس قوله (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) إلى (فهم لا يرجعون) ضربه الله مثلا للمنافق وقوله (ذهب الله بنورهم) قال أما النور فهو إيمانهم الذي يتكلمون به وأما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم يتكلمون به وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم فعتوا بعد ذلك .

وقال آخرون :

353_ عن قتادة قوله (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) وإن المنافق تكلم بلا إله إلا الله فأضاءت له في الدنيا فناكح بها المسلمين وغازى بها المسلمين ووارث بها المسلمين وحقن بها دمه وماله ، فلما كان عند الموت سلبها المنافق لأنه لم يكن لها أصل في قلبه ولا حقيقة في علمه .

354_ عن قتادة (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله) [هي لا إله إلا الله أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وأمنوا في الدنيا ونكحوا النساء وحقنوا بها دماءهم حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .

355_ عن الضحاك بن مزاحم قوله (كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله) قال أما النور فهو إيمانهم الذي يتكلمون به وأما الظلمات فهي ضلالتهم وكفرهم .

وقال آخرون :

357_ عن مجاهد في قول الله (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله) قال أما إضاءة النار فإقبالهم إلى المؤمنين والهدى وذهاب نورهم إقبالهم إلى الكافرين والضلالة .

358_ عن مجاهد (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله)أما إضاءة النار فإقبالهم إلى المؤمنين والهدى وذهاب نورهم إقبالهم إلى الكافرين والضلالة .

359 _ عن الربيع بن أنس قال ضرب مثل أهل النفاق فقال (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) قال إنما ضوء النار ونورها ما أوقدتها فإذا خمدت ذهب نورها كذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الإخلاص أضاء له فإذا شك وقع في الظلمة .

360_عن الرحمن بن زيد في قوله (كمثل الذي استوقد نارا) إلى آخر الآية قال هذه صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون .

وأولى التأويلات بالآية ما قاله قتادة والضحاك وما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وذلك أن الله إنما ضرب هذا المثل للمنافقين الذين وصف صفتهم وقص قصصهم من لدن ابتدأ بذكرهم

بقوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) لا المعلنين بالكفر المجاه رين بالشرك ،

ولو كان المثل لمن آمن إيمانا صحيحا ثم أعلن بالكفر إعلانا صحيحا على ما ظن المتأول قول الله (كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) أن ضوء النار مثل لإيمانهم الذي كان منهم عنده على صحة وأن ذهاب نوره مثل لارتدادهم وإعلانهم الكفر على صحة لم يكن هنالك من القوم خداع ولا استهزاء عند أنفسهم ولا نفاق ،

وأنَّى يكون خداع ونفاق ممن لم يبد لك قولا ولا فعلا إلا ما أوجب لك العلم بحاله التي هو لك عليها وبعزيمة نفسه التي هو مقيم عليها ، إن هذا بغير شك من النفاق بعيد ومن الخداع بريء ، فإن كان القوم لم تكن لهم إلا حالتان حال إيمان ظاهر وحال كفر ظاهر ، فقد سقط عن القوم اسم النفاق ،

لأنهم في حال إيمانهم الصحيح كانوا مؤمنين وفي حال كفرهم الصحيح كانوا كافرين ، ولا حالة هناك ثالثة كانوا بها منافقين ، وفي وصف الله إياهم بصفة النفاق ما ينبئ عن أن القول غير القول الذي زعمه من زعم أن القوم كانوا مؤمنين ثم ارتدوا إلى الكفر فأقاموا عليه ،

إلا أن يكون قائل ذلك أراد أنهم انتقلوا من إيمانهم الذي كانوا عليه إلى الكفر الذي هو نفاق ، وذلك قول إن قاله لم تدرك صحته إلا بخبر مستفيض أو ببعض المعاني الموجبة صحته ، فأما في ظاهر الكتاب فلا دلالة على صحته لاحتماله من التأويل ما هو أولى به منه ،

فإذا كان الأمر على ما وصفنا في ذلك فأولى تأويلات الآية بالآية مثل استضاءة المنافقين بما أظهروا بألسنتهم لرسول الله من الإقرار به وقولهم له وللمؤمنين آمنا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، حتى حكم لهم بذلك في عاجل الدنيا بحكم المسلمين في حقن الدماء والأموال والأمن على الذرية من السباء وفي المناكحة والموارثة ،

كمثل استضاءة الموقد النار بالنار حتى إذا ارتفق بضيائها وأبصر ما حوله مستضيئا بنوره من الظلمة خمدت النار وانطفأت فذهب نوره وعاد المستضيء به في ظلمة وحيرة ، وذلك أن المنافق لم يزل مستضيئا بضوء القول الذي دافع عنه في حياته القتل والسباء ،

مع استبطانه ما كان مستوجبا به القتل وسلب المال لو أظهره بلسانه تخيل إليه بذلك نفسه أنه بالله ورسوله والمؤمنين مستهزئ مخادع ، حتى سولت له نفسه إذ ورد على ربه في الآخرة أنه ناج منه بمثل الذي نجا به في الدنيا من الكذب والنفاق ،

أوما تسمع الله يقول إذ نعتهم ثم أخبرهم عند ورودهم عليه (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) ظنا من القوم أن نجاتهم من عذاب الله في الآخرة في مثل الذي كان به نجاتهم من القتل والسباء وسلب المال في الدنيا من الكذب والإفك ، وأن خداعهم نافعهم هنالك نفعه إياهم في الدنيا ،

حتى عاينوا من أمر الله ما أيقنوا به أنهم كانوا من ظنونهم في غرور وضلال واستهزاء بأنفسهم وخداع إذ أطفأ الله نورهم يوم القيامة فاستنظروا المؤمنين ليقتبسوا من نورهم ، فقيل لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واصلوا سعيرا ، فذلك حين ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، كما انطفأت نار المستوقد النار بعد إضاءتها له فبقي في ظلمته حيران تائها ،

يقول الله (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير) ،

فإن قال لنا قائل إنك ذكرت أن معنى قول الله (كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله) خمدت وانطفأت وليس ذلك بموجود في القرآن فما دلالتك على أن ذلك معناه ؟ قيل قد قلنا إن من شأن العرب الإيجاز والاختصار إذا كان فيما نطقت به الدلالة الكافية على ما حذفت وتركت ،

كما قال أبو ذؤيب الهذلي عصيت إليها القلب إني لأمرها / سميعٌ فما أدري أرُشْدٌ طِلَابُهَا ، يعني بذلك فما أدري أرشد طلابها أم غيٌّ ، فحذف ذكر أم غي إذ كان فيما نطق به الدلالة عليها ، وكما قال ذو الرمة في نعت حمير فلما لبسن الليل أو حين نصبَتْ ، له من خَذَا آذَانِهَا وهو جانِحَ ، يعني أو حين أقبل الليل ،

في نظائر لذلك كثيرة كرهنا إطالة الكتاب بذكرها ، فكذلك قوله (كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله) لما كان فيه وفيما بعده من قوله (ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) دلالة على المتروك كافية من ذكره اختصر الكلام طلب الإيجاز ،

وكذلك حذف ما حذف واختصار ما اختصر من الخبر عن مثل المنافقين بعده نظير ما اختصر من الخبر عن مثل المستوقد النار ، لأن معنى الكلام فكذلك المنافقون ذهب الله بنورهم وتركهم في

ظلمات لا يبصرون بعد الضياء الذي كانوا فيه في الدنيا بما كانوا يظهرون بألسنتهم من الإقرار بالإسلام وهم لغيره مستبطنون ،

كما ذهب ضوء نار هذا المستوقد بانطفاء ناره وخمودها فبقي في ظلمة لا يبصر ، والهاء والميم في قوله (ذهب الله بنورهم) عائدة على الهاء والميم في قوله (مثلهم) .

_ القول في تأويل قوله تعالى (صم بكم عمي فهم لا يرجعون)

وإذ كان تأويل قول الله (ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) هو ما وصفنا من أن ذلك خبر من الله عما هو فاعل بالمنافقين في الآخرة عند هتك أستارهم وإظهاره فضائح أسرارهم وسلبه ضياء أنوارهم من تركهم في ظلم أهوال يوم القيامة يترددون وفي حنادسها لا يبصرون ،

فبين أن قوله جل ثناؤه (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) من المؤخر الذي معناه التقديم ، وأن معنى الكلام أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين صم بكم عمي فهم لا يرجعون مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ،

فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون أو كمثل صيب من السماء ، وإذ كان ذلك معنى الكلام فمعلوم أن قوله (صم بكم عمي) يأتيه الرفع من وجهين والنصب من وجهين ،

فأما أحد وجهي الرفع فعلى الاستئناف لما فيه من الذم ، وقد تفعل العرب ذلك في المدح والذم فتنصب وترفع وإن كان خبرا عن معرفة ، كما قال الشاعر لا يبعدن قومي الذين هم / سُمُّ العُدَاةِ وآفة الجُزْرِ ، النازلين بكل معتركٍ / والطيبين معاقد الأُزُر ،

فيروى النازلون والنازلين وكذلك الطيبون والطيبين على ما وصفت من المدح ، والوجه الآخر على نية التكرير من أولئك فيكون المعني حينئذ (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) أولئك (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) ،

وأما أحد وجهي النصب فأن يكون قطعا مما في مهتدين من ذكر أولئك لأن الذي فيه من ذكرهم معرفة والصم نكرة ، والآخر أن يكون قطعا من الذين لأن الذين معرفة والصم نكرة ، وقد يجوز النصب فيه أيضا على وجه الذم فيكون ذلك وجها من النصب ثالثا ،

فأما على تأويل ما روينا عن ابن عباس من غير وجه رواية علي بن أبي طلحة عنه فإنه لا يجوز فيه الرفع إلا من وجه واحد وهو الاستئناف ، وأما النصب فقد يجوز فيه من وجهين ، أحدهما الذم والآخر القطع من الهاء والميم اللتين في (وتركهم) أو من ذكرهم في لا يبصرون ،

وقد بينا القول الذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك والقراءة التي هي القراءة الرفع دون النصب لأنه ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين ، وإذا قرئ نصبا كانت قراءة مخالفة رسم مصاحفهم .

وهذا خبر من الله عن المنافقين أنهم باشترائهم الضلالة بالهدى لم يكونوا للهدى والحق مهتدين ، بل هم صم عنهما فلا يسمعونهما لغلبة خذلان الله عليهم بكم عن القيل بهما فلا ينطقون بهما ،

والبكم الخرس وهو جمع أبكم عمي عن أن يبصروهما فيعقلوهما لأن الله قد طبع على قلوبهم بنفاقهم فلا يهتدون ، وبمثل ما قلنا في ذلك قال علماء أهل التأويل .

361_ عن ابن عباس (صم بكم عمي) عن الخير .

362_ عن ابن عباس (صم بكم عمي) يقول لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه .

363_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (بُكم) هم الخرس .

364_ عن قتادة قوله (صم بكم عمي) صم عن الحق فلا يسمعونه عمي عن الحق فلا يبصرونه بكم عن الحق فلا ينطقون به .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فهم لا يرجعون)

وقوله (فهم لا يرجعون) إخبار من الله عن هؤلاء المنافقين الذين نعتهم الله باشترائهم الضلالة بالهدى وصممهم عن سماع الخير والحق وبكمهم عن القيل بهما وعماهم عن إبصارهما أنهم لا يرجعون إلى الإقلاع عن ضلالتهم ولا يتوبون إلى الإنابة من نفاقهم ،

فآيَسَ المؤمنين من أن يبصر هؤلاء رشدا ويقولوا حقا أو يسمعوا داعيا إلى الهدى أو أن يذكروا فيتوبوا من ضلالتهم ، كما آيس من توبة قادة كفار أهل الكتاب والمشركين وأحبارهم الذين وصفهم بأنه قد ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وغشى على أبصارهم ، وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

365_ عن قتادة (فهم لا يرجعون) أي لا يتوبون ولا يذكرون .

366_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (فهم لا يرجعون) إلى الإسلام .

وقد روي عن ابن عباس قول يخالف معناه معنى هذا الخبر .

367_ عن ابن عباس (فهم لا يرجعون) أي فلا يرجعون إلى الهدى ولا إلى خير فلا يصيبون نجاة ما كانوا على ما هم عليه .

وهذا تأويل ظاهر التلاوة بخلافه وذلك أن الله أخبر عن القوم أنهم لا يرجعون عن اشترائهم الضلالة بالهدى إلى ابتغاء الهدى وإبصار الحق من غير حصر منه جل ذكره ذلك من حالهم إلى وقت دون وقت وحال دون حال ،

وهذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس ينبئ عن أن ذلك من صفتهم محصور على وقت وهو ما كانوا على أمرهم مقيمين وأن لهم السبيل إلى الرجوع عنه ، وذلك من التأويل دعوى باطلة لا دلالة عليها من ظاهر ولا من خبر تقوم بمثله الحجة فيسلم لها .

_ القول في تأويل قوله تعالى (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير)

والصيب الفيعل من قولك صاب المطر يصوب صوبا إذا انحدر ونزل ، كما قال الشاعر فلست لإنسي ولكن لملأكٍ / تنزل من جوِّ السماء يَصُوب ، وكما قال علقمة بن عبدة كأنهم صاب عليهم سحابةٌ / صواعقها لطيرهِنَّ دبيب ، فلا تعدلي بيني وبين مُغمَّرٍ / سُقيتِ روايا المُزنِ حين تصوب ، يعني حين تنحدر ،

وهو في الأصل صيوب ولكن الواو لما سبقتها ياء ساكنة صيرتا جميعا ياء مشددة ، كما قيل سيد من ساد يسود وجيد من جاد يجود ، وكذلك تفعل العرب بالواو إذا كانت متحركة وقبلها ياء ساكنة تصيرهما جميعا ياء مشددة ، وبما قلنا من القول في ذلك قال أهل التأويل .

368_ عن ابن عباس في قوله (أو كصيب من السماء) قال القطر .

369_ عن عطاء بن أبي رباح قال الصيب المطر .

370_ عن ابن عباس قال الصيب المطر .

371_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي الصيب المطر .

372_ عن قتادة (أو كصيب) قال المطر .

373_ عن مجاهد الصيب المطر .

374_ عن الربيع بن أنس الصيب المطر .

375_ عن ابن عباس قال الصيب المطر .

376_ عن ابن زيد (أو كصيب من السماء) قال أو كغيث من السماء .

377_ عن سفيان قال الصيب الذي فيه المطر .

378_ عن عطاء في قوله (أو كصيب من السماء) قال المطر .

وتأويل ذلك مثل استضاءة المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام مع استسرارهم الكفر مثل إضاءة موقد النار بضوء ناره ، على ما وصف جل ثناؤه من صفته أو كمثل مطر مظلم ودقه تحدر من السماء تحمله مزنة ظلماء في ليلة مظلمة ،

وذلك هو الظلمات التي أخبر الله أنها فيه ، فإن قال لنا قائل أخبرنا عن هذين المثلين أهما مثلان للمنافقين أو أحدهما ؟ فإن يكونا مثلين للمنافقين فكيف قيل (أو كصيب) و أو تأتي بمعنى الشك في الكلام ولم يقل وكصيب بالواو التي تلحق المثل الثاني بالمثل الأول ؟

أو يكون مثل القوم أحدهما ، فما وجه ذكر الآخر بأو وقد علمت أن أو إذا كانت في الكلام فإنما تدخل فيه على وجه الشك من المخبر فيما أخبر عنه كقول القائل لقيني أخوك أو أبوك وإنما لقيه أحدهما ولكنه جهل عين الذي لقيه منهما مع علمه أن أحدهما قد لقيه ، وغير جائز في الله أن يضاف إليه الشك في شيء أو عزوب علم شيء عنه فيما أخبر أو ترك الخبر عنه ،

قيل له إن الأمر في ذلك بخلاف الذي ذهبت إليه وأو وإن كانت في بعض الكلام تأتي بمعنى الشك ، فإنها قد تأتي دالة على مثل ما تدل عليه الواو إما بسابق من الكلام قبلها وإما بما يأتي بعدها ، كقول توبة بن الحمير وقد زعمت ليلى بأني فاجر ، لنفسي تقاها أو عليها فجورها ،

ومعلوم أن ذلك من توبة على غير وجه الشك فيما قال ، ولكن لما كانت أو في هذا الموضع دالة على مثل الذي كانت تدل عليه الواو لو كانت مكانها وضعها موضعها ، وكذلك قول جرير جاء الخلافة أو كانت له قدرا / كما أتى ربه موسى على قدر ،

وكما قال الآخر فلو كان البكاء يرد شيئا / بكيت على جبير أو عناق ، على المرأين إذ مضيا جميعا / لشأنهما بحزن واشتياق ، فقد دل بقوله على المرأين إذ مضيا جميعا أن بكاءه الذي أراد أن يبكيه لم يرد أن يقصد به أحدهما دون الآخر ، بل أراد أن يبكيهما جميعا ، فكذلك ذلك في قول الله (أو كصيب من السماء) ،

لما كان معلوما أن أو دالة في ذلك على مثل الذي كانت تدل عليه الواو ، ولو كانت مكانها كان سواء نطق فيه بأو أو بالواو وكذلك وجه حذف المثل من قوله (أو كصيب) لما كان قوله (كمثل الذي استوقد نارا) دالا على أن معناه كمثل صيب حذف المثل واكتفى بدلالة ما مضى من الكلام في قوله (كمثل الذي استوقد نارا) على أن معناه أو كمثل صيب من إعادة ذكر المثل طلب الإيجاز والاختصار .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا)

فأما الظلمات فجمع واحدها ظلمة وأما الرعد فإن أهل العلم اختلفوا فيه فقال بعضهم هو ملك يزجر السحاب . ذكر من قال ذلك :

379-381_ عن مجاهد قال الرعد ملك يزجر السحاب بصوته .

382_ عن أبي صالح قالا الرعد ملك من الملائكة يسبح .

383_ عن شهر بن حوشب قال الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه كما يسوق الحادي الإبل يسبح ، كلما خالفت سحابة سحابة صاح بها ، فإذا اشتد غضبه طارت النار من فيه فهي الصواعق التي رأيتم .

384_ عن ابن عباس قال الرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد وهو الذي تسمعون صوته .

385_ عن ابن عباس قال الرعد ملك يزجر السحاب بالتسبيح والتكبير .

386_ عن ابن عباس قال الرعد اسم ملك وصوته هذا تسبيحه فإذا اشتد زجره السحاب اضطرب السحاب واحتك فتخرج الصواعق من بينه .

387_ عن ابن عباس قال الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادي الإبل بحدائه .

388_ عن مجاهد قال الرعد ملك يزجر السحاب .

389_ عن عكرمة قال الرعد ملك في السحاب يجمع السحاب كما يجمع الراعي الإبل .

390_ عن قتادة قال الرعد خلق من خلق الله جل وعز سامع مطيع لله جل وعز .

391_ عن عكرمة قال إن الرعد ملك يؤمر بإزجاء السحاب فيؤلف بينه فذلك الصوت تسبيحه .

392_ عن مجاهد قال الرعد ملك .

393_ عن علي بن أبي طالب قال الرعد ملك .

394_ عن أبي جهضم مولى ابن عباس قال كتب ابن عباس إلى أبي الجلد يسأله عن الرعد ؟ فقال الرعد ملك .

395_ عن عكرمة قال الرعد ملك يسوق السحاب كما يسوق الراعي الإبل .

396_ عن عكرمة قال كان ابن عباس إذا سمع الرعد قال سبحان الذي سبحت له ، قال وكان يقول إن الرعد ملك ينعق بالغيث كما ينعق الراعي بغنمه .

وقال آخرون إن الرعد ريح تختنق تحت السحاب فتصاعد فيكون منه ذلك الصوت . ذكر من قال ذلك :

397_ عن أبي كثير قال كنت عند أبي الجلد إذ جاءه رسول ابن عباس بكتاب إليه فكتب إليه كتبت تسألني عن الرعد فالرعد الريح .

398_ عن الفرات التميمي قال كتب ابن عباس إلى أبي الجلد يسأله عن الرعد فقال الرعد ريح .

فإن كان الرعد ما ذكره ابن عباس ومجاهد فمعنى الآية أو كصيب من السماء فيه ظلمات وصوت رعد لأن الرعد إن كان ملكا يسوق السحاب فغير كائن في الصيب ، لأن الصيب إنما هو ما تحدر من صوب السحاب والرعد إنما هو في جو السماء يسوق السحاب ،

على أنه لو كان فيه يمر لم يكن له صوت مسموع ، فلم يكن هنالك رعب يرعب به أحد ، لأنه قد قيل إن مع كل قطرة من قطر المطر ملكا ، فلا يعدو الملك الذي اسمه الرعد لو كان مع الصيب إذا لم يكن مسموعا صوته أن يكون كبعض تلك الملائكة التي تنزل مع القطر إلى الأرض في أن لا رعب على أحد بكونه فيه ،

فقد علم إذ كان الأمر على ما وصفنا من قول ابن عباس أن معنى الآية أو كمثل غيث تحدر من السماء فيه ظلمات وصوت رعد إن كان الرعد هو ما قاله ابن عباس ، وإنه استغنى بدلالة ذكر الرعد باسمه على المراد في الكلام من ذكر صوته ،

وإن كان الرعد ما قاله أبو الجلد فلا شيء في قوله (فيه ظلمات ورعد) متروك لأن معنى الكلام حينئذ فيه ظلمات ورعد الذي هو وما وصفنا صفته ، وأما البرق فإن أهل العلم اختلفوا فيه ، فقال بعضهم :

399_ عن علي بن أبي طالب قال البرق مخاريق الملائكة .

400_ عن ابن عباس البرق مخاريق بأيدي الملائكة يزجرون بها السحاب .

401_ عن علي بن أبي طالب قال الرعد الملك والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد .

وقال آخرون هو سوط من نور يزج به الملك السحاب .

402_ عن ابن عباس بذلك .

وقال آخرون هو ماء . ذكر من قال ذلك :

403_ عن أبي كثير قال كنت عند أبي الجلد إذ جاءه رسول ابن عباس بكتاب إليه فكتب إليه تسألني عن البرق فالبرق الماء .

404_ عن الفرات التميمي قال كتب ابن عباس إلى أبي الجلد يسأله عن البرق فقال البرق ماء .

405_ عن عطاء عن رجل من أهل البصرة من قرائهم قال كتب ابن عباس إلى أبي الجلد رجل من أهل هجر يسأله عن البرق فكتب إليه كتبت إلي تسألني عن البرق وإنه من الماء .

وقال آخرون هو مَصْعُ مَلَك .

406_ عن مجاهد قال البرق مصع ملك .

407_ عن محمد بن مسلم الطائفي قال بلغني أن البرق ملك له أربعة أوجه وجه إنسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فإذا مصع بأجنحته فذلك البرق .

408_ عن شعيب الجبائي قال في كتاب الله الملائكة حملة العرش لكل ملك منهم وجه إنسان وثور وأسد فإذا حركوا أجنحتهم فهو البرق ، وقال أمية بن أبي الصلت زحل وثور تحت رجل يمينه / والنسر للأخرى ولَيثٌ مُرصِد .

409_ عن ابن عباس البرق ملك .

410_ عن ابن جريج قال الصواعق ملك يضرب السحاب بالمخاريق يصيب منه من يشاء .

وقد يحتمل أن يكون ما قاله علي بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد بمعنى واحد ، وذلك أن تكون المخاريق التي ذكر علي أنها هي البرق هي السياط التي هي من نور التي يزجي بها الملك السحاب كما قال ابن عباس ،

ويكون إزجاء الملك السحاب مصعه إياه بها ، وذاك أن المصاع عند العرب أصله المجالدة بالسيوف ثم تستعمله في كل شيء جولد به في حرب وغير حرب ، كما قال أعشى بني ثعلبة وهو يصف جواري يلعبن بحليهن ويجالدن به إذا هن نازلن أقرانهن / وكان المصاع بما في الجون ،

يقال منه ماصعه مصاعا ، وكأن مجاهدا إنما قال مصع ملك إذ كان السحاب لا يماصع الملك ، وإنما الرعد هو المماصع له ، فجعله مصدرا من مصعه يمصعه مصعا ، وقد ذكرنا ما في معنى الصاعقة ما قال شهر بن حوشب فيما مضى .

وأما تأويل الآية فإن أهل التأويل مختلفون فيه فروي عن ابن عباس في ذلك أقوال ، أحدها :

411_ عن ابن عباس (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت) أي هم من ظلمات ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل على الذي هم عليه من الخلاف والتخوف منكم على مثل ما وصف من الذي هو في ظلمة الصيب فجعل أصابعه في أذنيه من الصواعق حذر الموت ،

(يكاد البرق يخطف أبصارهم) أي لشدة ضوء الحق (كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) أي يعرفون الحق ويتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا متحيرين .

والآخر :

412_ عن ابن عباس وعن ابن مسعود وناس من أصحاب النبي (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) إلى (إن الله على كل شيء قدير) أما الصيب والمطر كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق ،

فجعلا كلما أضاء لهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما وإذ لمع البرق مشيا في ضوئه وإذا لم يلمع لم يبصرا وقاما مكانهما لا يمشيان ، فجعلا يقولان ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمدا فنضع أيدينا في يده ،

فأصبحا فأتياه فأسلما ووضعا أيديهما في يده وحسن إسلامهما ، فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلا للمنافقين الذين بالمدينة ، وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النبي أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا كما كان ذانك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما وإذا أضاء لهم مشوا فيه ،

فإذا كثرت أموالهم وولد لهم الغلمان وأصابوا غنيمة أو فتحا مشوا فيه وقالوا إن دين محمد دين صدق فاستقاموا عليه ، كما كان ذانك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهم البرق مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ، فكانوا إذا هلكت أموالهم وولد لهم الجواري وأصابهم البلاء قالوا هذا من أجل دين محمد فارتدوا كفارا كما قام ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما .

والثالث :

413_ عن ابن عباس (أو كصيب من السماء) كمطر (فيه ظلمات ورعد وبرق) إلى آخر الآية هو مثل المنافق في ضوء ما تكلم بما معه من كتاب الله وعمل مراءاة للناس ، فإذا خلا وحده عمل بغيره فهو في ظلمة ما أقام على ذلك ، وأما الظلمات فالضلالة وأما البرق فالإيمان وهم أهل الكتاب وإذا أظلم عليهم فهو رجل يأخذ بطرف الحق لا يستطيع أن يجاوزه .

والرابع :

414 _ عن ابن عباس (أو كصيب من السماء) وهو المطر ضرب مثله في القرآن يقول (فيه ظلمات) يقول ابتلاء (ورعد) يقول فيه تخويف وبرق (يكاد البرق يخطف أبصارهم) يقول يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين (كلما أضاء لهم مشوا فيه) ،

يقول كلما أصاب المنافقون من الإسلام عزا اطمأنوا وإن أصابوا الإسلام نكبة قالوا ارجعوا إلى الكفر يقول (وإذا أظلم عليهم قاموا) كقوله (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة) إلى آخر الآية .

ثم اختلف سائر أهل التأويل بعد ذلك في نظير ما روي عن ابن عباس من الاختلاف .

416-415_ عن مجاهد قال إضاءة البرق وإظلامه على نحو ذلك المثل .

417 _ عن قتادة في قول الله (فيه ظلمات ورعد وبرق) إلى قوله (وإذا أظلم عليهم قاموا) فالمنافق إذا رأى في الإسلام رخاء أو طمأنينة أو سلوة من عيش قال أنا معكم وأنا منكم وإذا أصابته شدة حقحق والله عندها فانقطع به فلم يصبر على بلائها ولم يحتسب أجرها ولم يرج عاقبتها .

418_ عن قتادة (فيه ظلمات ورعد وبرق) يقول أخبر عن قوم لا يسمعون شيئا إلا ظنوا أنهم هالكون فيه حذرا من الموت والله محيط بالكافرين ، ثم ضرب لهم مثلا آخر فقال (يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه) يقول هذا المنافق إذا كثر ماله وكثرت ماشيته وأصابته عافية قال لم يصبني منذ دخلت في ديني هذا إلا خير (وإذا أظلم عليهم قاموا) يقول إذا ذهبت أموالهم وهلكت مواشيهم وأصابهم البلاء قاموا متحيرين .

419 _ عن الربيع بن أنس (فيه ظلمات ورعد وبرق) قال مثلهم كمثل قوم ساروا في ليلة مظلمة ولها مطر ورعد وبرق على جادة فلما أبرقت أبصروا الجادة فمضوا فيها وإذا ذهب البرق تحيروا ، وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الإخلاص أضاء له فإذا شك تحير ووقع في الظلمة ، فكذلك قوله (كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) ثم قال في أسماعهم وأبصارهم التي عاشوا بها في الناس (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) .

420_ عن الضحاك بن مزاحم (فيه ظلمات) قال أما الظلمات فالضلالة والبرق الإيمان .

421_ عن عبد الرحمن بن زيد في قوله (فيه ظلمات ورعد وبرق) فقرأ حتى بلغ (إن الله على كل شيء قدير) قال هذا أيضا مثل ضربه الله للمنافقين كانوا قد استناروا بالإسلام كما استنار هذا بنور هذا البرق .

422_ عن ابن جريج قال ليس شيء في الأرض سمعه المنافق إلا ظن أنه يراد به وأنه الموت كراهية له والمنافق أكره خلق الله للموت كما إذا كانوا بالبراز في المطر فروا من الصواعق .

423_ عن عطاء في قوله (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) قال مثل ضرب للكفار .

وهذه الأقوال التي ذكرنا عمن رويناها عنه فإنها وإن اختلفت فيها ألفاظ قائليها متقاربات المعاني ، لأنها جميعا تنبئ عن أن الله ضرب الصيب لظاهر إيمان المنافق مثلا ومثل ما فيه من ظلمات بضلالته وما فيه من ضياء برق بنور إيمانه واتقاءه من الصواعق بتصيير أصابعه في أذنيه ،

بضعف جنانه ونخب فؤاده من حلول عقوبة الله بساحته ومشيه في ضوء البرق باستقامته على نور إيمانه وقيامه في الظلام بحيرته في ضلالته وارتكاسه في عمهه ، فتأويل الآية إذا إذا كان الأمر على ما وصفنا أو مثل ما استضاء به المنافقون من قيلهم لرسول الله وللمؤمنين بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر وبمحمد وما جاء به ،

حتى صار لهم بذلك في الدنيا أحكام المؤمنين وهم مع إظهارهم بألسنتهم ما يظهرون بالله وبرسوله وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر مكذبون ولخلاف ما يظهرون بالألسن في قلوبهم معتقدون على عمى منهم وجهالة بما هم عليه من الضلالة ،

لا يدرون أي الأمرين اللذين قد شرعا لهم فيه الهداية في الكفر الذي كانوا عليه قبل إرسال الله محمدا بما أرسله به إليهم أم في الذي أتاهم به محمد من عند ربهم ، فهم من وعيد الله إياهم على لسان محمد وجلون ، وهم مع وجلهم من ذلك في حقيقته شاكون في قلوبهم مرض ،

فزادهم الله مرضا كمثل غيث سرى ليلا في مزنة ظلماء وليلة مظلمة يحدوها رعد ويستطير في حافاتها برق شديد لمعانه كثير خطرانه يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ويختطفها من شدة ضيائه ونور شعاعه وينهبط منها تارات صواعق تكاد تدع النفوس من شدة أهوالها زواهق ،

فالصيب مثل لظاهر ما أظهر المنافقون بألسنتهم من الإقرار والتصديق والظلمات التي هي فيه لظلمات ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب ، وأما الرعد والصواعق فلما هم عليه من الوجل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله في آي كتابه ،

إما في العاجل وإما في الآجل ، أي يحل بهم مع شكهم في ذلك هل هو كائن أم غير كائن وهل له حقيقة أم ذلك كذب وباطل ، مثل فهم من وجلهم أن يكون ذلك حقا يتقونه بالإقرار بما جاء به محمد بألسنتهم مخافة على أنفسهم من الهلاك ونزول النقمات ،

وذلك تأويل قوله جل ثناؤه (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت) يعني بذلك يتقون وعيد الله الذي أنزله في كتابه على لسان رسوله بما يبدونه بألسنتهم من ظاهر الإقرار كما يتقي الخائف أصوات الصواعق بتغطية أذنيه وتصيير أصابعه فيها حذرا على نفسه منها ،

وقد ذكرنا الخبر الذي روي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما كانا يقولان إن المنافقين كانوا إذا حضروا مجلس رسول الله أدخلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام رسول الله أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا ،

فإن كان ذلك صحيحا ولست أعلمه صحيحا إذ كنت بإسناده مرتابا ، فإن القول الذي روي عنهما هو القول وإن يكن غير صحيح ، فأولى بتأويل الآية ما قلنا لأن الله إنما قص علينا من خبرهم في أول مبتدأ قصصهم أنهم يخادعون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر ،

مع شك قلوبهم ومرض أفئدتهم في حقيقة ما زعموا أنهم به مؤمنون مما جاءهم به رسول الله من عند ربهم ، وبذلك وصفهم في جميع آي القرآن التي ذكر فيها صفتهم ، فكذلك ذلك في هذه الآية ، وإنما جعل الله إدخالهم أصابعهم في آذانهم مثلا لاتقائهم رسول الله والمؤمنين بما ذكرنا أنهم يتقونهم به كما يتقي سامع صوت الصاعقة بإدخال أصابعه في أذنيه ،

وذلك من المثل نظير تمثيل الله ما أنزل فيهم من الوعيد في آي كتابه بأصوات الصواعق ، وكذلك قوله (حذر الموت) جعله جل ثناؤه مثلا لخوفهم وإشفاقهم من حلول عاجل العقاب المهلك الذي توعده بساحتهم كما يجعل سامع أصوات الصواعق أصابعه في أذنيه حذر العطب والموت على نفسه أن تزهق من شدتها ،

وإنما نصب قوله (حذر الموت) على نحو ما تنصب به التكرمة في قولك زرتك تكرمة لك تريد بذلك من أجل تكرمتك ، وكما قال جل ثناؤه (ويدعوننا رغبا ورهبا) على التفسير للفعل ، وقد روي عن قتادة أنه كان يتأول قوله (حذر الموت) حذرا من الموت ، حدثنا بذلك .. عن قتادة ، وذلك مذهب من التأويل ضعيف ،

لأن القوم لم يجعلوا أصابعهم في آذانهم حذرا من الموت ، فيكون معناه ما قال إنه مراد به حذرا من الموت ، وإنما جعلوها من حذار الموت في آذانهم ، وكان قتادة وابن جريج يتأولان قوله (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت) أن ذلك من الله صفة للمنافقين بالهلع وضعف القلوب وكراهة الموت ،

ويتأولان في ذلك قوله (يحسبون كل صيحة عليهم) ، وليس الأمر في ذلك عندي كالذي قالا ، وذلك أنه قد كان فيهم من لا تنكر شجاعته ولا تدفع بسالته كقزمان الذي لم يقم مقامه أحد من

المؤمنين بأحد أو دونه ، وإنما كانت كراهتهم شهود المشاهد مع رسول الله وتركهم معاونته على أعدائه لأنهم لم يكونوا في أديانهم مستبصرين ولا برسول الله مصدقين ،

فكانوا للحضور معه مشاهده كارهين إلا بالتخذيل عنه ، ولكن ذلك وصف من الله لهم بالإشفاق من حلول عقوبة الله بهم على نفاقهم إما عاجلا وإما آجلا ، ثم أخبر جل ثناؤه أن المنافقين الذين نعتهم النعت الذي ذكر وضرب لهم الأمثال التي وصف وإن اتقوا عقابه وأشفقوا عذابه إشفاق الجاعل في أذنيه أصابعه حذار حلول الوعيد الذي توعدهم به في آي كتابه ،

غير منجيهم ذلك من نزوله بعقوتهم وحلوله بساحتهم ، إما عاجلا في الدنيا وإما آجلا في الآخرة ، للذي في قلوبهم من مرضها والشك في اعتقادها ، فقال (والله محيط بالكافرين) بمعنى جامعهم فمحل بهم عقوبته ، وكان مجاهد يتأول ذلك :

424_ عن مجاهد في قول الله (والله محيط بالكافرين) قال جامعهم في جهنم .

وأما ابن عباس فروي عنه في ذلك :

425_ عن ابن عباس (والله محيط بالكافرين) يقول الله منزل ذلك بهم من النقمة .

426_ عن مجاهد في قوله (والله محيط بالكافرين) قال جامِعُهم .

ثم عاد جل ذكره إلى نعت إقرار المنافقين بألسنتهم والخبر عنه وعنهم وعن نفاقهم وإتمام المثل الذي ابتدأ ضربه لهم ولشكهم ومرض قلوبهم فقال (يكاد البرق) يعني بالبرق الإقرار الذي أظهروه

بألسنتهم بالله وبرسوله وما جاء به من عند ربهم ، فجعل البرق له مثلا على ما قدمنا صفته (يخطف أبصارهم) يعني يذهب بها ويستلبها ويلتمعها من شدة ضيائه ونور شعاعه .

427_ عن ابن عباس في قوله (يكاد البرق يخطف أبصارهم) قال يلتمع أبصارهم ولما يفعل .

والخطف السلب ومنه الخبر الذي روي عن النبي أنه نهى عن الخطفة يعني بها النهبة ، ومنه قيل للخطاف الذي يخرج به الدلو من البئر خطاف لاختطافه واستلابه ما علق به ، ومنه قول نابغة بني ذبيان خطاطيفُ حُجْنٌ في حبالٍ متينة / تمد بها أيد إليك نوازع ،

فجعل ضوء البرق وشدة شعاع نوره كضوء إقرارهم بألسنتهم وبرسوله وبما جاء به من عند الله واليوم الآخر وشعاع نوره مثلا ، ثم قال تعالى ذكره (كلما أضاء لهم) يعني أن البرق كلما أضاء لهم وجعل البرق لإيمانهم مثلا ،

وإنما أراد بذلك أنهم كلما أضاء لهم الإيمان وإضاءتهم لهم أن يروا فيه ما يعجبهم في عاجل دنياهم من النصرة على الأعداء وإصابة الغنائم في المغازي وكثرة الفتوح ومنافعها والثراء في الأموال والسلامة في الأبدان والأهل والأولاد. فذلك إضاءته لهم لأنهم إنما يظهرون بألسنتهم ما يظهرونه من الإقرار ابتغاء ذلك ومدافعة عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم وذراريهم ،

وهم كما وصفهم الله بقوله (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه) ، ويعني بقوله (مشوا فيه) مشوا في ضوء البرق ، وإنما ذلك مثل لإقرارهم على ما وصفنا ، فمعناه كلما رأوا في الإيمان ما يعجبهم في عاجل دنياهم على ما وصفنا ثبتوا عليه وأقاموا فيه ،

كما يمشي السائر في ظلمة الليل وظلمة الصيب الذي وصفه جل ثناؤه إذا برقت فيها بارقة أبصر طريقه فيها (وإذا أظلم) يعني ذهب ضوء البرق عنهم ويعني بقوله (عليهم) على السائرين في الصيب الذي وصف جل ذكره ، وذلك للمنافقين مَثَل ،

ومعنى إظلام ذلك أن المنافقين كلما لم يروا في الإسلام ما يعجبهم في دنياهم عند ابتلاء الله مؤمني عباده بالضراء وتمحيصه إياهم بالشدائد والبلاء من إخفاقهم في مغزاهم وإنالة عدوهم منهم أو إدبار من دنياهم عنهم أقاموا على نفاقهم وثبتوا على ضلالتهم ، كما قام السائر في الصيب الذي وصف جل ذكره إذا أظلم وخفت ضوء البرق فحار في طريقه فلم يعرف منهجه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم)

وإنما خص جل ذكره السمع والأبصار بأنه لو شاء أذهبها من المنافقين دون سائر أعضاء أجسامهم للذي جرى من ذكرها في الآيتين ، أعني قوله (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) وقوله (يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه) ،

فجرى ذكرها في الآيتين على وجه المثل ثم عقب جل ثناؤه ذكر ذلك بأنه لو شاء أذهبه من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم وعيدا من الله لهم كما توعدهم في الآية التي قبلها بقوله (والله محيط بالكافرين) واصفا بذلك جل ذكره نفسه أنه المقتدر عليهم وعلى جمعهم لإحلال سخطه بهم وإنزال نقمته عليهم ومحذرهم بذلك سطوته ومخوفهم به عقوبته ليتقوا بأسه ويسارعوا إليه بالتوبة .

428_ عن ابن عباس (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) لما تركوا من الحق بعد معرفته .

429_ عن الربيع بن أنس قال ثم قال يعني قال الله في أسماعهم يعني أسماع المنافقين وأبصارهم التي عاشوا بها في الناس (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) .

وإنما معنى قوله (لذهب بسمعهم وأبصارهم) [لأذهب سمعهم وأبصارهم ولكن العرب إذا أدخلوا الباء في مثل ذلك قالوا ذهبت ببصره وإذا حذفوا الباء قالوا أذهبت بصره ، كما قال جل ثناؤه (آتنا غداءنا) ، ولو أدخلت الباء في الغداء لقيل ائتنا بغدائنا .

فإن قال لنا قائل وكيف قيل (لذهب بسمعهم) فوحَّد وقال (وأبصارهم) فجمع ؟ وقد علمت أن الخبر في السمع خبر عن سمع جماعة كما الخبر في الأبصار خبر عن أبصار جماعة ؟ قيل قد اختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحويي الكوفة وحد السمع لأنه عنى به المصدر وقصد به الخرق وجمع الأبصار لأنه عنى به الأعين ،

وكان بعض نحويي البصرة يزعم أن السمع وإن كان في لفظ واحد فإنه بمعنى جماعة ، ويحتج في ذلك بقول الله (لا يرتد إليهم طرفهم) يريد لا ترتد إليهم أطرافهم ، وبقوله (ويولون الدبر) يراد به أدبارهم ، وإنما جاز ذلك عندي لأن في الكلام ما يدل على أنه مراد به الجمع فكان فيه دلالة على المراد منه ،

وأداء معنى الواحد من السمع عن معنى جماعة مغنيا عن جماعة ، ولو فعل بالبصر نظير الذي فعل بالسمع أو فعل بالسمع نظير الذي فعل بالأبصار من الجمع والتوحيد كان فصيحا صحيحا لما

ذكرنا من العلة ، كما قال الشاعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا / فإن زمانكم زمن خميص ، فوحد البطن والمراد منه البطون لما وصفنا من العلة .

_ القول في تأويل قوله تعالى (إن الله على كل شيء قدير)

وإنما وصف الله نفسه جل ذكره بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته وأخبرهم أنه بهم محيط وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير ، ثم قال فاتقوني أيها المنافقون واحذروا خداعي وخداع رسولي وأهل الإيمان بي لا أحل بكم نقمتي فإني على ذلك وعلى غيره من الأشياء قدير ، ومعنى قدير قادر كما معنى عليم عالم على ما وصفت فيما تقدم من نظائره من زيادة معنى فعيل على فاعل في المدح والذم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)

فأمر جل ثناؤه الفريقين اللذين أخبر الله عن أحدهما أنه سواء عليهم أأنذروا أم لم ينذروا أنهم لا يؤمنون لطبعه على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم ، وعن الآخر أنه يخادع الله والذين آمنوا بما يبدي بلسانه من قلبه آمنا بالله واليوم الآخر ،

مع استبطانه خلاف ذلك ومرض قلبه وشكه في حقيقة ما يبدي من ذلك وغيرهم من سائر خلقه المكلفين بالاستكانة والخضوع له بالطاعة وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة لأن جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم من آبائهم وأجدادهم وخالق أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم ،

فقال لهم جل ذكره فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم وهو يقدر على ضركم ونفعكم أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضر ، وكان ابن عباس فيما روي لنا عنه يقول في ذلك نظير ما قلنا فيه ،

غير أنه ذكر عنه أنه كان يقول في معنى (اعبدوا ربكم) وحدوا ربكم ، وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن معنى العبادة الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالاستكانة ، والذي أراد ابن عباس إن شاء الله بقوله في تأويل قوله (اعبدوا ربكم) وحدوه أي أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه .

430_ عن ابن عباس قال قال الله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين أي وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم .

431_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم) يقول خلقكم وخلق الذين من قبلكم .

وهذه الآية من أدل دليل على فساد قول من زعم أن تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله ، غير جائز إلا بعد إعطاء الله المكلف المعونة على ما كلفه ، وذلك أن الله أمر من وصفنا بعبادته والتوبة من كفره بعد إخباره عنهم أنهم لا يؤمنون وأنهم عن ضلالتهم لا يرجعون .

_ القول في تأويل قوله تعالى (لعلكم تتقون)

وتأويل ذلك لعلكم تتقون بعبادتكم ربكم الذي خلقكم وطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه وإفرادكم له العبادة لتتقوا سخطه وغضبه أن يحل عليكم وتكونوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم ، وكان مجاهد يقول في تأويل قوله (لعلكم تتقون) تطيعون .

432_ عن مجاهد في قوله (لعلكم تتقون) قال لعلكم تطيعون .

والذي أظن أن مجاهدا أراد بقوله هذا لعلكم أن تتقوا ربكم بطاعتكم إياه وإقلاعكم عن ضلالتكم . فإن قال لنا قائل فكيف قال جل ثناؤه (لعلكم تتقون) أولم يكن عالما بما يصير إليه أمرهم إذا هم عبدوه وأطاعوه حتى قال لهم لعلكم إذا فعلتم ذلك أن تتقوا ، فأخرج الخبر عن عاقبة عبادتهم إياه مخرج الشك ؟

قيل له ذلك على غير المعنى الذي توهمت ، وإنما معنى ذلك (اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم) لتتقوه بطاعته وتوحيده وإفراده بالربوبية والعبادة ، كما قال الشاعر وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا / نكف ووثقتم لنا كل موثق ، فلما كففنا الحرب كانت عهودكم ، كلمح سراب في الفلا متألق ، يريد بذلك قلتم لنا كفوا لنكف وذلك أن لعل في هذا الموضع لو كان شكا لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق .

_ القول في تأويل قوله تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)

وقوله (الذي جعل لكم الأرض فراشا) مردود على الذي الأولى في قوله (اعبدوا ربكم الذي خلقكم) وهما جميعا من نعت (ربكم) فكأنه قال اعبدوا ربكم الخالقكم والخالق الذين من قبلكم الجاعل لكم الأرض فراشا ، يعني بذلك أنه جعل لكم الأرض مهادا وموطئا وقرارا يستقر عليها ،

يذكر ربنا جل ذكره بذلك من قيله زيادة نعمه عندهم وآلائه لديهم ليذكروا أياديه عندهم فينيبوا إلى طاعته تعطفا منه بذلك عليهم ورأفة منه بهم ورحمة لهم من غير ما حاجة منه إلى عبادتهم ولكن ليتم نعمته عليهم ولعلهم يهتدون .

433_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (الذي جعل لكم الأرض فراشا) فهي فراش يمشي عليها وهي المهاد والقرار .

434_ عن قتادة (الذي جعل لكم الأرض فراشا) قال مهادا لكم .

435_ عن الربيع بن أنس (الذي جعل لكم الأرض فراشا) أي مهادا .

_ القول في تأويل قوله تعالى (والسماء بناء)

وإنما سميت السماء سماء لعلوها على الأرض وعلى سكانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء ، ولذلك قيل لسقف البيت سماؤه لأنه فوقه مرتفع عليه ، ولذلك قيل سما فلان لفلان إذا أشرف له وقصد نحوه عاليا عليه ،

كما قال الفرزدق سمونا لنجران اليماني وأهله / ونجران أرض لم تُدَيَّثْ مَقَاوِلُه ، وكما قال نابغة بني ذبيان سمَتْ لي نظرة فرأيت منها / تُحَيْتَ الخِدْرِ واضعةَ القِرَام ، يريد بذلك أشرفت لي نظرة وبدت ، فكذلك السماء سميت للأرض سماء لعلوها وإشرافها عليها .

436_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (والسماء بناء) فبناء السماء على الأرض كهيئة القبة وهي سقف على الأرض .

437_ عن قتادة في قول الله (والسماء بناء) قال جعل السماء سقفا لك .

وإنما ذكر السماء والأرض جل ثناؤه فيما عدد عليهم من نعمه التي أنعمها عليهم لأن منهما أقواتهم وأرزاقهم ومعايشهم وبهما قوام دنياهم ، فأعلمهم أن الذي خلقهما وخلق جميع ما فيهما وما هم فيه من النعم هو المستحق عليهم الطاعة والمستوجب منهم الشكر والعبادة دون الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم)

يعني بذلك أنه أنزل من السماء مطرا فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم وغرسهم ثمرات رزقا لهم غذاء وأقواتا ، فنبههم بذلك على قدرته وسلطانه وذكرهم به آلاءه لديهم وأنه هو الذي خلقهم وهو الذي يرزقهم ويكفلهم دون من جعلوه له ندا وعدلا من الأوثان والآلهة ، ثم زجرهم عن أن يجعلوا له ندا مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم وأنه لا ند له ولا عدل ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق ولا رازق سواه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا)

والأنداد جمع ند والند العدل والمثل ، كما قال حسان بن ثابت أتهجوه ولست له بنِدٍّ ، فشرُّكُمَا لخيركما الفداء ، يعني بقوله ولست له بند لست له بمثل ولا عدل ، وكل شيء كان نظير الشيء وشبيها فهو له ندّ .

438_ عن قتادة (فلا تجعلوا لله أندادا) أي عدلاء .

439_ عن مجاهد (فلا تجعلوا لله أندادا) أي عدلاء .

440_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (فلا تجعلوا لله أندادا) أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله .

441_ عن ابن زيد في قول الله (فلا تجعلوا لله أندادا) قال الأنداد الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له .

442_ عن ابن عباس في قوله (فلا تجعلوا لله أندادا) قال أشباها .

443_ عن عكرمة (فلا تجعلوا لله أندادا) أي تقولوا لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار لولا كلبنا صاح في الدار ونحو ذلك .

فنهاهم الله أن يشركوا به شيئا وأن يعبدوا غيره أو يتخذوا له ندا وعدلا في الطاعة فقال كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ونعمتي التي أنعمتها عليكم ، فكذلك فأفردوا لي الطاعة وأخلصوا لي العبادة ولا تجعلوا لي شريكا وندا من خلقي فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وأنتم تعلمون)

اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية ، فقال بعضهم عني بها جميع المشركين من مشركي العرب وأهل الكتاب ، وقال بعضهم عني بذلك أهل الكتابين التوراة والإنجيل . ذكر من قال عني بها جميع عبدة الأوثان من العرب وكفار أهل الكتابين :

444_ عن ابن عباس قال نزل ذلك في الفريقين جميعا من الكفار والمنافقين ، وإنما عني بقوله (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه .

445_ عن قتادة في قوله (وأنتم تعلمون) أي تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض ثم تجعلون له أندادا .

ذكر من قال عني بذلك أهل الكتابين :

446-447_ عن مجاهد (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) أنه إله واحد في التوراة والإنجيل .

448_ عن مجاهد (وأنتم تعلمون) يقول وأنتم تعلمون أنه لا ند له في التوراة والإنجيل .

وأحسب أن الذي دعا مجاهدا إلى هذا التأويل وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دون غيرهم الظن منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها بجحودها وحدانية ربها وإشراكها معه في العبادة غيره ، وإن ذلك لقول ولكن الله قد أخبر في كتابه عنها أنها كانت تقر بوحدانية غير أنها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها ،

فقال جل ثناؤه (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) ، وقال (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) ،

فالذي هو أولى بتأويل قوله (وأنتم تعلمون) إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانية الله وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم نظير الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين ، ولم يكن في الآية دلالة على أن الله عنى بقوله (وأنتم تعلمون) أحد الحزبين ، بل مَخرج الخطاب بذلك عام للناس كافة لهم ،

لأنه تحدى الناس كلهم بقوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة من أنه يعني بذلك كل مكلف عالم بوحدانية الله وأنه لا شريك له في خلقه يشرك معه في عبادته غيره كائنا من كان من الناس عربيا كان أو أعجميا كاتبا أو أميا ، وإن كان الخطاب لكفار أهل الكتاب الذين كانوا حوالي دار هجرة رسول الله وأهل النفاق منهم وممن بين ظهرانيهم ممن كان مشركا فانتقل إلى النفاق بمقدم رسول الله .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)

وهذا من الله احتجاج لنبيه محمد على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم وكفار أهل الكتاب وضلالهم الذين افتتح بقصصهم قوله جل ثناؤه (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) ، وإياهم يخاطب بهذه الآيات وضرباءهم يعني بها ،

قال الله وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين في شك وهو الريب مما نزلنا على عبدنا محمد من النور والبرهان وآيات الفرقان أنه من عندي وأني الذي أنزلته إليه فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول ، فأتوا بحجة تدفع حجته لأنكم تعلمون أن حجة كل ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوة أن يأتي ببرهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق ،

ومن حجة محمد على صدقه وبرهانه على نبوته وأن ما جاء به من عندي عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم عن أن تأتوا بسورة من مثله ، وإذا عجزتم عن ذلك وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والدراية فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز ،

كما كان برهان من سلف من رسلي وأنبيائي على صدقه وحجته على نبوته من الآيات ما يعجز عن الإتيان بمثله جميع خلقي فيتقرر حينئذ عندكم أن محمدا لم يتقوله ولم يختلقه ، لأن ذلك لو كان منه اختلافا وتقولا لم يعجزوا وجميع خلقه عن الإتيان بمثله ،

لأن محمدا لم يعد أن يكون بشرا مثلكم وفي مثل حالكم في الجسم وبسطة الخلق وذرابة اللسان فيمكن أن يظن به اقتدار على ما عجزتم عنه أو يتوهم منكم عجز عما اقتدر عليه . ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (فأتوا بسورة من مِثله) .

449 _ عن قتادة (فأتوا بسورة من مثله) يعني من مثل هذا القرآن حقا وصدقا لا باطل فيه ولا كذب .

450_ عن قتادة في قوله (فأتوا بسورة من مثله) يقول بسورة مثل هذا القرآن .

451_ عن مجاهد (فأتوا بسورة من مثله) مثل القرآن .

452_ عن مجاهد (فأتوا بسورة من مثله) قال مثله مثل القرآن .

فمعنى قول مجاهد وقتادة اللذين ذكرنا عنهما أن الله جل ذكره قال لمن حاجه في نبيه من الكفار فأتوا بسورة من مثل هذا القرآن من كلامكم أيتها العرب كما أتى به محمد بلغاتكم ومعاني منطقكم . وقد قال قوم آخرون إن معنى قوله (فأتوا بسورة من مثله) [من مثل محمد من البشر لأن محمدا بشر مثلكم .

والتأويل الأول الذي قاله مجاهد وقتادة هو التأويل الصحيح ، لأن الله قال في سورة أخرى (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله) ومعلوم أن السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه ، فيجوز أن يقال فأتوا بسورة مثل محمد ،

فإن قال قائل إنك ذكرت أن الله عنى بقوله (فأتوا بسورة من مثله) من مثل هذا القرآن فهل للقرآن من مثل فيقال ائتوا بسورة من مثله ؟ قيل إنه لم يعن به ائتوا بسورة من مثله في التأليف والمعاني التي باين بها سائر الكلام غيره وإنما عنى ائتوا بسورة من مثله في البيان ، لأن القرآن أنزله الله بلسان عربي ،

فكلام العرب لا شك له مثل في معنى العربية فأما في المعنى الذي باين به القرآن سائر كلام المخلوقين فلا مثل له من ذلك الوجه ولا نظير ولا شبيه ، وإنما احتج الله عليهم لنبيه بما احتج به له عليهم من القرآن إذ ظهر القوم عن أن يأتوا بسورة من مثله في البيان ،

إذ كان القرآن بيانا مثل بيانهم وكلاما نزل بلسانهم ، فقال لهم جل ثناؤه وإن كنتم في ريب من أن ما أنزلت على عبدي من القرآن من عندي فأتوا بسورة من كلامكم الذي هو مثله في العربية إذ كنتم عربا ، وهو بيان نظير بيانكم وكلام شبيه كلامكم ،

فلم يكلفهم جل ثناؤه أن يأتوا بسورة من غير اللسان الذي هو نظير اللسان الذي نزل به القرآن فيقدروا أن يقولوا كلفتنا ما لو أحسناه أتينا به وإنا لا نقدر على الإتيان به لأنا لسنا من أهل اللسان الذي كلفتنا الإتيان به ، فليس لك علينا حجة بهذا لأنا وإن عجزنا عن أن نأتي بمثله من غير ألسنتنا لأنا لسنا بأهله ،

ففي الناس خلق كثير من غير أهل لساننا يقدر على أن يأتي بمثله من اللسان الذي كلفتنا الإتيان به ، ولكنه جل ثناؤه قال لهم ائتوا بسورة مثله ، لأن مثله من الألسن ألسنتكم وأنتم إن كان محمد اختلقه وافتراه إذا اجتمعتم وتظاهرتم على الإتيان بمثل سورة منه من لسانكم وبيانكم أقدر على اختلاقه ووضعه وتأليفه من محمد ،

وإن لم تكونوا أقدر عليه منه فلن تعجزوا وأنتم جميع عما قدر عليه محمد من ذلك وهو وحده إن كنتم صادقين في دعواكم وزعمكم أن محمدا افتراه واختلقه وأنه من عند غيري . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) .

453_ عن ابن عباس (وادعوا شهداءكم من دون الله) يعني أعوانكم على ما أنتم عليه (إن كنتم صادقين) .

454-456_ عن مجاهد (وادعوا شهداءكم) ناس يشهدون .

457_ عن مجاهد قال قوم يشهدون لكم .

458_ عن ابن جريج قال شهداءكم عليها إذا أتيتم بها أنها مثله مثل القرآن .

وذلك قول الله لمن شك من الكفار فيما جاء به محمد وقوله (وادعوا) يعني استنصروا واستعينوا ، كما قال الشاعر فلما التقت فرساننا ورجالهم / دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر ، يعني بقوله دعوا يا لكعب استنصروا كعبا واستعانوا بهم ،

وأما الشهداء فإنها جمع شهيد كالشركاء جمع شريك والخطباء جمع خطيب ، والشهيد يسمى به الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه ، وقد يسمى به المشاهد للشيء كما يقال فلان جليس فلان يعني به مجالسه ونديمه يعني به منادمه ، وكذلك يقال شهيده يعني به مشاهده ،

فإذا كانت الشهداء محتملة أن تكون جمع الشهيد الذي هو منصرف للمعنيين اللذين وصفت فأولى وجهيه بتأويل الآية ما قاله ابن عباس ، وهو أن يكون معناه واستنصروا على أن تأتوا بسورة من مثله أعوانكم وشهداءكم الذين يشاهدونكم ويعاونونكم على تكذيبكم الله ورسوله ويظاهرونكم على كفركم ونفاقكم إن كنتم محقين في جحودكم أن ما جاءكم به محمد اختلاق وافتراء ،

لتمتحنوا أنفسكم وغيركم هل تقدرون على أن تأتوا بسورة من مثله فيقدر محمد على أن يأتي بجميعه من قبل نفسه اختلاقا ، وأما ما قاله مجاهد وابن جريج في تأويل ذلك فلا وجه له ، لأن القوم كانوا على عهد رسول الله أصنافا ثلاثة ، أهل إيمان صحيح وأهل كفر صحيح وأهل نفاق بين ذلك ،

فأهل الإيمان كانوا بالله وبرسوله مؤمنين ، فكان من المحال أن يدعي الكفار أن لهم شهداء على حقيقة ما كانوا يأتون به لو أتوا باختلاق من الرسالة ثم ادعوا أنه للقرآن نظير من المؤمنين ، فأما أهل النفاق والكفر فلا شك أنهم لو دعوا إلى تحقيق الباطل وإبطال الحق لسارعوا إليه مع كفرهم وضلالهم ،

فمن أي الفريقين كانت تكون شهداؤكم لو ادعوا أنهم قد أتوا بسورة من مثل القرآن ؟ ولكن ذلك كما قال جل ثناؤه (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ، فأخبر جل ثناؤه في هذه الآية أن مثل القرآن لا يأتي به الجن والإنس ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيان به وتحداهم بمعنى التوبيخ لهم في سورة البقرة ،

فقال تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) يعني بذلك إن كنتم في شك في صدق محمد فيما جاءكم به من عندي أنه من

عندي فأتوا بسورة من مثله وليستنصر بعضكم بعضا على ذلك إن كنتم صادقين في زعمكم حتى تعلموا أنكم إذا عجزتم عن ذلك أنه لا يقدر على أن يأتي به محمد ولا من البشر أحد ويصح عندكم أنه تنزيلي ووحيي إلى عبدي .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)

يعني تعالى بقوله (فإن لم تفعلوا) إن لم تأتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم أنتم وشركاؤكم عليه وأعوانكم فتبين لكم بامتحانكم واختباركم عجزكم وعجز جميع خلقي عنه وعلمتم أنه من عندي ثم أقمتم على التكذيب به ، وقوله (ولن تفعلوا) أي لن تأتوا بسورة من مثله أبدا .

459_ عن قتادة (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) أي لا تقدرون علي ذلك ولا تطيقونه .

460_ عن ابن عباس (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) فقد بين لكم الحق .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة)

يعني جل ثناؤه بقوله (فاتقوا النار) يقول فاتقوا أن تصلوا النار بتكذيبكم رسولي بما جاءكم به من عندي أنه من وحيي وتنزيلي بعد تبينكم أنه كتابي ومن عندي وقيام الحجة عليكم بأنه كلامي ووحيي بعجزكم وعجز جميع خلقي عن أن يأتوا بمثله ،

ثم وصف جل ثناؤه النار التي حذرهم صليها فأخبرهم أن الناس وقودها وأن الحجارة وقودها ، فقال (التي وقودها الناس والحجارة) يعني بقوله وقودها حطبها ، والعرب تجعله مصدرا وهو اسم إذا فتحت الواو بمنزلة الحطب ،

فإذا ضمت الواو من الوقود كان مصدرا من قول القائل وقدت النار فهي تقد وقودا وقدة ووقدانا ووقدا يراد بذلك أنها التهبت ، فإن قال قائل وكيف خصت الحجارة فقرنت بالناس حتى جعلت لنار جهنم حطبا ؟ قيل إنها حجارة الكبريت وهي أشد الحجارة فيما بلغنا حرا إذا أحميت .

461_ عن ابن مسعود في قوله (وقودها الناس والحجارة) قال هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين .

462 _ عن ابن مسعود في قوله (وقودها الناس والحجارة) قال حجارة الكبريت جعلها الله كما شاء .

463_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار .

464_ عن ابن جريج في قوله (وقودها الناس والحجارة) قال حجارة من كبريت أسود في النار قال وقال لي عمرو بن دينار حجارة أصلب من هذه وأعظم .

465_ عن ابن مسعود قال حجارة من الكبريت خلقها الله عنده كيف شاء وكما شاء .

_ القول في تأويل قوله تعالى (أعدت للكافرين)

قد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن الكافر في كلام العرب هو الساتر شيئا بغطاء وأن الله إنما سمى الكافر كافرا لجحوده آلاءه عنده وتغطيته نعماءه قبله ، فمعنى قوله إذا (أعدت للكافرين) أعدت النار للجاحدين أن الله ربهم المتوحد بخلقهم وخلق الذين من قبلهم ، الذي جعل لهم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم ، المشركين معه في عبادته الأنداد والآلهة وهو المتفرد لهم بالإنشاء والمتوحد بالأقوات والأرزاق .

466_ عن ابن عباس (أعدت للكافرين) أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)

أما قوله تعالى (وبشِّر) فإنه يعني أخبرهم والبشارة أصلها الخبر بما يسر المخبر به إذا كان سابقا به كل مخبر سواه ، وهذا أمر من الله نبيه محمدا بإبلاغ بشارته خلقه الذين آمنوا به وبمحمد وبما جاء به من عند ربه وصدقوا إيمانهم ذلك وإقرارهم بأعمالهم الصالحة ،

فقال له يا محمد بشر من صدقك أنك رسولي وأن ما جئت به من الهدى والنور فمن عندي ، وحقق تصديقه ذلك قولا بأداء الصالح من الأعمال التي افترضتها عليه وأوجبتها في كتابي على لسانك عليه ، أن له جنات تجري من تحتها الأنهار خاصة دون من كذب بك وأنكر ما جئت به من الهدى من عندي وعاندك ودون من أظهر تصديقك وأقر بأن ما جئته به ،

فمن عندي قولا وجحده اعتقادا ولم يحققه عملا فإن لأولئك النار التي وقودها الناس والحجارة معدة عندي . والجنات جمع جنة والجنة البستان ، وإنما عنى جل ذكره بذكر الجنة ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروسها دون أرضها ،

فلذلك قال عز ذكره (تجري من تحتها الأنهار) لأنه معلوم أنه إنما أراد جل ثناؤه الخبر عن ماء أنهارها أنه جار تحت أشجارها وغروسها وثمارها لا أنه جار تحت أرضها ، لأن الماء إذا كان جاريا تحت الأرض فلا حظ فيها لعيون من فوقها إلا بكشف الساتر بينها وبينه على أن الذي توصف به أنهار الجنة أنها جارية في غير أخاديد .

467-468_ عن مسروق بن الأجدع قال نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وماؤها يجري في غير أخدود .

فإذا كان الأمر كذلك في أن أنهارها جارية في غير أخاديد فلا شك أن الذي أريد بالجنات أشجار الجنات وغروسها وثمارها دون أرضها إذ كانت أنهارها تجري فوق أرضها وتحت غروسها وأشجارها على ما ذكره مسروق ، وذلك أولى بصفة الجنة من أن تكون أنهارها جارية تحت أرضها ،

وإنما رغب الله بهذه الآية عباده في الإيمان وحضهم على عبادته ، بما أخبرهم أنه أعده لأهل طاعته والإيمان به عنده ، كما حذرهم في الآية التي قبلها بما أخبر من إعداده ما أعد لأهل الكفر به الجاعلين معه الآلهة والأنداد من عقابه عن إشراك غيره معه والتعرض لعقوبته بركوب معصيته وترك طاعته .

_ القول في تأويل قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها)

يعني بقوله (كلما رزقوا منها) من الجنات والهاء راجعة على الجنات ، وإنما المعني أشجارها فكأنه قال كلما رزقوا من أشجار البساتين التي أعدها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات في جناته من ثمرة من ثمارها رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (هذا الذي رزقنا من قبل) فقال بعضهم تأويل ذلك هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا . ذكر من قال ذلك :

469_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي قالوا (هذا الذي رزقنا من قبل) إنهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا .

470_ عن قتادة قالوا (هذا الذي رزقنا من قبل) [أي في الدنيا .

471_ عن مجاهد قالوا (هذا الذي رزقنا من قبل) يقولون ما أشبهه به .

472_ عن ابن زيد قالوا (هذا الذي رزقنا من قبل) في الدنيا قال (وأتوا به متشابها) يعرفونه .

وقال آخرون بل تأويل ذلك هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا لشدة مشابهة بعض ذلك في اللون والطعم بعضا ، ومن علة قائل هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله .

473_ عن أبي عبيدة قال نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها مثل القلال كلما نزعت منها ثمرة عادت مكانها أخرى .

قالوا فإنما اشتبهت عند أهل الجنة لأن التي عادت نظيرة التي نزعت فأكلت في كل معانيها ، قالوا ولذلك قال الله (وأتوا به متشابها) لاشتباه جميعه في كل معانيه .

وقال بعضهم بل قالوا (هذا الذي رزقنا من قبل) لمشابهته الذي قبله في اللون وإن خالفه في الطعم . ذكر من قال ذلك :

474_ عن يحيى بن أبي كثير قال يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل ، فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف .

وهذا التأويل مذهب من تأول الآية غير أنه يدفع صحته ظاهر التلاوة ، والذي يدل على صحته ظاهر الآية ، ويحقق صحته قول القائلين إن معنى ذلك هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا ، وذلك أن الله قال (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) فأخبر جل ثناؤه أن من قيل أهل الجنة كلما رزقوا من ثمر الجنة رزقا أن يقولوا هذا الذي رزقنا من قبل ،

ولم يخصص بأن ذلك من قيلهم في بعض ذلك دون بعض ، فإذ كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم في كل ما رزقوا من ثمرها فلا شك أن ذلك من قيلهم في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة ،

فإذ كان لا شك أن ذلك من قيلهم في أوله كما هو من قيلهم في وسطه وما يتلوه ، فمعلوم أنه محال أن يكون من قيلهم لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة (هذا الذي رزقنا من قبل) هذا من ثمار الجنة ، وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيره هذا هو الذي رزقناه من قبل ،

إلا أن ينسبهم ذو غرة وضلال إلى قيل الكذب الذي قد طهرهم الله منه ، أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم لأول رزق رزقوه منها من ثمارها ، فيدفع صحة ما أوجب الله صحته بقوله (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) من غير نصب دلالة على أنه معني به حال من أحوال دون حال ،

فقد تبين بما بينا أن معنى الآية كلما رزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا ، فإن سألنا سائل فقال وكيف قال القوم (هذا الذي رزقنا من قبل) والذي رزقوه من قبل قد عدم بأكلهم إياه ؟

وكيف يجوز أن يقول أهل الجنة قولا لا حقيقة له ؟ قيل إن الأمر على غير ما ذهبت إليه في ذلك ، وإنما معناه هذا من النوع الذي رزقناه من قبل هذا من الثمار والرزق ، كالرجل يقول لآخر قد أعد لك فلان من الطعام كذا وكذا من ألوان الطبيخ والشواء والحلوى ،

فيقول المقول له ذاك هذا طعامي في منزلي ، يعني بذلك أن النوع الذي ذكر له صاحبه أنه أعده له من الطعام هو طعامه ، لأن أعيان ما أخبره صاحبه أنه قد أعده له هو طعامه ، بل ذلك مما لا يجوز لسامع سمعه يقول ذلك أن يتوهم أنه أراده أو قصده ،

لأن ذلك خلاف مخرج كلام المتكلم ، وإنما يوجه كلام كل متكلم إلى المعروف في الناس من مخارجه دون المجهول من معانيه ، فكذلك ذلك في قوله (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) إذ كان ما كانوا رزقوه من قبل قد فني وعدم ، فمعلوم أنهم عنوا بذلك هذا من النوع الذي رزقناه من قبل ومن جنسه في السمات والألوان على ما قد بينا من القول في ذلك في كتابنا هذا .

_ القول في تأويل قوله (وأتوا به متشابها)

والهاء في قوله (وأتوا به متشابها) عائدة على الرزق ، فتأويله وأتوا بالذي رزقوا من ثمارها متشابها ، وقد اختلف أهل التأويل في تأويل المتشابه في ذلك ، فقال بعضهم تشابهه أن كله خيار لا رذل فيه . ذكر من قال ذلك :

475_ عن الحسن في قوله (متشابها) قال خيارا كلها لا رذل فيها .

476 _ عن أبي رجاء قال قرأ الحسن آيات من البقرة فأتى على هذه الآية (وأتوا به متشابها) قال ألم تروا إلى ثمار الدنيا كيف ترذلون بعضه ؟ وإن ذلك ليس فيه رذل .

477_ عن الحسن (وأتوا به متشابها) قال يشبه بعضه بعضا ليس فيه من رذل .

478_ عن قتادة (وأتوا به متشابها) أي خيارا لا رذل فيه وإن ثمار الدنيا ينقى منها ويرذل منها وثمار الجنة خيار كله لا يرذل منه شيء .

479_ عن ابن جريج قال ثمر الدنيا منه ما يرذل ومنه نقاوة وثمر الجنة نقاوة كله يشبه بعضه بعضا في الطيب ليس منه مرذول .

وقال بعضهم تشابهه في اللون وهو مختلف في الطعم . ذكر من قال ذلك :

480_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (وأتوا به متشابها) في اللون والمرأى وليس يشبه الطعم .

481_ عن مجاهد (وأتوا به متشابها) مثل الخيار .

482_ عن مجاهد (وأتوا به متشابها) لونه مختلفا طعمه مثل الخيار من القثاء .

483_ عن الربيع بن أنس (وأتوا به متشابها) يشبه بعضه بعضا ويختلف الطعم .

484_ عن مجاهد في قوله (متشابها) قال مشتبها في اللون ومختلفا في الطعم .

وقال بعضهم تشابه في اللون والطعم . ذكر من قال ذلك :

485_ عن مجاهد قوله (متشابها) قال اللون والطعم .

486_ عن مجاهد ويحيى بن سعيد (متشابها) قالا في اللون والطعم .

وقال بعضهم تشابهه تشابه ثمر الجنة وثمر الدنيا في اللون وإن اختلف طعومهما . ذكر من قال ذلك :

487_ عن قتادة (وأتوا به متشابها) قال يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب .

488_ عن عكرمة في قوله (وأتوا به متشابها) قال يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب .

وقال بعضهم لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء . ذكر من قال ذلك :

489 _ عن ابن عباس قال لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء . وقال ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء .

490_ عن ابن عباس قال ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء .

491_ عن عبد الرحمن بن زيد في قوله (وأتوا به متشابها) قال يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح والرمان بالرمان قالوا في الجنة (هذا الذي رزقنا من قبل) في الدنيا (وأتوا به متشابها) يعرفونه وليس هو مثله في الطعم .

وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية تأويل من قال (وأتوا به متشابها) في اللون والمنظر والطعم مختلف يعني بذلك اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا في المنظر واللون مختلفا في الطعم والذوق ، لما قدمنا من العلة في تأويل قوله (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) ، وأن معناه كلما رزقوا من الجنان من ثمرة من ثمارها رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا ،

فأخبر الله عنهم أنهم قالوا ذلك من أجل أنهم أتوا بما أتوا به من ذلك في الجنة متشابها ، يعني بذلك تشابه ما أتوا به في الجنة منه ، والذي كانوا رزقوه في الدنيا في اللون والمرأى والمنظر وإن اختلفا في الطعم والذوق فتباينا ، فلم يكن لشيء مما في الجنة من ذلك نظير في الدنيا ،

وقد دللنا على فساد قول من زعم أن معنى قوله (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) إنما هو قول من أهل الجنة في تشبيههم بعض ثمرات الجنة ببعض ، وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هي الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله (وأتوا به متشابها) ،

لأن الله إنما أخبر عن المعنى الذي من أجله قال القوم (هذا الذي رزقنا من قبل) بقوله (وأتوا به متشابها) ، ويسأل من أنكر ذلك فيزعم أنه غير جائز أن يكون شيء مما في الجنة نظير الشيء مما في الدنيا بوجه من الوجوه ، فيقال له أيجوز أن يكون أسماء ما في الجنة من ثمارها وأطعمتها وأشربتها نظائر أسماء ما في الدنيا منها ؟

فإن أنكر ذلك خالف نص كتاب الله لأن الله إنما عرف عباده في الدنيا ما هو عنده في الجنة بالأسماء التي يسمي بها ما في الدنيا من ذلك ، وإن قال ذلك جائز بل هو كذلك قيل فما أنكرت أن يكون ألوان ما فيها من ذلك نظائر ألوان ما في الدنيا منه بمعنى البياض والحمرة والصفرة وسائر صنوف الألوان ،

وإن تباينت فتفاضلت بفضل حسن المرآة والمنظر ، فكان لما في الجنة من ذلك من البهاء والجمال وحسن المرآة والمنظر خلاف الذي لما في الدنيا منه ، كما كان جائزا ذلك في الأسماء مع

اختلاف المسميات بالفضل في أجسامها ، ثم يعكس عليه القول في ذلك فلن يقول في أحدهما شيئا إلا ألزم في الآخر مثله .

وكان أبو موسى الأشعري يقول في ذلك :

492_ عن أبي موسي الأشعري قال إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغير وتلك لا تغير .

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى قوله (وأتوا به متشابها) أنه متشابه في الفضل أي كل واحد منه له من الفضل في نحوه مثل الذي للآخر في نحوه ، وليس هذا قولا نستجيز التشاغل بالدلالة على فساده لخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل ، وحسب قول بخروجه عن قول أهل العلم دلالة على خطئه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ولهم فيها أزواج مطهرة)

والهاء والميم اللتان في لهم عائدتان على الذين آمنوا وعملوا الصالحات والهاء والألف اللتان في فيها عائدتان على الجنات ، وتأويل ذلك وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات فيها أزواج مطهرة والأزواج جمع زوج وهي امرأة الرجل يقال فلانة زوج فلان وزوجته ،

وأما قوله (مطهرة) فإن تأويله أنهن طهرن من كل أذى وقذى وريبة مما يكون في نساء أهل الدنيا من الحيض والنفاس والغائط والبول والمخاط والبصاق والمني وما أشبه ذلك من الأذى والأدناس والريب والمكاره .

493_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي أما (أزواج مطهرة) فإنهن لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن .

494_ عن ابن عباس قوله (أزواج مطهرة) يقول مطهرة من القذر والأذى .

495-496_ عن مجاهد (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا ولا يمنين ولا يحضن .

497-498_ عن مجاهد في قول الله (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد .

499_ عن مجاهد قال لا يبلن ولا يتغوطن ولا يحضن ولا يلدن ولا يمنين ولا يبزقن .

500_ عن قتادة (ولهم فيها أزواج مطهرة) إي والله من الإثم والأذى .

501_ عن قتادة في قوله (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال طهرهن الله من كل بول وغائط وقذر ومن كل مأثم .

502_ عن قتادة قال مطهرة من الحيض والحبل والأذى .

503_ عن مجاهد قال المطهرة من الحيض والحبل .

504_ عن ابن زيد (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال المطهرة التي لا تحيض ، قال وأزواج الدنيا ليست بمطهرة ، ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام ، قال وكذلك خلقت حواء حتى عصت فلما عصت قال الله إني خلقتك مطهرة وسآدميك كما آدميت هذه الشجرة .

505_ عن الحسن في قوله (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال يقول مطهرة من الحيض .

506_ عن الحسن في قوله (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال من الحيض .

507_ عن عطاء قوله (لهم فيها أزواج مطهرة) قال من الولد والحيض والغائط والبول وذكر أشياء من هذا النحو .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وهم فيها خالدون)

يعني تعالى ذكره بذلك والذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنات خالدون ، فالهاء والميم من قوله (وهم) عائدة على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والهاء والألف في فيها على الجنات وخلودهم فيها دوام بقائهم فيها على ما أعطاهم الله فيها من الحبرة والنعيم المقيم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين)

اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أنزل الله فيه هذه الآية وفي تأويلها . فقال بعضهم :

508_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعني قوله (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) وقوله (أو كصيب من السماء) الآيات الثلاث قال المنافقون الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة) إلى قوله (أولئك هم الخاسرون) .

وقال آخرون :

509_ عن الربيع بن أنس في قوله تعالى (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) قال هذا مثل ضربه الله للدنيا إن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سمنت ماتت ، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن ، إذا امتلئوا من الدنيا ريا أخذهم الله عند ذلك ، ثم تلا (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) الآية .

510_ عن الربيع بن أنس بنحوه إلا أنه قال فإذا خلت آجالهم وانقطعت مدتهم صاروا كالبعوضة تحيا ما جاعت وتموت إذا رويت فكذلك هؤلاء الذين ضرب الله لهم هذا المثل إذا امتلئوا من الدنيا ريا أخذهم الله فأهلكهم فذلك قوله (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) .

وقال آخرون :

511_ عن قتادة قوله (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) أي إن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر منه شيئا ما قل منه أو كثر إن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة ما أراد الله من ذكر هذا ؟ فأنزل الله (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) .

512_ عن قتادة قال لما ذكر الله العنكبوت والذباب قال المشركون ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل الله (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) .

وقد ذهب كل قائل ممن ذكرنا قوله في هذه الآية وفي المعنى الذي نزلت فيه مذهبا ، غير أن أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس ، وذلك أن الله جل ذكره أخبر عباده أنه لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها عقيب أمثال قد تقدمت في هذه السورة ضربها للمنافقين دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها ،

فلأن يكون هذا القول أعني قوله (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما) جوابا لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الأمثال في هذه السورة أحق ، وأولى من أن يكون ذلك جوابا لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال في غيرها من السور ،

فإن قال قائل إنما أوجب أن يكون ذلك جوابا لنكيرهم ما ضرب من الأمثال في سائر السور لأن الأمثال التي ضربها الله لهم ولآلهتهم في سائر السور أمثال موافقة المعنى لما أخبر عنه أنه لا يستحيي أن يضربه مثلا ، إذ كان بعضها تمثيلا لآلهتهم بالعنكبوت وبعضها تشبيها لها في الضعف والمهانة بالذباب ، وليس ذكر شيء من ذلك بموجود في هذه السورة ،

فيجوز أن يقال إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما فإن ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن قول الله (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) إنما هو خبر منه جل ذكره أنه لا يستحيي أن يضرب في الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها ابتلاء بذلك عباده واختبارا منه لهم ليميز به أهل الإيمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر به إضلالا منه به لقوم وهداية منه به لآخرين .

513_ عن مجاهد في قوله (مثلا ما بعوضة) يعني الأمثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون ويعلمون أنها الحق من ربهم ويهديهم الله بهاويضل بها الفاسقين يقول يعرفه المؤمنون فيؤمنون به ويعرفه الفاسقون فيكفرون به .

قال الطبري لا أنه جل ذكره قصد الخبر عن عين البعوضة أنه لا يستحيي من ضرب المثل بها ، ولكن البعوضة لما كانت أضعف الخلق .

514-515_ عن قتادة قال البعوضة أضعف ما خلق الله . وعن ابن جريج نحو ذلك .

ولكن البعوضة لما كانت أضعف الخلق خصها الله بالذكر في القلة ، فأخبر أنه لا يستحيي أن يضرب أقل الأمثال في الحق وأحقرها وأعلاها إلى غير نهاية في الارتفاع ، جوابا منه جل ذكره لمن أنكر من منافقي خلقه ما ضرب لهم من المثل بموقد النار والصيب من السماء على ما نعتهما به من نعتهما ،

فإن قال لنا قائل وأين ذكر نكير المنافقين الأمثال التي وصفت الذي هذا الخبر ، جوابه فنعلم أن القول في ذلك ما قلت ؟ قيل الدلالة على ذلك بينها جل ذكره في قوله (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) ،

وإن القوم الذين ضرب لهم الأمثال في الآيتين المقدمتين اللتين مثل ما عليه المنافقون مقيمون فيهما بموقد النار وبالصيب من السماء على ما وصف من ذلك قبل قوله (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا) قد أنكروا المثل وقالوا (ماذا أراد الله بهذا مثلا) ،

فأوضح خطأ قيلهم ذلك وقبح لهم ما نطقوا به وأخبرهم بحكمهم في قيلهم ما قالوا منه وأنه ضلال وفسوق وأن الصواب والهدى ما قاله المؤمنون دون ما قالوه ، وأما تأويل قوله (إن الله لا يستحيي) فإن بعض المنسوبين إلى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى (إن الله لا يستحيي) إن الله لا يخشى أن يضرب مثلا ،

ويستشهد على ذلك من قوله بقول الله (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ، ويزعم أن معنى ذلك وتستحي الناس والله أحق أن تستحيه فيقول الاستحياء بمعنى الخشية والخشية بمعنى الاستحياء ، وأما معنى قوله (أن يضرب مثلا) فهو أن يبين ويصف كما قال جل ثناؤه (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) بمعنى وصف لكم ،

وكما قال الكميت وذلك ضرب أخماس أريدت / لأسداس عسى أن لا تكونا ، بمعنى وصف أخماس ، والمثل الشبه يقال هذا مثل هذا ومثله ، كما يقال شَبَهه وشِبْهه ، ومنه قول كعب بن زهير كانت مواعيد عرقوب لها / مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل ، يعني شبها ،

فمعنى قوله إذا (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا) إن الله لا يخشى أن يصف شبها لما شبه به ، وأما ما التي مع مثل فإنها بمعنى الذي لأن معنى الكلام إن الله لا يستحيي أن يضرب الذي هو بعوضة في الصغر والقلة فما فوقها مثلا ،

فإن قال لنا قائل فإن كان القول في ذلك كما قلت فما وجه نصب البعوضة وقد علمت أن تأويل الكلام على ما تأولت (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا) الذي هو بعوضة فالبعوضة على قولك في محل الرفع فأنى أتاها النصب ؟ قيل أتاها النصب من وجهين ،

أحدهما أن ما لما كانت في محل نصب بقوله (يضرب) وكانت البعوضة لها صلة أعربت بتعريبها فألزمت إعرابها ، كما قال حسان بن ثابت وكفى بنا فضلا على من غيرنا / حب النبي محمد إيانا ، فعربت غير بإعراب من ، فالعرب تفعل ذلك خاصة في من ، وما تعرب صلاتهما بإعرابهما ، لأنهما يكونان معرفة أحيانا ونكرة أحيانا ،

وأما الوجه الآخر فأن يكون معنى الكلام إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بين بعوضة إلى ما فوقها ثم حذف ذكر بين وإلى إذ كان في نصب البعوضة ، ودخول الفاء في ما الثانية دلالة عليهما ، كما قالت العرب مطرنا ما زبالة فالثعلبية ، وله عشرون ما ناقة فجملا ، وهي أحسن الناس ما قرنا فقدما ، يعنون ما بين قرنها إلى قدمها ،

وكذلك يقولون في كل ما حسن فيه من الكلام دخول ما بين كذا إلى كذا ، ينصبون الأول والثاني ليدل النصب فيهما على المحذوف من الكلام ، فكذلك ذلك في قوله (ما بعوضة فما فوقها) ، وقد زعم بعض أهل العربية أن ما التي مع المثل صلة في الكلام بمعنى التطول وأن معنى الكلام إن الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة مثلا فما فوقها ، فعلى هذا التأويل يجب أن تكون بعوضة منصوبة ب يضرب وأن تكون ما الثانية التي في فما فوقها معطوفة على البعوضة لا على ما .

وأما تأويل قوله (فما فوقها) فما هو أعظم منها عندي لما ذكرنا قبل من قول قتادة وابن جريج أن البعوضة أضعف خلق الله ، فإذا كانت أضعف خلق الله فهي نهاية في القلة والضعف ، وإذ كانت كذلك فلا شك أن ما فوق أضعف الأشياء لا يكون إلا أقوى منه ،

فقد يجب أن يكون المعنى على ما قالاه فما فوقها في العظم والكبر إذ كانت البعوضة نهاية في الضعف والقلة ، وقيل في تأويل قوله (فما فوقها) في الصغر والقلة ، كما يقال في الرجل يذكره الذاكر فيصفه باللؤم والشح ، فيقول السامع نعم وفوق ذاك يعني فوق الذي وصف في الشح واللؤم ،

وهذا قول خلاف تأويل أهل العلم الذين ترتضى معرفتهم بتأويل القرآن ، فقد تبين إذا بما وصفنا أن معنى الكلام إن الله لا يستحيي أن يصف شبها لما شبه به الذي هو ما بين بعوضة إلى ما فوق البعوضة ، فأما تأويل الكلام لو رفعت البعوضة فغير جائز في ما إلا ما قلنا من أن تكون اسما لا صلة بمعنى التطوُّل .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا)

يعني بقوله جل ذكره (فأما الذين آمنوا) فأما الذين صدقوا الله ورسوله وقوله (فيعلمون أنه الحق من ربهم) يعني فيعرفون أن المثل الذي ضربه الله لما ضربه له مثل .

516_ عن الربيع بن أنس (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) أن هذا المثل الحق من ربهم أنه كلام الله ومن عنده .

517_ عن قتادة قوله (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) أي يعلمون أنه كلام الرحمن وأنه الحق من الله (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) .

وقوله (وأما الذين كفروا) يعني الذين جحدوا آيات الله وأنكروا ما عرفوا وستروا ما علموا أنه حق ، وذلك صفة المنافقين وإياهم عنى الله جل وعز ومن كان من نظرائهم وشركائهم من المشركين من أهل الكتاب وغيرهم بهذه الآية ، فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ، كما قد ذكرنا قبل من الخبر الذي رويناه عن مجاهد .

518_ عن مجاهد (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) الآية قال يؤمن بها المؤمنون ويعلمون أنها الحق من ربهم ويهديهم الله بها ويضل بها الفاسقون يقول يعرفه المؤمنون فيؤمنون به ويعرفه الفاسقون فيكفرون به .

وتأويل قوله (ماذا أراد الله بهذا مثلا) ما الذي أراد الله بهذا المثل مثلا ، فذا الذي مع ما في معنى الذي وأراد صلته وهذا إشارة إلى المثل .

_ القول في تأويل قوله تعالى (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا)

يعني بقوله جل وعز (يضل به كثيرا) يضل الله به كثيرا من خلقه والهاء في به من ذكر المثل ، وهذا خبر من الله مبتدأ ، ومعنى الكلام أن الله يضل بالمثل الذي يضربه كثيرا من أهل النفاق والكفر .

519_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (يضل به كثيرا) يعني المنافقين (ويهدي به كثيرا) يعني المؤمنين .

قال الطبري فيزيد هؤلاء ضلالا إلى ضلالهم لتكذيبهم بما قد علموه حقا يقينا من المثل الذي ضربه الله لما ضربه له وأنه لما ضربه له موافق ، فذلك إضلال الله إياهم به (ويهدي به) يعني بالمثل كثيرا من أهل الإيمان والتصديق ، فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيمانا إلى إيمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا أنه موافق ما ضربه الله له مثلا وإقرارهم به وذلك هداية من الله لهم به .

وقد زعم بعضهم أن ذلك خبر عن المنافقين كأنهم قالوا ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد يضل به هذا ويهدي به هذا ، ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله فقال الله (وما يضل به إلا الفاسقين) ، وفيما في سورة المدثر من قول الله (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) ما ينبئ عن أنه في سورة البقرة كذلك مبتدأ ، أعني قوله (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وما يضل به إلا الفاسقين)

وتأويل ذلك :

520_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (وما يضل به إلا الفاسقين) هم المنافقون .

521_ عن قتادة (وما يضل به إلا الفاسقين) فسقوا فأضلهم الله على فسقهم .

522_ عن الربيع بن أنس (وما يضل به إلا الفاسقين) هم أهل النفاق .

وأصل الفسق في كلام العرب الخروج عن الشيء يقال منه فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، ومن ذلك سميت الفأرة فويسقة لخروجها عن جحرها ، فكذلك المنافق والكافر سميا فاسقين لخروجهما عن طاعة ربهما ، ولذلك قال جل ذكره في صفة إبليس (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) يعني به خرج عن طاعته واتباع أمره .

523_ عن ابن عباس في قوله (بما كانوا يفسقون) أي بما بعدوا عن أمري .

فمعنى قوله (وما يضل به إلا الفاسقين) وما يضل الله بالمثل الذي يضربه لأهل الضلال والنفاق إلا الخارجين عن طاعته والتاركين اتباع أمره من أهل الكفر به من أهل الكتاب وأهل الضلال من أهل النفاق .

_ القول في تأويل قوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون)

وهذا وصف من الله جل ذكره الفاسقين الذين أخبر أنه لا يضل بالمثل الذي ضربه لأهل النفاق غيرهم ، فقال (وما يضل) الله بالمثل الذي يضربه على ما وصف قبل في الآيات المتقدمة إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ،

ثم اختلف أهل المعرفة في معنى العهد الذي وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه ، فقال بعضهم هو وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسوله ، ونقضهم ذلك تركهم العمل به ،

وقال آخرون إنما نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم وإياهم عنى الله جل ذكره بقوله (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم) وبقوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) ، فلك ما في هذه الآيات فعذل لهم وتوبيخ إلى انقضاء قصصهم ،

قالوا فعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها واتباع محمد إذا بعث والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم ، ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وإنكارهم ذلك وكتمانهم علم ذلك عن الناس بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه ،

فأخبر الله أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا . وقال بعضهم إن الله عنى بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق وعهده إلى جميعهم في توحيده ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها الشاهدة لهم على صدقهم ،

قالوا ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحته بالأدلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق . وقال آخرون العهد الذي ذكره الله جل ذكره هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصفه في قوله (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم) الآيتين ، ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به .

وأولى الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال إن هذه الآيات نزلت في كفار أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله وما قرب منها من بقايا بني إسرائيل ومن كان على شركه من أهل النفاق الذين قد بينا قصصهم فيما مضى من كتابنا هذا ،

وقد دللنا على أن قول الله (إن الذين كفروا سواء عليهم) وقوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) فيهم أنزلت وفيمن كان على مثل الذي هم عليه من الشرك بالله ، غير أن هذه الآيات عندي وإن كانت فيهم نزلت فإنه معنيٌّ بها كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الضلال ،

ومعني بما وافق منها صفة المنافقين خاصة جميع المنافقين وبما وافق منها صفة كفار أحبار اليهود جميع من كان لهم نظيرا في كفرهم ، وذلك أن الله يعم أحيانا جميعهم بالصفة لتقديمه ذكر جميعها في أول الآيات التي ذكرت قصصهم ،

ويخص أحيانا بالصفة بعضهم لتفصيله في أول الآيات بين فريقيهم ، أعني فريق المنافقين من عبدة الأوثان وأهل الشرك بالله وفريق كفار أحبار اليهود ، فالذين ينقضون عهد الله هم التاركون ما عهد الله إليهم من الإقرار بمحمد وبما جاء به وتبين نبوته للناس الكاتمون بيان ذلك بعد علمهم به وبما قد أخذ الله عليهم في ذلك ،

كما قال الله جل ذكره (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم) ونبذهم ذلك وراء ظهورهم هو نقضهم العهد الذي عهد إليهم في التوراة الذي وصفناه وتركهم العمل به ،

وإنما قلت إنه عنى بهذه الآيات من قلت إنه عنى بها لأن الآيات من ابتداء الآيات الخمس والست من سورة البقرة فيهم نزلت إلى تمام قصصهم ، وفي الآية التي بعد الخبر عن خلق آدم وبيانه في قوله (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) ،

وخطابه إياهم جل ذكره بالوفاء في ذلك خاصة دون سائر البشر ما يدل على أن قوله (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) مقصود به كفارهم ومنافقوهم ومن كان من أشياعهم من مشركي عبدة الأوثان على ضلالهم ،

غير أن الخطاب وإن كان لمن وصفت من الفريقين فداخل في أحكامهم وفيما أوجب الله لهم من الوعيد والذم والتوبيخ كل من كان على سبيلهم ومنهاجهم من جميع الخلق وأصناف الأمم المخاطبين بالأمر والنهي ،

فمعنى الآية إذا وما يضل به إلا التاركين طاعة الله الخارجين عن اتباع أمره ونهيه الناكثين عهود الله التي عهدها إليهم في الكتب التي أنزلها إلى رسله وعلى ألسن أنبيائه باتباع أمر رسوله محمد وما جاء به وطاعة الله فيما افترض عليهم في التوراة من تبيين أمره للناس وإخبارهم إياهم أنهم يجدونه مكتوبا عندهم أنه رسول من عند الله مفترضة طاعته ،

وترك كتمان ذلك لهم ونكثهم ذلك ونقضهم إياه هو مخالفتهم الله في عهده إليهم فيما وصفت أنه عهد إليهم بعد إعطائهم ربهم الميثاق بالوفاء بذلك ، كما وصفهم به جل ذكره بقوله (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق) ،

وأما قوله (من بعد ميثاقه) فإنه يعني من بعد توثق الله فيه بأخذ عهوده بالوفاء له بما عهد إليهم في ذلك ، غير أن التوثق مصدر من قولك توثقت من فلان توثقا والميثاق اسم منه والهاء في الميثاق عائدة على اسم الله ، وقد يدخل في حكم هذه الآية كل من كان بالصفة التي وصف الله بها هؤلاء الفاسقين من المنافقين والكفار في نقض العهد وقطع الرحم والإفساد في الأرض .

524_ عن قتادة قوله (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) فإياكم ونقض هذا الميثاق ، فإن الله قد كره نقضه وأوعد فيه وقدم فيه في آي القرآن حجة وموعظة ونصيحة ، وإنا لا نعلم الله أوعد في ذنب ما أوعد في نقض الميثاق ، فمن أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فليف به لله .

525_ عن الربيع في قوله (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون) فهي ست خلال في أهل النفاق إذا كانت لهم الظهرة أظهروا هذه الخلال الست جميعا ،

إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا اؤتمنوا خانوا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا في الأرض ، وإذا كانت عليهم الظهرة أظهروا الخلال الثلاث إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا اؤتمنوا خانوا .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل)

والذي رغب الله في وصله وذم على قطعه في هذه الآية الرحم وقد بين ذلك في كتابه فقال تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) ، وإنما عنى بالرحم أهل الرجل الذين جمعتهم وإياه رحم والدة واحدة وقطع ذلك ظلمه في ترك أداء ما ألزم الله من حقوقها ،

وأوجب من برها ووصلها أداء الواجب لها إليها من حقوق الله التي أوجب لها والتعطف عليها بما يحق التعطف به عليها ، وأن التي مع يوصل في محل خفض بمعنى ردها على موضع الهاء التي في به ، فكان معنى الكلام ويقطعون الذي أمر الله بأن يوصل والهاء التي في به هي كناية عن ذكر أن يوصل ، وبما قلنا في تأويل قوله (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) وأنه الرحم كان قتادة يقول .

526_ عن قتادة (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) فقطع والله ما أمر الله به أن يوصل بقطيعة الرحم والقرابة .

وقد تأول بعضهم ذلك أن الله ذمهم بقطعهم رسول الله والمؤمنين به وأرحامهم واستشهد على ذلك بعموم ظاهر الآية وأن لا دلالة على أنه معني بها بعض ما أمر الله بوصله دون بعض . وهذا مذهب من تأويل الآية غير بعيد من الصواب ، ولكن الله قد ذكر المنافقين في غير آية من كتابه فوصفهم بقطع الأرحام ، فهذه نظيرة تلك غير أنها وإن كانت كذلك فهي دالة على ذم الله كل قاطع قطع ما أمر الله بوصله رحما كانت أو غيرها .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ويفسدون في الأرض)

وفسادهم في الأرض هو ما تقدم وصفناه قبل من معصيتهم ربهم وكفرهم به وتكذيبهم رسوله وجحدهم نبوته وإنكارهم ما أتاهم به من عند الله أنه حق من عنده .

_ القول في تأويل قوله تعالى (أولئك هم الخاسرون)

والخاسرون جمع خاسر والخاسرون الناقصون أنفسهم حظوظها بمعصيتهم الله من رحمته ، كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه ، فكذلك الكافر والمنافق خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كان إلى رحمته ،

يقال منه خسر الرجل يخسر خسرا وخسرانا وخسارا ، كما قال جرير بن عطية إن سليطا في الخسار / إنه أولاد قوم خُلِقُوا أَقِنَّه ، يعني بقوله في الخسار أي فيما يوكسهم حظوظهم من الشرف والكرم ، وقد قيل إن معنى (أولئك هم الخاسرون) أولئك هم الهالكون ،

وقد يجوز أن يكون قائل ذلك أراد ما قلنا من هلاك الذي وصف الله صفته بالصفة التي وصفه بها في هذه الآية بحرمان الله إياه ما حرمه من رحمته بمعصيته إياه وكفره به ، فحمل تأويل الكلام على معناه دون البيان عن تأويل عين الكلمة بعينها ، فإن أهل التأويل ربما فعلوا ذلك لعلل كثيرة تدعوهم إليه ، وقال بعضهم في ذلك بما :

527_ عن ابن عباس قال كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر فإنما يعني به الكفر وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب .

_ القول في تأويل قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم :

528_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) يقول لم تكونوا شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة .

529_ عن ابن مسعود في قوله (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال هي كالتي في البقرة (كنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) .

530_ عن أبي مالك في قوله (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال خلقتنا ولم نكن شيئا ثم أمتنا ثم أحييتنا .

531 _ عن أبي مالك في قوله (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال كانوا أمواتا فأحياهم الله ثم أماتهم ثم أحياهم .

532_ عن مجاهد في قوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) قال لم تكونوا شيئا حين خلقكم ثم يميتكم الموتة الحق ثم يحييكم وقوله (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) مثلها .

533_ عن ابن عباس قال هو قوله (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) .

534_ عن أبي العالية في قول الله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا) يقول حين لم يكونوا شيئا ثم أحياهم حين خلقهم ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة ثم رجعوا إليه بعد الحياة .

535_ عن ابن عباس في قوله (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال كنتم ترابا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم فهذه إحياءة ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه إحياءة فهما ميتتان وحياتان فهو قوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) .

وقال آخرون :

536_ عن أبي صالح (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) قال يحييكم في القبر ثم يميتكم .

537_ عن قتادة قوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا) الآية قال كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله وخلقهم ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان .

وقال بعضهم :

538 _ عن ابن زيد في قول الله (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق وقرأ (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) حتى بلغ (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) ،

قال فكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق ، قال وانتزع ضلعا من أضلاع آدم القصيرى فخلق منه حواء ذكره عن النبي ، قال وذلك قول الله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة

وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) ، قال وبث منهما بعد ذلك في الأرحام خلقا كثيرا ، وقرأ (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) قال خلقا بعد ذلك ،

قال فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم ثم خلقهم في الأرحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة ، فذلك قول الله (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا) ، وقرأ قول الله (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) قال يومئذ ، وقرأ قول الله (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا) .

ولكل قول من هذه الأقوال التي حكيناها عمن رويناها عنه وجه ومذهب من التأويل ، فأما وجه تأويل من تأول قوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) أي لم تكونوا شيئا ، فإنه ذهب إلى نحو قول العرب للشيء الدارس والأمر الخامل الذكر هذا شيء ميت وهذا أمر ميت ، يراد بوصفه بالموت خمول ذكره ودروس أثره من الناس ،

وكذلك يقال في ضد ذلك وخلافه هذا أمر حي وذكر حي ، يراد بوصفه بذلك أنه نابه متعالم في الناس ، كما قال أبو نخيلة السعدي فأحييت لي ذكري وما كنت خاملا / ولكن بعض الذكر أنبه من بعض ، يريد بقوله فأحييت لي ذكري أي رفعته وشهرته في الناس حتى نبه فصار مذكورا حيا بعد أن كان خاملا ميتا ،

فكذلك تأويل قول من قال في قوله (وكنتم أمواتا) لم تكونوا شيئا أي كنتم خمولا لا ذكر لكم وذلك كان موتكم فأحياكم فجعلكم بشرا أحياء تذكرون وتعرفون ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم كالذي كنتم قبل أن يحييكم من دروس ذكركم وتعفي آثاركم وخمول أموركم ثم يحييكم

بإعادة أجسامكم إلى هيئاتها ونفخ الروح فيها وتصييركم بشرا كالذي كنتم قبل الإماتة لتعارفوا في بعثكم وعند حشركم .

وأما وجه تأويل من تأول ذلك أنه الإماتة التي هي خروج الروح من الجسد فإنه ينبغي أن يكون ذهب بقوله (وكنتم أمواتا) إلى أنه خطاب لأهل القبور بعد إحيائهم في قبورهم ، وذلك معنى بعيد لأن التوبيخ هنالك إنما هو توبيخ على ما سلف وفرط من إجرامهم لا استعتاب واسترجاع ،

وقوله جل ذكره (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا) توبيخ مستعتب عباده وتأنيب مسترجع خلقه من المعاصي إلى الطاعة ومن الضلالة إلى الإنابة ، ولا إنابة في القبور بعد الممات ولا توبة فيها بعد الوفاة .

وأما وجه تأويل قول قتادة ذلك أنهم كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم ، فإنه عنى بذلك أنهم كانوا نطفا لا أرواح فيها فكانت بمعنى سائر الأشياء الموات التي لا أرواح فيها وإحياؤه إياها تعالى ذكره نفخه الأرواح فيها وإماتته إياهم بعد ذلك قبضه أرواحهم وإحياؤه إياهم بعد ذلك نفخ الأرواح في أجسامهم يوم ينفخ في الصور ويبعث الخلق للموعود .

وأما ابن زيد فقد أبان عن نفسه ما قصد بتأويله ذلك وأن الإماتة الأولى عند إعادة الله عباده في أصلاب آبائهم بعد ما أخذهم من صلب آدم ، وأن الإحياء الآخر هو نفخ الأرواح فيهم في بطون أمهاتهم ، وأن الإماتة الثانية هي قبض أرواحهم للعود إلى التراب والمصير في البرزخ إلى اليوم البعث ، وأن الإحياء الثالث هو نفخ الأرواح فيهم لبعث الساعة ونشر القيامة ،

وهذا تأويل إذا تدبره المتدبر وجده خلافا لظاهر قول الله الذي زعم مفسره أن الذي وصفنا من قوله تفسيره ، وذلك أن الله أخبر في كتابه عن الذين أخبر عنهم من خلقه أنهم قالوا (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) ، وزعم ابن زيد في تفسيره أن الله أحياهم ثلاث إحياءات وأماتهم ثلاث إماتات ،

والأمر عندنا وإن كان فيما وصف من استخراج الله جل ذكره من صلب آدم ذريته وأخذه ميثاقه عليهم كما وصف ، فليس ذلك من تأويل هاتين الآيتين ، أعني قوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا) الآية وقوله (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) في شيء ،

لأن أحدا لم يدع أن الله أمات من ذرأ يومئذ غير الإماتة التي صار بها في البرزخ إلى يوم البعث فيكون جائزا أن يوجه تأويل الآية إلى ما وجهه إليه ابن زيد ، وقال بعضهم الموتة الأولى مفارقة نطفة الرجل جسده إلى رحم المرأة فهي ميتة من لدن فراقها جسده إلى نفخ الروح فيها ثم يحييها الله بنفخ الروح فيها فيجعلها بشرا سويا بعد تارات تأتي عليها ،

ثم يميته الميتة الثانية بقبض الروح منه فهو في البرزخ ميت إلى يوم ينفخ في الصور فيرد في جسده روحه فيعود حيا سويا لبعث القيامة فذلك موتتان وحياتان ، وإنما دعا هؤلاء إلى هذا القول لأنهم قالوا موت ذي الروح مفارقة الروح إياه ، فزعموا أن كل شيء من ابن آدم حي ما لم يفارق جسده الحي ذا الروح ،

فكل ما فارق جسده الحي ذا الروح فارقته الحياة فصار ميتا ، كالعضو من أعضائه مثل اليد من يديه والرجل من رجليه لو قطعت وأبينت والمقطوع ذلك منه حي ، كان الذي بان من جسده ميتا

لا روح فيه بفراقه سائر جسده الذي فيه الروح ، قالوا فكذلك نطفته حية بحياته ما لم تفارق جسده ذا الروح فإذا فارقته مباينة له صارت ميتة ،

نظير ما وصفنا من حكم اليد والرجل وسائر أعضائه ، وهذا قول ووجه من التأويل لو كان به قائل من أهل القدوة الذين يرتضى للقرآن تأويلهم . وأولى ما ذكرنا من الأقوال التي بينا بتأويل قول الله جل ذكره (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) الآية القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وعن ابن عباس ،

من أن معنى قوله (وكنتم أمواتا) أموات الذكر خمولا في أصلاب آبائكم نطفا لا تعرفون ولا تذكرون فأحياكم بإنشائكم بشرا سويا حتى ذكرتم وعرفتم وحييتم ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رفاتا لا تعرفون ولا تذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون ،

ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك ، كما قال (ثم إليه ترجعون) لأن الله يحييهم في قبورهم قبل حشرهم ثم يحشرهم لموقف الحساب ، كما قال جل ذكره (يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نُصُبٍ يُوفِضُون) ،

وقال (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) ، والعلة التي من أجلها اخترنا هذا التأويل ما قد قدمنا ذكره للقائلين به وفساد ما خالفه بما قد أوضحناه قبل وهذه الآية توبيخ من الله للقائلين (آمنا بالله وباليوم الآخر) الذين أخبر الله عنهم أنهم مع قيلهم ذلك بأفواههم غير مؤمنين به وأنهم إنما يقولون ذلك خداعا لله وللمؤمنين ،

فعذلهم الله بقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) ووبخهم واحتج عليهم في نكيرهم ما أنكروا من ذلك وجحودهم ما جحدوا بقلوبهم المريضة ، فقال كيف تكفرون بالله فتجحدون قدرته على إحيائكم بعد إماتتكم وإعادتكم بعد إفنائكم وحشركم إليه لمجازاتكم بأعمالكم ،

ثم عدد ربنا عليهم وعلى أوليائهم من أحبار اليهود الذين جمع بين قصصهم وقصص المنافقين في كثير من آي هذه السورة التي افتتح الخبر عنهم فيها بقوله (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) نعمه التي سلفت منه إليهم وإلى آبائهم التي عظمت منهم مواقعها ،

ثم سلب كثيرا منهم كثيرا منها بما ركبوا من الآثام واجترموا من الإجرام وخالفوا من الطاعة إلى المعصية ، يحذرهم بذلك تعجيل العقوبة لهم كالتي عجلها للأسلاف والأفراط قبلهم ويخوفهم حلول مثلاته بساحتهم كالذي أحل بأوليهم ، ويعرفهم ما لهم من النجاة في سرعة الأوبة إليه وتعجيل التوبة من الخلاص لهم يوم القيامة من العقاب ،

فبدأ بعد تعديده عليهم ما عدد من نعمه التي هم فيها مقيمون بذكر أبينا وأبيهم آدم أبي البشر صلوات الله عليه وما سلف منه من كرامته إليه وآلائه لديه وما أحل به وبعدوه إبليس من عاجل عقوبته بمعصيتهما التي كانت منهما ومخالفتهما أمره الذي أمرهما به وما كان من تغمده آدم برحمته إذ تاب وأناب إليه ،

وما كان من إحلاله بإبليس من لعنته في العاجل وإعداده له ما أعد له من العذاب المقيم في الآجل إذ استكبر وأبى التوبة إليه والإنابة ، منبها لهم على حكمه في المنيبين إليه بالتوبة وقضائه في المستكبرين عن الإنابة ، إعذارا من الله بذلك إليهم وإنذارا لهم ليتدبروا آياته وليتذكر منهم أولو الألباب ،

وخاصا أهل الكتاب بما ذكر من قصص آدم وسائر القصص التي ذكرها معها وبعدها مما علمه أهل الكتاب وجهلته الأمة الأمية من مشركي عبدة الأوثان بالاحتجاج عليهم دون غيرهم من سائر أصناف الأمم الذين لا علم عندهم بذلك لنبيه محمد ،

ليعلموا بإخباره إياهم بذلك أنه لله رسول مبعوث وأن ما جاءهم به فمن عنده إذ كان ما اقتص عليهم من هذه القصص من مكنون علومهم ومصون ما في كتبهم وخفي أمورهم التي لم يكن يدعي معرفة علمها غيرهم وغير من أخذ عنهم وقرأ كتبهم ،

وكان معلوما من محمد أنه لم يكن قط كاتبا ولا لأسفارهم تاليا ولا لأحد منهم مصاحبا ولا مجالسا فيمكنهم أن يدعوا أنه أخذ ذلك من كتبهم أو عن بعضهم ، فقال جل ذكره في تعديده عليهم ما هم فيه مقيمون من نعمه مع كفرهم به وتركهم شكره عليها مما يجب له عليهم من طاعته ،

(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) ، فأخبرهم جل ذكره أنه خلق لهم ما في الأرض جميعا لأن الأرض وجميع ما فيها لبني آدم منافع ، أما في الدين فدليل على وحدانية ربهم وأما في الدنيا فمعاش وبلاغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه ،

فلذلك قال جل ذكره (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) ، وقوله هو مَكنِيٌّ من اسم الله جل ذكره عائد على اسمه في قوله (كيف تكفرون بالله) ، ومعنى خلقه ما خلق جل ثناؤه إنشاؤه عينه وإخراجه من حال العدم إلى الوجود ، وما بمعنى الذي ،

فمعنى الكلام إذا كيف تكفرون بالله وقد كنتم نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم بشرا أحياء ثم يميتكم ثم هو محييكم بعد ذلك وباعثكم يوم الحشر للثواب والعقاب ، وهو المنعم عليكم بما خلق لكم في الأرض من معايشكم وأدلتكم على وحدانية ربكم ،

وكيف بمعنى التعجب والتوبيخ لا بمعنى الاستفهام ، كأنه قال ويحكم كيف تكفرون بالله كما قال (فأين تذهبون) ، وحل قوله (وكنتم أمواتا فأحياكم) محل الحال وفيه إضمار قد ولكنها حذفت لما في الكلام من الدليل عليها ،

وذلك أن فعل إذا حلت محل الحال كان معلوما أنها مقتضية قد ، كما قال جل ثناؤه (أو جاءوكم حصرت صدورهم) بمعنى قد حصرت صدورهم ، وكما تقول للرجل أصبحت كثرت ماشيتك تريد قد كثرت ماشيتك ، وبنحو الذي قلنا (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) في قوله (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) كان قتادة يقول .

539_ عن قتادة قوله (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) نعم والله سخر لكم ما في الأرض .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات)

اختلف في تأويل قوله (ثم استوى إلى السماء) فقال بعضهم معنى استوى إلى السماء أقبل عليها ، كما تقول كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى عليَّ يشاتمني واستوى إلي يشاتمني بمعنى أقبل عليَّ وإليَّ يشاتمني ، واستشهد على أن الاستواء بمعنى الإقبال بقول الشاعر أقول وقد قطعن بنا شرورى / سوامدَ واستوين من الضُّجُوع ،

فزعم أنه عنى به أنهن خرجن من الضجوع ، وكان ذلك عنده بمعنى أقبلن ، وهذا من التأويل في هذا البيت خطأ ، وإنما معنى قوله واستوين من الضجوع عندي استوين على الطريق من الضجوع خارجات بمعنى استقمن عليه ،

وقال بعضهم لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحول ولكنه بمعنى فعله كما تقول كان الخليفة في أهل العراق يواليهم ثم تحول إلى الشام إنما يريد تحول فعله ، وقال بعضهم قوله (ثم استوى إلى السماء) يعني به استوت كما قال الشاعر أقول له لما استوى في ترابه على / أي دين قتَّلَ الناس مُصعَبُ ،

وقال بعضهم (ثم استوى إلى السماء) عمد إليها وقال بل كل تارك عملا كان فيه إلى آخره فهو مستو لما عمد ومستو إليه ، وقال بعضهم الاستواء هو العلو والعلو هو الارتفاع ، وممن قال ذلك الربيع بن أنس .

540_ عن الربيع بن أنس (ثم استوى إلى السماء) يقول ارتفع إلى السماء .

ثم اختلف متأولو الاستواء بمعنى العلو والارتفاع في الذي استوى إلى السماء ، فقال بعضهم الذي استوى إلى السماء وعلا عليها هو خالقها ومنشؤها ، وقال بعضهم بل العالي إليها الدخان الذي جعله الله للأرض سماء .

الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه ، منها انتهاء شباب الرجل وقوته فيقال إذا صار كذلك قد استوى الرجل ، ومنها استقامة ما كان فيه أود من الأمور والأسباب يقال منه استوى لفلان أمره

إذا استقام له بعد أود ، ومنه قول الطرماح بن حكيم طال على رَسْمٍ مَهْدَدٍ أبدُهُ / وعفا واستوى به بلدُه ، يعني استقام به ،

ومنها الإقبال على الشيء بالفعل كما يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الإحسان إليه ، ومنها الاحتياز والاستيلاء كقولهم استوى فلان على المملكة بمعنى احتوى عليها وحازها ، ومنها العلو والارتفاع كقول القائل استوى فلان على سريره يعني به علوه عليه .

وأولى المعاني بقول الله (ثم استوى إلى السماء فسواهن) علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات ، والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله (ثم استوى إلى السماء) الذي هو بمعنى العلو والارتفاع ،

هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهم كذلك ، أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها ، إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر ثم لم ينج مما هرب منه ، فيقال له زعمت أن تأويل قوله (استوى) أقبل أفكان مدبرا عن السماء فأقبل إليها ؟

فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير ، قيل له فكذلك فقل علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال ، ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله ، ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولا لقول أهل الحق فيه مخالفا ، وفيما بينا منه ما يشرف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله .

وإن قال لنا قائل أخبرنا عن استواء الله إلى السماء كان قبل خلق السماء أم بعده ؟ قيل بعده وقبل أن يسويهن سبع سموات ، كما قال جل ثناؤه (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) ، والاستواء كان بعد أن خلقها دخانا وقبل أن يسويها سبع سموات ،

وقال بعضهم إنما قال استوى إلى السماء ولا سماء كقول الرجل لآخر اعمل هذا الثوب وإنما معه غزل ، وأما قوله (فسواهن) فإنه يعني هيأهن وخلقهن ودبرهن وقومهن ، والتسوية في كلام العرب التقويم والإصلاح والتوطئة ، كما يقال سوى فلان لفلان هذا الأمر إذا قومه وأصلحه ووطأه له ، فكذلك تسوية الله سمواته تقويمه إياهن على مشيئته وتدبيره لهن على إرادته وتفتيقهن بعد ارتتاقهن .

541_ عن الربيع بن أنس (فسواهن سبع سموات) يقول سوى خلقهن وهو بكل شيء عليم .

وقال جل ذكره (فسواهن) فأخرج مكنيهن مخرج مكني الجمع ، وقد قال قبل (ثم استوى إلى السماء) [فأخرجها على تقدير الواحد وإنما أخرج مكنيهن مخرج مكني الجمع ، لأن السماء جمع واحدها سماوة ، فتقدير واحدتها وجمعها إذا تقدير بقرة وبقر ونخلة ونخل وما أشبه ذلك ،

ولذلك أنثت مرة فقيل هذه سماء وذكرت أخرى ، فقيل (السماء منفطر به) كما يفعل ذلك بالجمع الذي لا فرق بينه وبين واحده غير دخول الهاء وخروجها ، فيقال هذا بقر وهذه بقر وهذا نخل وهذه نخل وما أشبه ذلك ،

وكان بعض أهل العربية يزعم أن السماء واحدة غير أنها تدل على السموات فقيل (فسواهن) يراد بذلك التي ذكرت وما دلت عليه من سائر السموات التي لم تذكر معها ، قال وإنما تذكر إذا ذكرت وهي مؤنثة ، فيقال (السماء منفطر به) كما يذكر المؤنث ،

وكما قال الشاعر فلا مزنة ودقت ودقها / ولا أرض أبقل إبقالها ، وكما قال أعشى بني ثعلبة فإما تري لِمَّتِي بُدِّلَت / فإن الحوادث أزرى بها ، وقال بعضهم السماء وإن كانت سماء فوق سماء وأرضا فوق أرض فهي في التأويل واحدة إن شئت ثم تكون تلك الواحدة جماعا ،

كما يقال ثوب أخلاق وأسمال وبرمة أعشار للمتكسرة وبرمة أكسار وأجبار وأخلاق أي أن نواحيه أخلاق ، فإن قال لنا قائل فإنك قد قلت إن الله استوى إلى السماء وهي دخان قبل أن يسويها سبع سموات ثم سواها سبعا بعد استوائه إليها ، فكيف زعمت أنها جماع ؟ قيل إنهن كن سبعا غير مستويات فلذلك قال جل ذكره فسواهن سبعا .

542 _ عن محمد بن إسحاق فال كان أول ما خلق الله تبارك وتعالى النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا أسود مظلما وجعل النور نهارا مضيئا مبصرا ثم سمك السموات السبع من دخان يقال والله أعلم من دخان الماء حتى استقللن ولم يحبكهن ،

وقد أغطش في السماء الدنيا ليلها وأخرج ضحاها فجرى فيها الليل والنهار وليس فيها شمس ولا قمر ولا نجوم ، ثم دحى الأرض وأرساها بالجبال وقدر فيها الأقوات وبث فيها ما أراد من الخلق ففرغ من الأرض وما قدر فيها من أقواتها في أربعة أيام ،

ثم استوى إلى السماء وهي دخان كما قال فحبكهن وجعل في السماء الدنيا شمسها وقمرها ونجومها وأوحى في كل سماء أمرها فأكمل خلقهن في يومين ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى في اليوم السابع فوق سمواته ثم قال للسموات والأرض (ائتيا طوعا أو كرها) لما أردت بكما فاطمئنا عليه طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين .

فقد أخبر ابن إسحاق أن الله استوى إلى السماء بعد خلقه الأرض وما فيها وهن سبع من دخان فسواهن كما وصف ، وإنما استشهدنا لقولنا الذي قلنا في ذلك بقول ابن إسحاق لأنه أوضح بيانا عن خبر السموات أنهن كن سبعا من دخان قبل استواء ربنا إليها بتسويتها من غيره وأحسن شرحا لما أردنا الاستدلال به ،

من أن معنى السماء التي قال الله فيها (ثم استوى إلى السماء) بمعنى الجمع على ما وصفنا ، وأنه إنما قال جل ثناؤه (فسواهن) إذ كانت السماء بمعنى الجمع على ما بينا . فإن قال لنا قائل فما صفة تسوية الله السموات التي ذكرها في قوله (فسواهن) إذ كن قد خلقن سبعا قبل تسويته إياهن ؟ وما وجه ذكر خلقهن بعد ذكر خلق الأرض ألأنها خلقت قبلها أم بمعنى غير ذلك ؟

قيل قد ذكرنا ذلك في الخبر الذي رويناه عن ابن إسحاق ، ونزيد ذلك توكيدا بما انضم إليه من أخبار بعض السلف المتقدمين وأقوالهم .

543_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) قالوا إن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ،

ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومين في الأحد والإثنين فخلق الأرض على حوت والحوت هو النون الذي ذكره الله في القرآن (ن والقلم) والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض ،

فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الأرض فذلك قوله (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) ، وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء وذلك حين يقول (أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) يقول أنبت شجرها (وقدر فيها أقواتها) يقول أقواتها لأهلها ،

(في أربعة أيام سواء للسائلين) يقول قل لمن يسألك هكذا الأمر (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض (وأوحى في كل سماء أمرها) ،

قال خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش فذلك حين يقول (خلق السموات والأرض في ستة أيام) يقول (كانتا رتقا ففتقناهما) .

544_ عن مجاهد في قوله (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء) قال خلق الأرض قبل السماء فلما خلق الأرض ثار منها دخان فذلك حين يقول (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) قال بعضهن فوق بعض وسبع أرضين بعضهن تحت بعض .

545_ عن قتادة في قوله (فسواهن سبع سموات) قال بعضهن فوق بعض بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام .

546_ عن ابن عباس في قوله حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ثم ذكر السماء قبل الأرض وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الأرض بعد ذلك فذلك قوله (والأرض بعد ذلك دحاها) .

547_ عن عبد الله بن سلام أنه قال إن الله بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين في الأحد والاثنين وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة .

قال أبو جعفر فمعنى الكلام إذا هو الذي أنعم عليكم فخلق لكم ما في الأرض جميعا وسخره لكم تفضلا منه بذلك عليكم ليكون لكم بلاغا في دنياكم ومتاعا إلى موافاة آجالكم ودليلا لكم على وحدانية ربكم ، ثم علا إلى السموات السبع وهي دخان فسواهن وحبكهن وأجرى في بعضهن شمسه وقمره ونجومه وقدر في كل واحدة منهن ما قدر من خلقه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وهو بكل شيء عليم)

يعني بقوله (وهو) [نفسه وبقوله (بكل شيء عليم) أن الذي خلقكم وخلق لكم ما في الأرض جميعا وسوى السموات السبع بما فيهن فأحكمهن من دخان الماء وأتقن صنعهن ، لا يخفى عليه أيها المنافقون والملحدون الكافرون به من أهل الكتاب ما تبدون وما تكتمون في أنفسكم ، وإن أبدى منافقوكم بألسنتهم قولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) ،

وهم على التكذيب به منطوون وكذبت أحباركم بما أتاهم به رسولي من الهدى والنور وهم بصحته عارفون وجحدوا وكتموا ما قد أخذت عليهم ببيانه لخلقي من أمر محمد ونبوته المواثيق وهم به عالمون ، بل أنا عالم بذلك وغيره من أموركم وأمور غيركم إني بكل شيء عليم . وقوله (عليم) بمعنى عالم ، وروي عن ابن عباس أنه كان يقول هو الذي قد كمل في علمه .

548_ عن ابن عباس قال العالم الذي قد كمل في علمه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)

قال أبو جعفر زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن تأويل قوله (وإذ قال ربك) وقال ربك وأن إذ من الحروف الزوائد وأن معناها الحذف ، واعتل لقوله الذي وصفنا عنه في ذلك ببيت الأسود بن يعفر فإذا وذلك لا مَهَاهَ لذكره / والدهر يعقب صالحا بفساد ، ثم قال ومعناها وذلك لا مهاه لذكره ، وببيت عبد مناف بن ربع الهذلي حتى إذا أسلكوهم في قتائدةٍ / شَلًّا كما تطرد الجَمَّالَةَ الشُّرُدَا ، وقال معناه حتى أسلكوهم .

قال أبو جعفر والأمر في ذلك بخلاف ما قال ، وذلك أن إذ حرف يأتي بمعنى الجزاء ويدل على مجهول من الوقت ، وغير جائز إبطال حرف كان دليلا على معنى في الكلام ، إذ سواء قيل قائل هو بمعنى التطول وهو في الكلام دليل على معنى مفهوم وقيل آخر في جميع الكلام الذي نطق به دليلا على ما أريد به وهو بمعنى التطول ،

وليس لمدعي الذي وصفنا قوله في بيت الأسود بن يعفر أن إذا بمعنى التطول وجه مفهوم ، بل ذلك لو حذف من الكلام لبطل المعنى الذي أراده الأسود بن يعفر من قوله فإذا وذلك لا مهاه لذكره ، وذلك أنه أراد بقوله فإذا الذي نحن فيه وما مضى من عيشنا ،

وأشار بقوله ذلك إلى ما تقدم وصفه من عيشه الذي كان فيه لامهاه لذكره يعني لا طعم له ولا فضل لإعقاب الدهر صالح ذلك بفساد ، وكذلك معنى قول عبد مناف بن ربع حتى إذا أسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا ، لو أسقط منه إذا بطل معنى الكلام ،

لأن معناه حتى إذا أسلكوهم في قتائدة سلكوا شلا فدل قوله أسلكوهم شلا على معنى المحذوف ، فاستغني عن ذكره بدلالة إذا عليه فحذف ، كما قد ذكرنا فيما مضى من كتابنا على ما تفعل العرب في نظائر ذلك ، وكما قال النمر بن تولب فإن المنية من يخشها / فسوف تصادفه أينما ، وهو يريد أينما ذهب ،

وكما تقول العرب أتيتك من قبل ومن بعد تريد من قبل ذلك ومن بعد ذلك ، فكذلك ذلك في إذا كما يقول القائل إذا أكرمك أخوك فأكرمه وإذا لا فلا ، يريد وإذا لم يكرمك فلا تكرمه ، ومن ذلك قول الآخر فإذا وذلك لا يضرك ضره / في يوم أسأل نائلا أو أنكد ، نظير ما ذكرنا من المعنى في بيت الأسود بن يعفر ،

وكذلك معنى قول الله (وإذ قال ربك للملائكة) لو أبطلت إذ وحذفت من الكلام لاستحال عن معناه الذي هو به وفيه إذ فإن قال قائل فما معنى ذلك ؟ وما الجالب لإذ إذ لم يكن في الكلام قبله ما يعطف به عليه ؟ قيل له قد ذكرنا فيما مضى أن الله خاطب الذين خاطبهم بقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) بهذه الآيات والتي بعدها ،

موبخهم مقبحا إليهم سوء فعالهم ومقامهم على ضلالهم مع النعم التي أنعمها عليهم وعلى أسلافهم ومذكرهم بتعديد نعمه عليهم وعلى أسلافهم بأسه أن يسلكوا سبيل من هلك من أسلافهم في معصية الله فيسلك بهم سبيلهم في عقوبته ومعرفهم ما كان منه من تعطفه على التائب منهم استعتابا منه لهم ،

فكان مما عدد من نعمه عليهم أنه خلق لهم ما في الأرض جميعا وسخر لهم ما في السموات من شمسها وقمرها ونجومها وغير ذلك من منافعها التي جعلها لهم ولسائر بني آدم معهم منافع ، فكان في قوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) معنى اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم إذ خلقتكم ولم تكونوا شيئا وخلقت لكم ما في الأرض جميعا وسويت لكم ما في السماء ،

ثم عطف بقوله (وإذ قال ربك للملائكة) على المعنى المقتضى بقوله (كيف تكفرون بالله) إذ كان مقتضيا ما وصفت من قوله اذكروا نعمتي إذ فعلت بكم وفعلت واذكروا فعلي بأبيكم آدم إذ قلت للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، فإن قال قائل فهل لذلك من نظير في كلام العرب نعلم به صحة ما قلت ؟ قيل نعم أكثر من أن يحصى ،

من ذلك قول الشاعر أجدك لن ترى بثعيلبات / ولا بيدان ناجية ذمولا ، ولا متدارك والشمس طفل / ببعض نواشغ الوادي حمولا ، فقال ولا متدارك ولم يتقدمه فعل بلفظه يعطف عليه ولا حرف معرب إعرابه فيرد متدارك عليه في إعرابه ، ولكنه لما تقدمه فعل مجحود بلن يدل على المعنى المطلوب في الكلام وعلى المحذوف ،

استغنى بدلالة ما ظهر منه عن إظهار ما حذف وعامل الكلام في المعنى والإعراب معاملته أن لو كان ما هو محذوف منه ظاهرا ، لأن قوله أجدك لن ترى بثعيلبات بمعنى أجدك لست براءٍ ، فرد متداركا على موضع ترى كأن لست والباء موجودتان في الكلام ،

فكذلك قوله (وإذ قال ربك) لما سلف قبله تذكير الله المخاطبين به ما سلف قبلهم وقبل آبائهم من أياديه وآلائه وكان قوله (وإذ قال ربك للملائكة) مع ما بعده من النعم التي عددها عليهم ونبههم على مواقعها رد إذ على موضع (وكنتم أمواتا فأحياكم) ، لأن معنى ذلك اذكروا هذه من نعمي وهذه التي قلت فيها للملائكة ، فلما كانت الأولى مقتضية إذ عطف بإذ على موضعها في الأولى كما وصفنا من قول الشاعر في ولا متدارك .

_ القول في تأويل قوله تعالى (للملائكة)

والملائكة جمع ملك غير أن واحدهم بغير الهمز أكثر وأشهر في كلام العرب منه بالهمز ، وذلك أنهم يقولون في واحدهم ملك من الملائكة فيحذفون الهمز منه ويحركون اللام التي كانت مسكنة لو همز الاسم ، وإنما يحركونها بالفتح لأنهم ينقلون حركة الهمزة التي فيه بسقوطها إلى الحرف الساكن قبلها ،

فإذا جمعوا واحدهم ردوا الجمع إلى الأصل وهمزوا فقالوا ملائكة ، وقد تفعل العرب نحو ذلك كثيرا في كلامها فتترك الهمز في الكلمة التي هي مهموزة فيجري كلامهم بترك همزها في حال وبهمزها في أخرى ، كقولهم رأيت فلانا فجرى كلامهم بهمز رأيت ثم قالوا نرى وترى ويرى ،

فجرى كلامهم في يفعل ونظائرها بترك الهمز حتى صار الهمز معها شاذا مع كون الهمز فيها أصلا ، فكذلك ذلك في ملك وملائكة جرى كلامهم بترك الهمز من واحدهم وبالهمز في جميعهم ، وربما جاء الواحد مهموزا كما قال الشاعر فلست لإنسي ولكن لملأك / تحدر من جو السماء يصوب ،

وقد يقال في واحدهم مألك فيكون ذلك مثل قولهم جبذ وجذب وشأمل وشمأل وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة ، غير أن الذي يجب إذا سمي واحدهم مألك أن يجمع إذ جمع على ذلك مالك ، ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعا ولكنهم قد يجمعون ملائك وملائكة كما يجمع أشعث أشاعث وأشاعثة ومسمع مسامع ومسامعة ،

قال أمية بن أبي الصلت في جمعهم كذلك وفيها من عباد الله قوم / ملائك ذللوا وهم صعاب ، وأصل الملأك الرسالة كما قال عدي بن زيد العباد أبلغ النعمان عني ملأكا أنه / قد طال حبسي وانتظاري ، وقد ينشد مألكا على اللغة الأخرى فمن قال ملأكا فهو مفعل من لأك إليه يلأك إذا أرسل إليه رسالة ملأكة ، ومن قال مألكا فهو مفعل من ألكت إليه آلك إذا أرسلت إليه مألكة وألوكا ،

كما قال لبيد بن ربيعة وغلام أرسلته أمه / بألوك فبذلنا ما سأل ، فهذا من ألكت ومنه قول نابغة بني ذبيان أَلِكْنِي يا عُيينُ إليك قولا / ستهديه الرواة إليك عني ، وقال عبد بني الحسحاس ألكني إليها عمرك الله يا فتى / بآية ما جاءت إلينا تهاديا، يعني بذلك أبلغها رسالتي ، فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت إليه من عباده .

_ القول في تأويل قوله تعالى (إني جاعل في الأرض)

اختلف أهل التأويل في قوله (إني جاعل) فقال بعضهم إني فاعل . ذكر من قال ذلك :

549_ عن الحسن وقتادة قالوا قال الله للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة) قال لهم إني فاعل .

وقال آخرون إني خالق . ذكر من قال ذلك :

550_ عن أبي روق قال كل شيء في القرآن جعل فهو خلق .

قال أبو جعفر والصواب في تأويل قوله (إني جاعل في الأرض خليفة) أي مستخلف في الأرض خليفة ومصير فيها خلفا ، وذلك أشبه بتأويل قول الحسن وقتادة ، وقيل إن الأرض التي ذكرها الله في هذه الآية هي مكة . ذكر من قال ذلك :

551_ عن ابن سابط أن النبي قال دحيت الأرض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت فهي أول من طاف به وهي الأرض التي قال الله (إني جاعل في الأرض خليفة) وكان النبي إذا هلك قومه ونجا هو والصالحون أتى هو ومن معه فعبدوا الله بها حتى يموتوا فإن قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والركن والمقام . (مرسل صحيح)

_ القول في تأويل قوله تعالى (خليفة)

والخليفة الفعيلة من قولك خلف فلان فلانا في هذا الأمر إذا قام مقامه فيه بعده ، كما قال جل ثناؤه (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) يعني بذلك أنه أبدلكم في الأرض منهم فجعلكم خلفاء بعدهم ، ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم خليفة لأنه خلف الذي كان قبله فقام بالأمر مقامه فكان منه خلفا يقال منه خلف الخليفة يخلف خلافة وخليفا .

552_ عن ابن إسحاق (إني جاعل في الأرض خليفة) قال ساكنا وعامرا يسكنها ويعمرها خلقا ليس منكم .

وليس الذي قال ابن إسحاق في معنى الخليفة بتأويلها وإن كان الله إنما أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة يسكنها ولكن معناها ما وصفت قبل ، فإن قال لنا قائل فما الذي كان في الأرض قبل بني آدم لها عامرا فكان بنو آدم بدلا منه وفيها منه خلفا ؟ قيل قد اختلف أهل التأويل في ذلك .

553_ عن ابن عباس قال أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضا ، قال فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ثم خلق آدم فأسكنه إياها فلذلك قال (إني جاعل في الأرض خليفة) .

فعلى هذا القول إني جاعل في الأرض خليفة من الجن يخلفونهم فيها فيسكنونها ويعمرونها .

554_ عن الربيع بن أنس في قوله (إني جاعل في الأرض خليفة) الآية قال إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض .

وقال آخرون في تأويل قوله (إني جاعل في الأرض خليفة) أي خلفا يخلف بعضهم بعضا وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله ، وهذا قول حكي عن الحسن البصري ، ونظير له ما حدثني :

555_ عن ابن سابط في قوله (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) قال يعنون به بني آدم .

556_ عن ابن زيد قال قال الله للملائكة إني أريد أن أخلق في الأرض خلقا وأجعل فيها خليفة وليس لله يومئذ خلق إلا الملائكة والأرض ليس فيها خلق .

وهذا القول يحتمل ما حكي عن الحسن ويحتمل أن يكون أراد ابن زيد أن الله أخبر الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة له يحكم فيها بين خلقه بحكمه ، نظير ما حدثني :

557_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي أن الله قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة) قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا .

فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي ، وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه ، وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله ،

لأنهما أخبرا أن الله قال لملائكته إذ سألوه ما ذاك الخليفة إنه خليفة يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا ، فأضاف الإفساد وسفك الدماء بغير حقها إلى ذرية خليفته دونه وأخرج منه خليفته ،

وهذا التأويل وإن كان مخالفا في معنى الخليفة ما حكي عن الحسن من وجه فموافق له من وجه ، فأما موافقته إياه فصرف متأوليه إضافة الإفساد في الأرض وسفك الدماء فيها إلى غير الخليفة ، وأما مخالفته إياها فإضافتهما الخلافة إلى آدم بمعنى استخلاف الله إياه فيها وإضافة الحسن الخلافة إلى ولده بمعنى خلافة بعضهم بعضا وقيام قرن منهم مقام قرن قبلهم وإضافة الإفساد في الأرض وسفك الدماء إلى الخليفة ،

والذي دعا المتأولين قوله (إني جاعل في الأرض خليفة) في التأويل الذي ذكر عن الحسن إلى ما قالوا في ذلك أنهم قالوا إن الملائكة إنما قالت لربها إذ قال لهم ربهم (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) إخبارا منها بذلك عن الخليفة الذي أخبر الله أنه جاعله في الأرض لا غيره ،

لأن المحاورة بين الملائكة وبين ربها عنه جرت قالوا فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله قد برأ آدم من الإفساد في الأرض وسفك الدماء وطهره من ذلك علم أن الذي عني به غيره من ذريته ، فثبت أن الخليفة الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء هو غير آدم وأنهم ولده الذين فعلوا ذلك وأن معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة قرن منهم قرنا غيرهم لما وصفنا ،

وأغفل قائلو هذه المقالة ومتأولو الآية هذا التأويل سبيل التأويل وذلك أن الملائكة إذ قال لها ربها (إني جاعل في الأرض خليفة) لم تضف الإفساد وسفك الدماء في جوابها ربها إلى خليفته في أرضه بل قالت (أتجعل فيها من يفسد فيها) ، وغير منكر أن يكون ربها أعلمها أنه يكون لخليفته ذلك ذرية يكون منهم الإفساد وسفك الدماء فقالت يا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ كما قال ابن مسعود وابن عباس ومن حكينا ذلك عنه من أهل التأويل .

_ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)

إن قال قائل وكيف قالت الملائكة لربها إذ أخبرها أنه جاعل في الأرض خليفة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ولم يكن آدم بعد مخلوقا ولا ذريته فيعلموا ما يفعلون عيانا ؟ أعلمت الغيب فقالت ذلك أم قالت ما قالت من ذلك ظنا فذلك شهادة منها بالظن وقول بما لا تعلم وذلك ليس من صفتها فما وجه قيلها ذلك لربها ؟

قيل قد قالت العلماء من أهل التأويل في ذلك أقوالا ونحن ذاكرو أقوالهم في ذلك ثم مخبرون بأصحها برهانا وأوضحها حجة ، فروي عن ابن عباس في ذلك ما حدثنا :

558_ عن ابن عباس قال كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الحن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنة ، قال وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي ، قال وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذ ألهبت ،

قال وخلق الإنسان من طين فأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا ، قال فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة وهم هذا الحي الذين يقال لهم الحن فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ،

فلما فعل إبليس ذلك أغتر في نفسه وقال قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد ، قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه فقال الله للملائكة الذين معه (إني جاعل في الأرض خليفة) فقالت الملائكة مجيبين له (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) كما أفسدت الجن وسفكت الدماء وإنما بعثنا عليهم لذلك ،

فقال (إني أعلم ما لا تعلمون) يقول إني قد اطلعت من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره ، قال ثم أمر بتربة آدم فرفعت فخلق الله آدم من طين لازب واللازب اللزج الصلب من حمأ مسنون منتن ، قال وإنما كان حمأ مسنونا بعد التراب ،

فخلق منه آدم بيده فمكث أربعين ليلة جسدا ملقى ، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل أي فيصوت ، قال فهو قول الله (من صلصال كالفخار) يقول كالشيء المنفوخ الذي ليس بمصمت ، قال ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره ويدخل من دبره ويخرج من فيه ثم يقول لست شيئا للصلصلة ولشيء ما خلقت لئن سلطت عليك لأهلكنك ولئن سلطت عليَّ لأعصينك ،

قال فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحما ودما ، فلما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه فذهب لينهض فلم يقدر فهو قول الله (وكان الإنسان عجولا) قال ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء ، قال فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال الحمد لله رب العالمين بإلهام من الله ،

فقال الله له يرحمك الله يا آدم ، ثم قال الله للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر لما كان حدث به نفسه من كبره واغتراره ، فقال لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتني من نار وخلقته من طين ، يقول إن النار أقوى من الطين ،

قال فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله وآيسه من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته ثم علم آدم الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ،

ثم عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة يعني الملائكة الذين كانوا مع إبليس الذين خلقوا من نار السموم وقال لهم (أنبئوني بأسماء هؤلاء) يقول أخبروني بأسماء هؤلاء (إن كنتم صادقين) إن كنتم تعلمون أني لم أجعل في الأرض خليفة ،

قال فلما علمت الملائكة مؤاخذة الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب الذي لا يعلمه غيره الذي ليس لهم به علم قالوا سبحانك تنزيها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره تبنا إليك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، تبريا منهم من علم الغيب إلا ما علمتنا كما علمت آدم ،

فقال (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) يقول أخبرهم بأسمائهم (فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم) أيها الملائكة خاصة (إني أعلم غيب السموات والأرض) ولا يعلمه غيري (وأعلم ما تبدون) يقول ما تظهرون (وما كنتم تكتمون) يقول أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار .

وهذه الرواية عن ابن عباس تنبئ عن أن قول الله (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) خطاب من الله لخاص من الملائكة دون الجميع وأن الذين قيل لهم ذلك من الملائكة كانوا قبيلة إبليس خاصة الذين قاتلوا معه جن الأرض قبل خلق آدم ،

وأن الله إنما خصهم بقيل ذلك امتحانا منه لهم وابتلاء ليعرفهم قصور علمهم وفضل كثير ممن هو أضعف خلقا منهم من خلقه عليهم ، وأن كرامته لا تنال بقوى الأبدان وشدة الأجسام كما ظنه إبليس عدو الله ، ويصرح بأن قيلهم لربهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) كانت هفوة منهم ورجما بالغيب ،

وأن الله أطلعهم على مكروه ما نطقوا به من ذلك ووقفهم عليه حتى تابوا وأنابوا إليه مما قالوا ونطقوا من رجم الغيب بالظنون وتبرءوا إليه أن يعلم الغيب غيره وأظهر لهم من إبليس ما كان منطويا عليه من الكبر الذي قد كان عنهم مستخفيا . وقد روي عن ابن عباس خلاف هذه الرواية وهو ما حدثني :

559_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة ، وكان إبليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره كبر وقال ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي أو قال لمزية لي على الملائكة ،

فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة) ، قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون

ويقتل بعضهم بعضا ، قالوا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون ، يعني من شأن إبليس ،

فبعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني فرجع ولم يأخذ وقال رب إنها عاذت بك فأعذتها ، فبعث الله ميكائيل فعاذت منه فأعاذها فرجع فقال كما قال جبريل ، فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره ، فأخذ من وجه الأرض وخلط ،

فلم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي يلتزق بعضه ببعض ثم ترك حتى أنتن وتغير وذلك حين يقول (من حمأ مسنون) قال منتن ،

ثم قال للملائكة (إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فخلقه الله بيديه لكيلا يتكبر إبليس عليه ليقول له تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه ؟ فخلقه بشرا ، فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه ،

وكان أشدهم منه فزعا إبليس فكان يمر فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار وتكون له صلصلة فذلك حين يقول (من صلصال كالفخار) ويقول لأمر ما خلقت ودخل فيه فخرج من دبره ، فقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأهلكنه ، فلما بلغ الحين الذي يريد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس ،

فقالت له الملائكة قل الحمد لله ، فقال الحمد لله ، فقال له الله رحمك ربك ، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول (خلق الإنسان من عَجَل) ،

فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين أي استكبر وكان من الكافرين ، قال الله له (ما منعك أن تسجد) إذ أمرتك (لما خلقت بيدي) (قال أنا خير منه) لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين ، قال الله له اخرج منها (فما يكون لك) يعني ما ينبغي لك (أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين) والصغار هو الذل ،

قال وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرض الخلق على الملائكة فقال (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، فقالوا له (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) ،

قال الله (يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها) فهذا الذي أبدوا وأعلم ما كنتم تكتمون يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر .

قال أبو جعفر فهذا الخبر أوله مخالف معناه معنى الرواية التي رويت عن ابن عباس من رواية الضحاك التي قد قدمنا ذكرها قبل وموافق معنى آخره معناها ، وذلك أنه ذكر في أوله أن الملائكة سألت ربها ما ذاك الخليفة ؟ حين قال لها (إني جاعل في الأرض خليفة) فأجابها أنه تكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا ،

فقالت الملائكة حينئذ (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فكان قول الملائكة ما قالت من ذلك لربها بعد إعلام الله إياها أن ذلك كائن من ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض ، فذلك معنى خلاف أوله معنى خبر الضحاك الذي ذكرناه ،

وأما موافقته إياه في آخره فهو قولهم في تأويل قوله (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء وأن الملائكة قالت إذ قال لها ربها ذلك تبريا من علم الغيب (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) ،

وهذا إذا تدبره ذو الفهم علم أن أوله يفسد آخره وأن آخره يبطل معنى أوله ، وذلك أن الله إن كان أخبر الملائكة أن ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض تفسد فيها وتسفك الدماء فقالت الملائكة لربها (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فلا وجه لتوبيخها على أن أخبرت عمن أخبرها الله عنه أنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء بمثل الذي أخبرها عنهم ربها ،

فيجوز أن يقال لها فيما طوي عنها من العلوم إن كنتم صادقين فيما علمتم بخبر الله إياكم أنه كائن من الأمور فأخبرتم به فأخبرونا بالذي قد طوى الله عنكم علمه كما قد أخبرتمونا بالذي قد أطلعكم الله عليه ، بل ذلك خلف من التأويل ودعوى على الله ما لا يجوز أن يكون له صفة ،

وأخشى أن يكون بعض نقلة هذا الخبر هو الذي غلط على من رواه عنه من الصحابة وأن يكون التأويل منهم كان على ذلك أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فيما ظننتم أنكم أدركتموه من العلم بخبري إياكم أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء حتى استجزتم أن تقولوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ،

فيكون التوبيخ حينئذ واقعا على ما ظنوا أنهم قد أدركوا بقول الله لهم إنه يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، لا على إخبارهم بما أخبرهم الله به أنه كائن ، وذلك أن الله وإن كان أخبرهم عما يكون من بعض ذرية خليفته في الأرض ما يكون منه فيها من الفساد وسفك الدماء ، فقد كان طوى عنهم الخبر عما يكون من كثير منهم ما يكون من طاعتهم ربهم وإصلاحهم في أرضه وحقن الدماء ورفعه منزلتهم وكرامتهم عليه ،

فلم يخبرهم بذلك فقالت الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) على ظن منها على تأويل هذين الخبرين اللذين ذكرت وظاهرهما أن جميع ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء ، فقال الله لهم إذ علم آدم الأسماء كلها (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أنكم تعلمون أن جميع بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء على ما ظننتم في أنفسكم ،

إنكارا منه جل ثناؤه لقيلهم ما قالوا من ذلك ، على الجميع والعموم وهو من صفة خاص ذرية الخليفة منهم وهذا الذي ذكرناه هو صفة منا لتأويل الخبر ، لا القول الذي نختاره في تأويل الآية ، ومما يدل على ما ذكرنا من توجيه خبر الملائكة عن إفساد ذرية الخليفة وسفكها الدماء على العموم ما حدثنا :

560_ عن عبد الرحمن بن سابط قوله (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) قال يعنون الناس .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا :

561_ عن قتادة قوله (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) فاستخار الملائكة في خلق آدم فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شيء أكره إلى الله من سفك الدماء والفساد في الأرض (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) ،

فكان في علم الله أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة ، قال وذكر لنا أن ابن عباس كان يقول إن الله لما أخذ في خلق آدم قالت الملائكة ما الله خالق خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم منا ، فابتلوا بخلق آدم وكل خلق مبتلى كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة فقال الله (ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) .

وهذا الخبر عن قتادة يدل على أن قتادة كان يرى أن الملائكة قالت ما قالت من قولها (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) على غير يقين علم تقدم منها بأن ذلك كائن ولكن على الرأي منها والظن ، وأن الله أنكر ذلك من قيلها ورد عليها ما رأت بقوله (إني أعلم ما لا تعلمون) من أنه يكون من ذرية ذلك الخليفة الأنبياء والرسل والمجتهد في طاعة الله . وقد روي عن قتادة خلاف هذا التأويل وهو ما حدثنا :

562_ عن قتادة في قوله (أتجعل فيها من يفسد فيها) قال كان الله أعلمهم إذا كان في الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء فذلك قوله (أتجعل فيها من يفسد فيها) .

وبمثل قول قتادة قال جماعة من أهل التأويل منهم الحسن البصري .

563_ عن الحسن وقتادة قالا قال الله لملائكته (إني جاعل في الأرض خليفة) قال لهم إني فاعل فعرضوا برأيهم فعلمهم علما وطوى عنهم علما علمه لا يعلمونه فقالوا بالعلم الذي علمهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ،

وقد كانت الملائكة علمت من علم الله أنه لا ذنب أعظم عند الله من سفك الدماء (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) فلما أخذ في خلق آدم همست الملائكة فيما بينها فقالوا ليخلق ربنا ما شاء أن يخلق فلن يخلق خلقا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه ،

فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا ففضله عليهم فعلموا أنهم ليسوا بخير منه فقالوا إن لم نكن خيرا منه فنحن أعلم منه لأنا كنا قبله وخلقت الأمم قبله ، فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا (فعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أني لا أخلق خلقا إلا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ،

قال ففزع القوم إلى التوبة وإليها يفزع كل مؤمن فقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، لقولهم ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم منا ،

قال علمه اسم كل شيء هذه الجبال وهذه البغال والإبل والجن والوحش وجعل يسمي كل شيء باسمه وعرضت عليه كل أمة فقال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال أما ما أبدوا فقولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وأما ما كتموا فقول بعضهم لبعض نحن خير منه وأعلم .

564_ عن الربيع بن أنس في قوله (إني جاعل في الأرض خليفة) الآية قال إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة ، قال فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض فمن ثمَّ قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية .

565_ عن الربيع بمثله (ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) إلى قوله (إنك أنت العليم الحكيم) قال وذلك حين قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ، قال فلما عرفوا أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا بينهم لن يخلق الله خلقا إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم ،

فأراد الله أن يخبرهم أنه قد فضل عليهم آدم وعلم آدم الأسماء كلها فقال للملائكة (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) إلى قوله (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) ، وكان الذي أبدوا حين (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ، وكان الذي كتموا بينهم قولهم لن يخلق الله خلقا إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم .

566_ عن ابن زيد قال لما خلق الله النار ذعرت منها الملائكة ذعرا شديدا وقالوا ربنا لم خلقت هذه النار ولأي شيء خلقتها ؟ قال لمن عصاني من خلقي ، قال ولم يكن لله خلق يومئذ إلا الملائكة والأرض ليس فيها خلق إنما خلق آدم بعد ذلك ، وقرأ قول الله (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) ،

قال قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ليت ذلك الحين ثم قال قالت الملائكة يا رب أويأتي علينا دهر نعصيك فيه لا يرون له خلقا غيرهم ، قال لا إني أريد أن أخلق في الأرض خلقا وأجعل فيها خليقة يسفكون الدماء ويفسدون في الأرض ، فقالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وقد اخترتنا ؟ فاجعلنا نحن فيها فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونعمل فيها بطاعتك ،

وأعظمت الملائكة أن يجعل الله في الأرض من يعصيه ، فقال إني أعلم ما لا تعلمون يا آدم أنبئهم بأسمائهم فقال فلان وفلان ، قال فلما رأوا ما أعطاه الله من العلم أقروا لآدم بالفضل عليهم وأبى الخبيث إبليس أن يقر له قال (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) . (الجزء المذكور عن عمر ضعيف والأثر صحيح إلي ابن زيد)

567_ عن محمد بن إسحاق قال لما أراد الله أن يخلق آدم بقدرته ليبتليه ويبتلي به لعلمه بما في ملائكته وجميع خلقه وكان أول بلاء ابتليت به الملائكة مما لها فيه ما تحب وما تكره للبلاء والتمحيص لما فيهم مما لم يعلموا وأحاط به علم الله منهم جمع الملائكة من سكان السموات والأرض ،

ثم قال (إني جاعل في الأرض خليفة) يقول عامر أو ساكن يسكنها ويعمرها خلقا ليس منكم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ويعملون بالمعاصي فقالوا جميعا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) لا نعصي ولا نأتي شيئا كرهته ،

قال (إني أعلم ما لا تعلمون) قال إني أعلم فيكم ومنكم ولم يبدها لهم من المعصية والفساد وسفك الدماء وإتيان ما أكره منهم مما يكون في الأرض مما ذكرت في بني آدم ، قال الله لمحمد (ما

كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين) إلى قوله (فقعوا له ساجدين) ،

فذكر لنبيه الذي كان من ذكره آدم حين أراد خلقه ومراجعة الملائكة إياه فيما ذكر لهم منه ، فلما عزم الله على خلق آدم قال للملائكة (إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون) بيدي تكرمة له وتعظيما لأمره وتشريفا له ، حفظت الملائكة عهده ووعوا قوله وأجمعوا الطاعة إلا ما كان من عدو الله إبليس ،

فإنه صمت على ما كان في نفسه من الحسد والبغي والتكبر والمعصية ، وخلق الله آدم من آدمة الأرض من طين لازب من حمأ مسنون بيديه تكرمة له وتعظيما لأمره وتشريفا له على سائر خلقه ، قال ابن إسحاق فيقال والله أعلم خلق الله آدم ثم وضعه ينظر إليه أربعين عاما قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالا كالفخار ولم تمسه نار ،

قال فيقال والله أعلم إنه لما انتهى الروح إلى رأسه عطس فقال الحمد لله ، فقال له ربه يرحمك ربك ، ووقع الملائكة حين استوى سجودا له حفظا لعهد الله الذي عهد إليهم وطاعة لأمره الذي أمرهم به ، وقام عدو الله إبليس من بينهم فلم يسجد مكابرا متعظما بغيا وحسدا ،

فقال له (يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) إلى (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) ، قال فلما فرغ الله من إبليس ومعاتبته وأبى إلا المعصية أوقع عليه اللعنة وأخرجه من الجنة ثم أقبل على آدم وقد علمه الأسماء كلها فقال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ،

قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، أي إنما أجبناك فيما علمتنا فأما ما لم تعلمنا فأنت أعلم به ، فكان ما سمى آدم من شيء كان اسمه الذي هو عليه إلى يوم القيامة .

568_ عن ابن جريج قال إنما تكلموا بما أعلمهم أنه كائن من خلق آدم فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) .

وقال بعضهم إنما قالت الملائكة ما قالت (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) لأن الله أذن لها في السؤال عن ذلك بعد ما أخبرها أن ذلك كائن من بني آدم فسألته الملائكة فقالت على التعجب منها وكيف يعصونك يا رب وأنت خالقهم ، فأجابهم ربهم (إني أعلم ما لا تعلمون) يعني أن ذلك كائن منهم وإن لم تعلموه أنتم ومن بعض من ترونه لي طائعا يعرفهم بذلك قصور علمهم عن علمه .

وقال بعض أهل العربية قول الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها) على غير وجه الإنكار منهم على ربهم وإنما سألوه ليعلموا وأخبروا عن أنفسهم أنهم يسبحون ، وقال قالوا ذلك لأنهم كرهوا أن يعصى الله لأن الجن قد كانت أمرت قبل ذلك فعصت ، وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك ، فكأنهم قالوا يا رب خبرنا مسألة استخبار منهم لله لا على وجه مسألة التوبيخ .

قال أبو جعفر وأولى هذه التأويلات بقول الله مخبرا عن ملائكته قيلها له (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) تأويل من قال إن ذلك منها استخبار لربها

بمعنى أعلمنا يا ربنا أجاعل أنت في الأرض من هذه صفته وتارك أن تجعل خلفاءك منا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ،

لا إنكار منها لما أعلمها ربها أنه فاعل وإن كانت قد استعظمت لما أخبرت بذلك أن يكون لله خلق يعصيه ، وأما دعوى من زعم أن الله كان أذن لها بالسؤال عن ذلك فسألته على وجه التعجب فدعوى لا دلالة عليها في ظاهر التنزيل ولا خبر بها من الحجة يقطع العذر ،

وغير جائز أن يقال في تأويل كتاب الله بما لا دلالة عليه من بعض الوجوه التي تقوم بها الحجة ، وأما وصف الملائكة من وصفت في استخبارها ربها عنه بالفساد في الأرض وسفك الدماء فغير مستحيل فيه ما روي عن ابن عباس وابن مسعود من القول الذي رواه السدي ووافقهما عليه قتادة من التأويل ،

وهو أن الله أخبرهم أنه جاعل في الأرض خليفة تكون له ذرية يفعلون كذا وكذا فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها) على ما وصفت من الاستخبار ، فإن قال لنا قائل وما وجه استخبارها والأمر على ما وصفت من أنها قد أخبرت أن ذلك كائن ؟

قيل وجه استخبارها حينئذ يكون عن حالهم عن وقوع ذلك وهل ذلك منهم ؟ ومسألتهم ربهم أن يجعلهم الخلفاء في الأرض حتى لا يعصوه ، وغير فاسد أيضا ما رواه الضحاك عن ابن عباس وتابعه عليه الربيع بن أنس من أن الملائكة قالت ذلك لما كان عندها من علم سكان الأرض قبل آدم من الجن فقالت لربها أجاعل فيها أنت مثلهم من الخلق يفعلون مثل الذي كانوا يفعلون ،

على وجه الاستعلام منهم لربهم ، لا على وجه الإيجاب أن ذلك كائن كذلك ، فيكون ذلك منها إخبارا عما لم تطلع عليه من علم الغيب ، وغير خطأ أيضا ما قاله ابن زيد من أن يكون قيل الملائكة ما قالت من ذلك على وجه التعجب منها من أن يكون لله خلق يعصي خالقه ،

وإنما تركنا القول بالذي رواه الضحاك عن ابن عباس ووافقه عليه الربيع بن أنس وبالذي قاله ابن زيد في تأويل ذلك لأنه لا خبر عندنا بالذي قالوه من وجه يقطع مجيئه العذر ويلزم سامعه به الحجة ، والخبر عما مضى وما قد سلف لا يدرك علم صحته إلا بمجيئه مجيئا يمتنع منه التشاغب والتواطؤ ويستحيل منه الكذب والخطأ والسهو وليس ذلك بموجود ،

كذلك فيما حكاه الضحاك عن ابن عباس ووافقه عليه الربيع ولا فيما قاله ابن زيد ، فأولى التأويلات إذ كان الأمر كذلك بالآية ما كان عليه من ظاهر التنزيل دلالة مما يصح مخرجه في المفهوم . فإن قال قائل فإن كان أولى التأويلات بالآية هو ما ذكرت من أن الله أخبر الملائكة بأن ذرية خليفته في الأرض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء فمن أجل ذلك قالت الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها) فأين ذكر إخبار الله إياهم في كتابه بذلك ؟

قيل له اكتفى بدلالة ما قد ظهر من الكلام عليه عنه كما قال الشاعر فلا تدفنوني إن دفني محرم / عليكم ولكن خامري أم عامر ، فحذف قوله دعوني للتي يقال لها عند صيدها خامري أم عامر إذ كان فيما أظهر من كلامه دلالة على معنى مراده ، فكذلك ذلك في قوله (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) لما كان فيه دلالة على ما ترك ذكره بعد قوله (إني جاعل في الأرض خليفة) من الخبر عما يكون من إفساد ذريته في الأرض ،

اكتفى بدلالته وحذف فترك ذكره كما ذكرنا من قول الشاعر ، ونظائر ذلك في القرآن وأشعار العرب وكلامها أكثر من أن يحصى ، فلما ذكرنا من ذلك اخترنا ما اخترنا من القول في تأويل قوله (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)

أما قوله (ونحن نسبح بحمدك) فإنه يعني إنا نعظمك بالحمد لك والشكر كما قال جل ثناؤه (فسبح بحمد ربك) وكما قال (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) ، وكل ذكر لله عند العرب فتسبيح وصلاة يقول الرجل منهم قضيت سبحتي من الذكر والصلاة ، وقد قيل إن التسبيح صلاة الملائكة حدثنا :

569_ عن سعيد بن جبير قال كان النبي يصلي فمر رجل من المسلمين على رجل من المنافقين فقال له النبي يصلي وأنت جالس ؟ فقال له امض إلى عملك إن كان لك عمل ، فقال ما أظن إلا سيمر عليك من ينكر عليك ، فمر عليه عمر بن الخطاب فقال له يا فلان النبي يصلي وأنت جالس فقال له مثلها ، فقال هذا من عملي فوثب عليه فضربه حتى انتهى ،

ثم دخل المسجد فصلى مع النبي فلما انفتل النبي قام إليه عمر فقال يا نبي الله مررت آنفا على فلان وأنت تصلي فقلت له النبي يصلي وأنت جالس فقال سر إلى عملك إن كان لك عمل ، فقال النبي فهلا ضربت عنقه ، فقام عمر مسرعا فقال يا عمر ارجع فإن غضبك عز ورضاك حكم ، إن لله في السموات السبع ملائكة يصلون له غنى عن صلاة فلان ، فقال عمر يا نبي الله وما صلاتهم ؟ فلم يرد عليه شيئا ،

فأتاه جبريل فقال يا نبي الله سألك عمر عن صلاة أهل السماء ؟ قال نعم ، فقال اقرأ على عمر السلام وأخبره أن أهل السماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة يقولون سبحان ذي الملك والملكوت ، وأهل السماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت ، وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون سبحان الحي الذي لا يموت .

570_ عن أبي ذر أن رسول الله عاده أو أن أبا ذر عاد النبي فقال يا رسول الله بأبي أنت أي الكلام أحب إلى الله ؟ فقال ما اصطفى الله لملائكته ، سبحان ربي وبحمده سبحان ربي وبحمده . (صحيح)

في أشكال لما ذكرنا من الأخبار كرهنا إطالة الكتاب باستقصائها ، وأصل التسبيح لله عند العرب التنزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه والتبرئة له من ذلك ، كما قال أعشى بني ثعلبة أقول لما جاءني فخره / سبحان من علقمة الفاخر ، يريد سبحان الله من فخر علقمة أي تنزيها لله مما أتى علقمة من الافتخار على وجه النكير منه لذلك .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى التسبيح والتقديس في هذا الموضع ، فقال بعضهم قولهم نسبح بحمدك نصلي لك . ذكر من قال ذلك :

571_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) يقولون نصلي لك .

وقال آخرون (نسبح بحمدك) التسبيح المعلوم . ذكر من قال ذلك :

572_ عن قتادة في قوله (ونحن نسبح بحمدك) قال التسبيح التسبيح .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ونقدس لك)

والتقديس هو التطهير والتعظيم ومنه قولهم سبوح قدوس يعني بقولهم سبوح تنزيه لله وبقولهم قدوس طهارة له وتعظيم ، ولذلك قيل للأرض أرض مقدسة يعني بذلك المطهرة ، فمعنى قول الملائكة إذا (ونحن نسبح بحمدك) ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ونصلي لك ونقدس لك ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك .
وقد قيل إن تقديس الملائكة لربها صلاتها له كما حدثنا :

573_ عن قتادة في قوله (ونقدس لك) قال التقديس الصلاة .

وقال بعضهم نقدس لك نعظمك ونمجدك . ذكر من قال ذلك :

574_ عن أبي صالح في قوله (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) قال نعظمك ونمجدك .

575_ عن مجاهد في قول الله (ونقدس لك) قال نعظمك ونكبرك .

576_ عن ابن إسحاق (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) لا نعصي ولا نأتي شيئا تكرهه .

577_ عن الضحاك في قوله (ونقدس لك) قال التقديس التطهير .

وأما قول من قال إن التقديس الصلاة أو التعظيم فإن معنى قوله ذلك راجع إلى المعنى الذي ذكرناه من التطهير من أجل أن صلاتها لربها تعظيم منها له وتطهير مما ينسبه إليه أهل الكفر به ، ولو قال مكان (ونقدس لك) ونقدسك كان فصيحا من الكلام ، وذلك أن العرب تقول فلان يسبح الله ويقدسه ويسبح لله ويقدس له بمعنى واحد ، وقد جاء بذلك القرآن ، قال الله (كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) ، وقال في موضع آخر (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) .

_ القول في تأويل قوله تعالى (قال إني أعلم ما لا تعلمون)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم يعني بقوله (أعلم ما لا تعلمون) مما اطلع عليه من إبليس وإضماره المعصية لله وإخفائه الكبر مما اطلع عليه تبارك وتعالى منه وخفي على ملائكته . ذكر من قال ذلك :

578_ عن ابن عباس (إني أعلم ما لا تعلمون) يقول إني قد اطلعت من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره .

579_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (إني أعلم ما لا تعلمون) يعني من شأن إبليس .

580-584_ عن مجاهد (إني أعلم ما لا تعلمون) قال علم من إبليس المعصية وخلقه لها .

585_ عن مجاهد في قوله (إني أعلم ما لا تعلمون) قال علم من إبليس كتمانه الكبر أن لا يسجد لآدم .

586_ عن مجاهد في قوله (إني أعلم ما لا تعلمون) قال علم من إبليس المعصية وخلقه لها ، وقال مرة آدم .

587_ عن مجاهد في قوله (إني أعلم ما لا تعلمون) قال علم من إبليس المعصية وخلقه لها وعلم من آدم الطاعة وخلقه لها .

588_ عن ابن إسحاق (إني أعلم ما لا تعلمون) أي فيكم ومنكم ولم يبدها لهم من المعصية والفساد وسفك الدماء .

وقال آخرون معنى ذلك أني أعلم ما لا تعلمون من أنه يكون من ذلك الخليفة أهل الطاعة والولاية لله . ذكر من قال ذلك :

589_ عن قتادة قال (إني أعلم ما لا تعلمون) فكان في علم الله أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة .

وهذا الخبر من الله ينبئ عن أن الملائكة التي قالت (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) استفظعت أن يكون لله خلق يعصيه وعجبت منه إذ أخبرت أن ذلك كائن ، فلذلك قال لهم ربهم (إني أعلم ما لا تعلمون) يعني بذلك والله أعلم إنكم لتعجبون من أمر الله وتستفظعونه وأنا أعلم أنه في بعضكم وتصفون أنفسكم بصفة أعلم خلافها من بعضكم وتعرضون بأمر قد جعلته لغيركم ،

وذلك أن الملائكة لما أخبرها ربها بما هو كائن من ذرية خليفته من الفساد وسفك الدماء قالت لربها يا رب أجاعل أنت في الأرض خليفة من غيرنا يكون من ذريته من يعصيك أم منا ؟ فإنا نعظمك ونصلي لك ونطيعك ولا نعصيك ،

ولم يكن عندها علم بما قد انطوى عليه كشحا إبليس من استكباره على ربه ، فقال لهم ربهم إني أعلم غير الذي تقولون من بعضكم ، وذلك هو ما كان مستورا عنهم من أمر إبليس وانطوائه على ما قد كان انطوى عليه من الكبر وعلى قيلهم ذلك ووصفهم أنفسهم بالعموم من الوصف عوتبوا .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)

590_ عن ابن عباس قال بعث رب العزة ملك الموت فأخذ من أديم الأرض من عذبها ومالحها فخلق منه آدم ومن ثم سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض .

591_ عن علي بن أبي طالب قال إن آدم خلق من أديم الأرض فيه الطيب والصالح والرديء فكل ذلك أنت راء في ولده الصالح والرديء .

592_ عن سعيد بن جبير قال خلق آدم من أديم الأرض فسُمِّيَ آدم .

593_ عن سعيد بن جبير قال إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض .

594_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي إن ملك الموت لما بعث ليأخذ من الأرض تربة آدم أخذ من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ولذلك سمي آدم لأنه أخذ من أديم الأرض .

وقد روي عن رسول الله خبر يحقق ما قال من حكينا قوله في معنى آدم وذلك ما حدثني :

595_ عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب . (صحيح)

فعلى التأويل الذي تأول آدم من تأوله بمعنى أنه خلق من أديم الأرض يجب أن يكون أصل آدم فعلا سمي به أبو البشر كما سمي أحمد بالفعل من الإحماد وأسعد من الإسعاد فلذلك لم يُجَرّ ، ويكون تأويله حينئذ آدم الملك الأرض يعني به بلغ آدمتها وآدمتها وجهها الظاهر لرأي العين ، كما أن جلدة كل ذي جلدة له آدمة ومن ذلك سمي الإدام إداما لأنه صار كالجلدة العليا مما هي منه ثم نقل من الفعل فجعل اسما للشخص بعينه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (الأسماء كلها)

اختلف أهل التأويل في الأسماء التي علمها آدم ثم عرضها على الملائكة ، فقال ابن عباس :

596_ عن ابن عباس قال علم الله آدم الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

597-599_ عن مجاهد في قول الله (وعلم آدم الأسماء كلها) قال علمه اسم كل شيء .

600_ عن مجاهد قال علمه اسم الغراب والحمامة واسم كل شيء .

601_ عن سعيد بن جبير قال علمه اسم كل شيء حتى البعير والبقرة والشاة .

602_ عن ابن عباس قال علمه اسم القصعة والفسوة والفسية .

603_ عن ابن عباس (وعلم آدم الأسماء كلها) قال حتى الفسوة والفسية .

604_ عن ابن عباس في قول الله (وعلم آدم الأسماء كلها) قال علمه اسم كل شيء حتى الهنة والهنية والفسوة والضرطة .

605_ عن ابن عباس قال علمه القصعة من القصيعة والفسوة من الفسية .

606_ عن قتادة قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) حتى بلغ (إنك أنت العليم الحكيم) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فأنبأ كل صنف من الخلق باسمه وألجأه إلى جنسه .

607_ عن قتادة في قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) قال علمه اسم كل شيء ، هذا جبل وهذا بحر وهذا كذا وهذا كذا لكل شيء ، ثم عرض تلك الأشياء على الملائكة فقال (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) .

608_ عن الحسن وقتادة قالا علمه اسم كل شيء هذه الخيل وهذه البغال والإبل والجن والوحش وجعل يسمي كل شيء باسمه .

609_ عن الربيع بن أنس قال اسم كل شيء .

وقال آخرون علم آدم الأسماء كلها أسماء الملائكة . ذكر من قال ذلك :

610_ عن الربيع قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) قال أسماء الملائكة .

وقال آخرون إنما علمه أسماء ذريته كلها . ذكر من قال ذلك :

611_ عن ابن زيد في قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) قال أسماء ذريته أجمعين .

وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دل على صحته ظاهر التلاوة قول من قال في قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) إنها أسماء ذريته وأسماء الملائكة دون أسماء سائر أجناس الخلق ، وذلك أن الله قال (ثم عرضهم على الملائكة) يعني بذلك أعيان المسمين بالأسماء التي علمها آدم ولا تكاد العرب تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة ،

وأما إذا كانت عن أسماء البهائم وسائر الخلق سوى من وصفنا فإنها تكني عنها بالهاء والألف أو بالهاء والنون فقالت عرضهن أو عرضها ، وكذلك تفعل إذا كنت عن أصناف من الخلق كالبهائم

والطير وسائر أصناف الأمم وفيها أسماء بني آدم والملائكة ، فإنها تكني عنها بما وصفنا من الهاء والنون أو الهاء والألف ،

وربما كنت عنها إذ كان كذلك بالهاء والميم ، كما قال جل ثناؤه (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) ، فكنى عنها بالهاء والميم وهي أصناف مختلفة فيها الآدمي وغيره ،

وذلك وإن كان جائزا فإن الغالب المستفيض في كلام العرب ما وصفنا من إخراجهم كناية أسماء أجناس الأمم إذا اختلطت بالهاء والألف أو الهاء والنون ، فلذلك قلت أولى بتأويل الآية أن تكون الأسماء التي علمها آدم أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة ،

وإن كان ما قال ابن عباس جائزا على مثال ما جاء في كتاب الله من قوله (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه) الآية وقد ذكر أنها في حرف ابن مسعود (ثم عرضهن) وأنها في حرف أبي بن كعب (ثم عرضها) ،

ولعل ابن عباس تأول ما تأول من قوله علمه اسم كل شيء حتى الفسوة والفسية على قراءة أبي بن كعب فإنه فيما بلغنا كان يقرأ قراءة أبيّ ، وتأويل ابن عباس على ما حكي عن أبي من قراءته غير مستنكر بل هو صحيح مستفيض في كلام العرب على نحو ما تقدم وصفي ذلك .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة)

قد تقدم ذكرنا التأويل الذي هو أولى بالآية على قراءتنا ورسم مصحفنا وأن قوله (ثم عرضهم) بالدلالة على بني آدم والملائكة أولى منه بالدلالة على أجناس الخلق كلها ، وإن كان غير فاسد أن يكون دالا على جميع أصناف الأمم للعلل التي وصفنا ،

ويعني جل ثناؤه بقوله (ثم عرضهم) ثم عرض أهل الأسماء على الملائكة ، وقد اختلف المفسرون في تأويل قوله (ثم عرضهم على الملائكة) نحو اختلافهم في قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) ، وسأذكر قول من انتهى إلينا عنه فيه قول .

612_ عن ابن عباس (ثم عرضهم على الملائكة) ثم عرض هذه الأسماء يعني أسماء جميع الأشياء التي علمها آدم من أصناف جميع الخلق .

613_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (ثم عرضهم) ثم عرض الخلق على الملائكة .

614_ عن ابن زيد قال أسماء ذريته كلها أخذهم من ظهره ثم عرضهم على الملائكة .

615_ عن قتادة (ثم عرضهم) قال علمه اسم كل شيء ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة .

616_ عن مجاهد (ثم عرضهم) عرض أصحاب الأسماء على الملائكة .

617_ عن مجاهد (ثم عرضهم على الملائكة) يعني عرض الأسماء الحمامة والغراب .

618_ عن الحسن وقتادة قالا علمه اسم كل شيء هذه الخيل وهذه البغال وما أشبه ذلك وجعل يسمي كل شيء باسمه وعرضت عليه أمة أمة .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء)

وتأويل قوله (أنبئوني) أخبروني كما حدثنا :

619_ عن ابن عباس (أنبئوني) يقول أخبروني بأسماء هؤلاء .

ومنه قول نابغة بني ذبيان وأنبأه المنبِّئ أن حيّاً / حُلُولٌ من حرام أو جذام ، يعني بقوله أنبأه أخبره وأعلمه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (بأسماء هؤلاء)

620_ عن مجاهد في قول الله (بأسماء هؤلاء) قال بأسماء هذه التي حدثت بها آدم .

621 _ عن مجاهد (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) يقول بأسماء هؤلاء التي حدثت بها آدم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (إن كنتم صادقين)

اختلف أهل التأويل في ذلك .

622_ عن ابن عباس (إن كنتم صادقين) إن كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة .

623_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (إن كنتم صادقين) أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء .

624_ عن الحسن وقتادة قالا (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أني لم أخلق خلقا إلا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين .

قال أبو جعفر وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ، ومعنى ذلك فقال أنبئوني بأسماء من عرضته عليكم أيتها الملائكة القائلون (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) من غيرنا أم منا ؟ فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، إن كنتم صادقين في قيلكم أني إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني ذريته وأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وإن جعلتكم فيها أطعتموني واتبعتم أمري بالتعظيم لي والتقديس ،

فإنكم إن كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضتهم عليكم من خلقي وهم مخلوقون موجودون ترونهم وتعاينونهم وعلمه غيركم بتعليمي إياه ، فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد بعد وبما هو مستتر من الأمور التي هي موجودة عن أعينكم أحرى أن تكونوا غير عالمين ،

فلا تسألوني ما ليس لكم به علم فإني أعلم بما يصلحكم ويصلح خلقي ، وهذا الفعل من الله بملائكته الذين قالوا له (أتجعل فيها من يفسد فيها) من جهة عتابه جل ذكره إياهم نظير قوله

لنبيه نوح صلوات الله عليه إذ قال (رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) (لا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) ،

فكذلك الملائكة سألت ربها أن تكون خلفاءه في الأرض يسبحوه ويقدسوه فيها إذ كان ذرية من أخبرهم أنه جاعله في الأرض خليفة يفسدون فيها ويسفكون الدماء ، فقال لهم جل ذكره (إني أعلم ما لا تعلمون) يعني بذلك إني أعلم أن بعضكم فاتح المعاصي وخاتمها وهو إبليس منكرا بذلك تعالى ذكره قولهم ،

ثم عرفهم موضع هفوتهم في قيلهم ما قالوا من ذلك بتعريفهم قصور علمهم عما هم له شاهدون عيانا ، فكيف بما لم يروه ولم يخبروا عنه بعرضه ما عرض عليهم من خلقه الموجودين يومئذ ، وقيله لهم (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أنكم إن استخلفتكم في أرضي سبحتموني وقدستموني وإن استخلفت فيها غيركم عصاني ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء ،

فلما اتضح لهم موضع خطأ قيلهم وبدت لهم هفوة زلتهم أنابوا إلى الله بالتوبة فقالوا (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) ، فسارعوا الرجعة من الهفوة وبادروا الإنابة من الزلة ، كما قال نوح حين عوتب في مسألته فقيل له لا تسألن ما ليس لك به علم (رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) ،

وكذلك فعل كل مسدد للحق موفق له سريعة إلى الحق إنابته قريبة إليه أوبته . وقد زعم بعض نحويي أهل البصرة أن قوله (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) لم يكن ذلك لأن الملائكة ادعوا شيئا إنما أخبر الله عن جهلهم بعلم الغيب وعلمه بذلك وفضله فقال أنبئوني إن كنتم صادقين كما يقول الرجل للرجل أنبئني بهذا إن كنت تعلم وهو يعلم أنه لا يعلم يريد أنه جاهل ،

وهذا قول إذا تدبره متدبر علم أن بعضه مفسد بعضا ، وذلك أن قائله زعم أن الله قال للملائكة إذ عرض عليهم أهل الأسماء (أنبئوني بأسماء هؤلاء) وهو يعلم أنهم لا يعلمون ولا هم ادعوا علم شيء يوجب أن يوبخوا بهذا القول ، وزعم أن قوله (إن كنتم صادقين) نظير قول الرجل للرجل أنبئني بهذا إن كنت تعلم وهو يعلم أنه لا يعلم يريد أنه جاهل ،

ولا شك أن معنى قوله إذ كنتم صادقين إنما هو إن كنتم صادقين ، إما في قولكم وإما في فعلكم ، لأن الصدق في كلام العرب إنما هو صدق في الخبر لا في العلم ، وذلك أنه غير معقول في لغة من اللغات أن يقال صدق الرجل بمعنى علم ،

فإذا كان ذلك كذلك فقد وجب أن يكون الله قال للملائكة على تأويل قول هذا الذي حكينا قوله في هذه الآية (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) وهو يعلم أنهم غير صادقين يريد بذلك أنهم كاذبون ، وذلك هو عين ما أنكره ، لأنه زعم أن الملائكة لم تدع شيئا ، فكيف جاز أن يقال لهم إن كنتم صادقين فأنبئوني بأسماء هؤلاء ،

هذا مع خروج هذا القول الذي حكيناه عن صاحبه من أقوال جميع المتقدمين والمتأخرين من أهل التأويل والتفسير . وقد حكي عن بعض أهل التفسير أنه كان يتأول قوله (إن كنتم صادقين) بمعنى إذ كنتم صادقين ، ولو كانت إن بمعنى إذ في هذا الموضع لوجب أن تكون قراءتها بفتح ألفها ، لأن إذ إذا تقدمها فعل مستقبل صارت علة للفعل وسببا له ،

وذلك كقول القائل أقوم إذ قمت فمعناه أقوم من أجل أنك قمت والأمر بمعنى الاستقبال ، فمعنى الكلام لو كانت إن بمعنى إذ أنبئوني بأسماء هؤلاء من أجل أنكم صادقون ، فإذا وضعت إن مكان

ذلك قيل أنبئوني بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين مفتوحة الألف ، وفي إجماع جميع قراء أهل الإسلام على كسر الألف من إن دليل واضح على خطأ تأويل من تأول إن بمعنى إذ في هذا الموضع .

_ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)

وهذا خبر من الله جل ذكره عن ملائكته بالأوبة إليه وتسليم علم ما لم يعلموه له وتبريهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئا إلا ما علمه تعالى ذكره ، وفي هذه الآيات الثلاث العبرة لمن اعتبر والذكرى لمن ادكر والبيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عما أودع الله آي هذا القرآن من لطائف الحكم التي تعجز عن أوصافها الألسن ،

وذلك أن الله احتج فيها لنبيه على من كان بين ظهرانيه من يهود بني إسرائيل بإطلاعه إياه من علوم الغيب التي لم يكن جل ثناؤه أطلع عليها من خلقه إلا خاصا ولم يكن مدركا علمه إلا بالإنباء والإخبار لتتقرر عندهم صحة نبوته ويعلموا أن ما أتاهم به فمن عنده ،

ودل فيها على أن كل مخبر خبرا عما قد كان أو عما هو كائن مما لم يكن ولم يأته به خبر ولم يوضع له على صحته برهان فمتقول ما يستوجب به من ربه العقوبة ، ألا ترى أن الله جل ذكره رد على ملائكته قيلهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) ،

وعرفهم أن قيل ذلك لم يكن جائزا لهم بما عرفهم من قصور علمهم عند عرضه ما عرض عليهم من أهل الأسماء فقال (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) ، فلم يكن لهم مفزع إلا الإقرار بالعجز والتبري إليه أن يعلموا إلا ما علمهم بقولهم (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) ،

فكان في ذلك أوضح الدلالة وأبين الحجة على كذب مقالة كل من ادعى شيئا من علوم الغيب من الحزاة والكهنة والعافة والمنجمة وذكر بها الذين وصفنا أمرهم من أهل الكتاب سوالف نعمه على آبائهم وأياديه عند أسلافهم عند إنابتهم إليه وإقبالهم إلى طاعته مستعطفهم بذلك إلى الرشاد ومستعتبهم به إلى النجاة وحذرهم بالإصرار والتمادي في البغي والضلال حلول العقاب بهم نظير ما أحل بعدوه إبليس إذ تمادى في الغي والخسار .

وأما تأويل قوله (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) فهو كما حدثنا :

625_ عن ابن عباس قالوا (سبحانك) تنزيها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره تبنا إليك لا علم لنا إلا ما علمتنا تبرءوا منهم من علم الغيب إلا ما علمتنا كما علمت آدم .

قال الطبري وسبحان مصدر لا تصرف له ومعناه نسبحك كأنهم قالوا نسبحك تسبيحا وننزهك تنزيها ونبرئك من أن نعلم شيئا غير ما علمتنا .

_ القول في تأويل قوله تعالى (إنك أنت العليم الحكيم)

وتأويل ذلك إنك أنت يا ربنا العليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما وهو كائن والعالم للغيوب دون جميع خلقك ، وذلك أنهم نفوا عن أنفسهم بقولهم (لا علم لنا إلا ما علمتنا) أن يكون لهم علم إلا ما علمهم ربهم وأثبتوا ما نفوا عن أنفسهم من ذلك لربهم بقولهم (إنك أنت العليم) يعنون بذلك العالم من غير تعليم إذ كان من سواك لا يعلم شيئا إلا بتعليم غيره إياه والحكيم هو ذو الحكمة .

626_ عن ابن عباس (العليم) الذي قد كمل في علمه و(الحكيم) الذي قد كمل في حكمه .

قال الطبري وقد قيل إن معنى الحكيم الحاكم كما أن العليم بمعنى العالم والخبير بمعنى الخابر .

_ القول في تأويل قوله تعالى (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)

قال أبو جعفر إن الله عرف ملائكته الذين سألوه أن يجعلهم الخلفاء في الأرض ووصفوا أنفسهم بطاعته والخضوع لأمره دون غيرهم الذين يفسدون فيها ويسفكون الدماء أنهم من الجهل بمواقع تدبيره ومحل قضائه قبل إطلاعه إياهم عليه ، على نحو جهلهم بأسماء الذين عرضهم عليهم ،

إذ كان ذلك مما لم يعلمهم فيعلموه وأنهم وغيرهم من العباد لا يعلمون من العلم إلا ما علمهم إياه ربهم وأنه يخص بما شاء من العلم من شاء من الخلق ويمنعه منهم من شاء ، كما علم آدم أسماء ما عرض على الملائكة ومنعهم من علمها إلا بعد تعليمه إياهم .

فأما تأويل قوله (قال يا آدم أنبئهم) يقول أخبر الملائكة ، والهاء والميم في قوله (أنبئهم) عائدتان على الملائكة ، وقوله (بأسمائهم) يعني بأسماء الذين عرضهم على الملائكة ، والهاء والميم اللتان في أسمائهم كناية عن ذكر هؤلاء التي في قوله (أنبئوني بأسماء هؤلاء) ،

(فلما أنبأهم) يقول فلما أخبر آدم الملائكة بأسماء الذين عرضهم عليهم فلم يعرفوا أسماءهم وأيقنوا خطأ قيلهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ،

وأنهم قد هفوا في ذلك وقالوا ما لا يعلمون كيفية وقوع قضاء ربهم في ذلك لو وقع على ما نطقوا به قال لهم ربهم (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) ، والغيب هو ما غاب عن أبصارهم فلم يعاينوه ، توبيخا من الله لهم بذلك على ما سلف من قيلهم وفرط منهم من خطأ مسألتهم .

627_ عن ابن عباس (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم) يقول أخبرهم بأسمائهم (فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم) أيها الملائكة خاصة (إني أعلم غيب السموات والأرض) ولا يعلمه غيري .

628_ عن ابن زيد قال في قصة الملائكة وآدم فقال الله للملائكة كما لم تعلموا هذه الأسماء فليس لكم علم إنما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها هذا عندي قد علمته فكذلك أخفيت عنكم أني أجعل فيها من يعصيني ومن يطيعني ، قال وسبق من الله (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) ، قال ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه ، قال فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا لآدم بالفضل .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

629_ عن ابن عباس (وأعلم ما تبدون) يقول ما تظهرون (وما كنتم تكتمون) يقول أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار .

630_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قالوا قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها) فهذا الذي أبدوا (وما كنتم تكتمون) يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكِبر .

631_ عن سعيد بن جبير قوله (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال ما أسر إبليس في نفسه .

632_ عن سفيان في قوله (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال ما أسر إبليس في نفسه من الكبر أن لا يسجد لآدم .

633_ عن مهدي بن ميمون قال سمعت الحسن بن دينار قال للحسن ونحن جلوس عنده في منزله يا أبا سعيد أرأيت قول الله للملائكة (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) ما الذي كتمت الملائكة ؟ فقال الحسن إن الله لما خلق آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فكأنهم دخلهم من ذلك شيء فأقبل بعضهم إلى بعض وأسروا ذلك بينهم فقالوا وما يهمكم من هذا المخلوق ، إن الله لم يخلق خلقا إلا كنا أكرم عليه منه .

634_ عن قتادة في قوله (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال أسروا بينهم فقالوا يخلق الله ما يشاء أن يخلق فلن يخلق خلقا إلا ونحن أكرم عليه منه .

635_ عن الربيع بن أنس (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) فكان الذي أبدوا حين قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها) وكان الذي كتموا بينهم قولهم لن يخلق ربنا خلقا إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم .

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس وهو أن معنى قوله (وأعلم ما تبدون) وأعلم مع علمي غيب السموات والأرض ما تظهرون بألسنتكم (وما كنتم تكتمون) وما كنتم تخفونه في أنفسكم ، فلا يخفى عليَّ شيء ، سواء عندي سرائركم وعلانيتكم ،

والذي أظهروه بألسنتهم ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه وهو قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ، والذي كانوا يكتمونه ما كان منطويا عليه إبليس من الخلاف على الله في أمره والتكبر عن طاعته ،

لأنه لا خلاف بين جميع أهل التأويل أن تأويل ذلك غير خارج من أحد الوجهين اللذين وصفت وهو ما قلنا ، والآخر ما ذكرنا من قول الحسن وقتادة ومن قال إن معنى ذلك كتمان الملائكة بينهم لن يخلق الله خلقا إلا كنا أكرم عليه منه ،

فإذ كان لا قول في تأويل ذلك إلا أحد القولين اللذين وصفت ثم كان أحدهما غير موجودة على صحته الدلالة من الوجه الذي يجب التسليم له صح الوجه الآخر ، فالذي حكي عن الحسن وقتادة ومن قال بقولهما في تأويل ذلك غير موجودة الدلالة على صحته من الكتاب ولا من خبر يجب به حجة ،

والذي قاله ابن عباس يدل على صحته خبر الله عن إبليس وعصيانه إياه إذ دعاه إلى السجود لآدم فأبى واستكبر وإظهاره لسائر الملائكة من معصيته وكبره ما كان له كاتما قبل ذلك ، فإن ظن ظانٌّ أن الخبر عن كتمان الملائكة ما كانوا يكتمونه لما كان خارجا مخرج الخبر عن الجميع كان غير جائز أن يكون ما روي في تأويل ذلك عن ابن عباس ومن قال بقوله من أن ذلك خبر عن كتمان إبليس الكبر والمعصية صحيحا ، فقد ظن غير الصواب ،

وذلك أن من شأن العرب إذا أخبرت خبرا عن بعض جماعة بغير تسمية شخص بعينه أن تخرج الخبر عنه مخرج الخبر عن جميعهم ، وذلك كقولهم قتل الجيش وهزموا وإنما قتل الواحد أو البعض منهم وهزم الواحد أو البعض ، فتخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم ،

كما قال جل ثناؤه (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) ذكر أن الذي نادى رسول الله فنزلت هذه الآية فيه كان رجلا من جماعة بني تميم كانوا قدموا على رسول الله فأخرج الخبر عنه مخرج الخبر عن الجماعة ، فكذلك قوله (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) أخرج الخبر مخرج الخبر عن الجميع والمراد به الواحد منهم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)

أما قوله (وإذ قلنا) فمعطوف على قوله (وإذ قال ربك للملائكة) كأنه قال جل ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله من بني إسرائيل معددا عليهم نعمه ومذكرهم آلاءه ، على

نحو الذي وصفنا فيما مضى قبل ، اذكروا فعلي بكم إذ أنعمت عليكم فخلقت لكم ما في الأرض جميعا وإذ قلت للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ،

فكرمت أباكم آدم بما أتيته من علمي وفضلي وكرامتي وإذ أسجدت له ملائكتي فسجدوا له ثم استثنى من جميعهم إبليس ، فدل باستثنائه إياه منهم على أنه منهم وأنه ممن قد أمر بالسجود معهم ، كما قال جل ثناؤه (إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) ، فأخبر جل ثناؤه أنه قد أمر إبليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدم ،

ثم استثناه جل ثناؤه مما أخبر عنهم أنهم فعلوه من السجود لآدم ، فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لأمره ونفى عنه ما أثبته لملائكته من السجود لعبده آدم ، ثم اختلف أهل التأويل فيه هل هو من الملائكة أم هو من غيرهم . فقال بعضهم بما حدثنا :

636_ عن ابن عباس قال كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الحن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، قال فكان اسمه الحارث ، قال وكان خازنا من خزان الجنة ، قال وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي ، قال وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت .

637_ عن ابن عباس قال كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حي يسمون جِنّاً .

638_ عن ابن عباس بنحوه إلا أنه قال كان ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وعمارها وكان سكان الأرض فيهم يسمون الجن من بين الملائكة .

639_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي جعل إبليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة وكان إبليس مع ملكه خازنا .

640_ عن ابن عباس قال كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان سماء الدنيا وكان له سلطان الأرض ، قال وقوله (كان من الجن) إنما يسمى بالجنان أنه كان خازنا عليها كما يقال للرجل مكي ومدني وكوفي وبصري .

قالهابن جريج . وقال آخرون هم سبط من الملائكة قبيلة فكان اسم قبيلته الجن .

641_ عن ابن عباس قال إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها وكان يسوس ما بين السماء والأرض .

642_ عن الضحاك بن مزاحم في قوله (فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) قال كان ابن عباس يقول إن إبليس كان من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ثم ذكر مثل حديث ابن جريج الأول سواء .

643_ عن سعيد بن المسيب قال كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا .

644_ عن قتادة قوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن ، وكان ابن عباس يقول لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود وكان على خزانة سماء الدنيا ، وكان قتادة يقول جن عن طاعة ربه .

645_عن قتادة في قوله (إلا إبليس كان من الجن) قال كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن .

646_ عن محمد بن إسحاق قال أما العرب فيقولون ما الجن إلا كل من اجتن فلم يُرَ .

وأما قوله (إلا إبليس كان من الجن) أي كان من الملائكة وذلك أن الملائكة اجتنوا فلم يروا ، وقد قال الله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) وذلك لقول قريش إن الملائكة بنات الله ، فيقول الله إن تكن الملائكة بناتي فإبليس منها وقد جعلوا بيني وبين إبليس وذريته نسبا ،

وقد قال الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة البكري وهو يذكر سليمان بن داود وما أعطاه الله ولو كان شيء خالدا أو مُعَمِّراً / لكان سليمان البَرِيَّ من الدهر ، براه إلهي واصطفاه عباده / وملكه ما بين ثريا إلى مصر ، وسخر من جن الملائك تسعةً / قياما لديه يعملون بلا أجر ،

قال فأبت العرب في لغتها إلا أن الجن كل ما اجتن يقول ما سمى الله الجن إلا أنهم اجتنوا فلم يروا وما سمى بني آدم الإنس إلا أنهم ظهروا فلم يجتنوا ، فما ظهر فهو إنس وما اجتن فلم ير فهو جن . وقال آخرون بما حدثنا :

647_ عن الحسن قال ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس .

648_ عن قتادة قال كان الحسن يقول في قوله (إلا إبليس كان من الجن) إلجاء إلى نسبه فقال الله (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) الآية وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم .

649_ عن شهر بن حوشب قوله (من الجن) قال كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء .

650_ عن سعد بن مسعود قال كانت الملائكة تقاتل الجن فسبي إبليس وكان صغيرا فكان مع الملائكة فتعبد معها فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا فأبى إبليس فلذلك قال الله (إلا إبليس كان من الجن) .

651_ عن ابن عباس قال إن من الملائكة قبيلا يقال لهم الجن فكان إبليس منهم وكان إبليس يسوس ما بين السماء والأرض فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما .

652_ عن ابن زيد قال إبليس أبو الجن كما آدم أبو الإنس وعلة من قال هذه المقالة أن الله أخبر في كتابه أنه خلق إبليس من نار السموم ومن مارج من نار ولم يخبر عن الملائكة أنه خلقها من شيء من ذلك وأن الله أخبر أنه من الجن فقالوا فغير جائز أن ينسب إلى غير ما نسبه الله إليه ، قالوا ولإبليس نسل وذرية والملائكة لا تتناسل ولا تتوالد .

653_ عن ابن عباس قال إن الله خلق خلقا فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفعل فبعث الله عليهم نارا تحرقهم ، ثم خلق خلقا آخر فقال إني خالق بشرا من طين اسجدوا لآدم فأبوا فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم ، ثم خلق هؤلاء فقال اسجدوا لآدم فقالوا نعم وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم .

قال أبو جعفر وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الله خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى فخلق بعضا من نور وبعضا من نار وبعضا مما شاء من غير ذلك ، وليس في ترك الله الخبر عما خلق منه ملائكته وإخباره عما خلق منه إبليس ما يوجب أن يكون إبليس خارجا عن معناهم ،

إذ كان جائزا أن يكون خلق صنفا من ملائكته من نار كان منهم إبليس وأن يكون أفرد إبليس بأن خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته ، وكذلك غير مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأن كان له نسل وذرية لما ركب فيه من الشهوة واللذة التي نزعت من سائر الملائكة لما أراد الله به من المعصية ،

وأما خبر الله عن أنه من الجن فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الأشياء عن الأبصار كلها جنا كما قد ذكرنا قبل في شعر الأعشى ، فيكون إبليس والملائكة منهم لاجتنانهم عن أبصار بني آدم القول في معنى إبليس . وإبليس إفعيل من الإبلاس وهو الإياس من الخير والندم والحزن .

654_ عن ابن عباس قال إبليس أبلسه الله من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته .

655_ عن السدي قال كان اسم إبليس الحارث وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيرا .

قال أبو جعفر وكما قال الله (فإذا هم مبلسون) يعني به أنهم آيسون من الخير نادمون حزنا ، كما قال العجاج يا صاح هل تعرف رسما مُكرَسَا / قال نعم أعرفه وأبلَسَا ، وقال رؤبة وحضرت يوم الخميس الأخماس / وفي الوجوه صفرةٌ وإبلاس ، يعني به اكتئابا وكسوفا .

فإن قال لنا قائل فإن كان إبليس كما قلت إفعيل من الإبلاس فهلا صرف وأجري ؟ قيل ترك إجراؤه استثقالا ، إذ كان اسما لا نظير له من أسماء العرب فشبهته العرب إذ كان كذلك بأسماء العجم التي لا تجرى ، وقد قالوا مررت بإسحاق فلم يجروه وهو من أسحقه الله إسحاقا ، إذ كان وقع مبتدأ اسما لغير العرب ثم تسمت به العرب فجرى مجراه ، وهو من أسماء العجم في الإعراب فلم يصرف وكذلك أيوب إنما هو فيعول من آب يئوب .

وتأويل قوله (أبَى) يعني جل ثناؤه بذلك إبليس أنه امتنع من السجود لآدم فلم يسجد له (واستكبر) يعني بذلك أنه تعظم وتكبر عن طاعة الله في السجود لآدم ، وهذا وإن كان من الله خبرا عن إبليس فإنه تقريع لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق ،

وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله والتذلل لطاعته والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله وأحبارهم الذين كانوا برسول الله وصفته عارفين وبأنه لله رسول عالمين ثم استكبروا مع علمهم بذلك عن الإقرار بنبوته والإذعان لطاعته بغيا منهم له وحسدا ،

فقرعهم الله بخبره عن إبليس الذي فعل في استكباره عن السجود لآدم حسدا له وبغيا ، نظير فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله ونبوته إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسدا وبغيا ، ثم وصف إبليس بمثل الذي وصف به الذين ضربه لهم مثلا في الاستكبار والحسد والاستنكاف عن الخضوع لمن أمره الله بالخضوع له ،

فقال جل ثناؤه (وكان) يعني إبليس (من الكافرين) من الجاحدين نعم الله عليه وأياديه عنده بخلافه عليه فيما أمره به من السجود لآدم ، كما كفرت اليهود نعم ربها التي آتاها وآباءها قبل من إطعام الله أسلافهم المنَّ والسلوى وإظلال الغمام عليهم وما لا يحصى من نعمه التي كانت لهم خصوصا ما خص الذين أدركوا محمدا بإدراكهم إياه ومشاهدتهم حجة الله عليهم ،

فجحدت نبوته بعد علمهم به ومعرفتهم بنبوته حسدا وبغيا فنسبه الله إلى الكافرين فجعله من عدادهم في الدين والملة وإن خالفهم في الجنس والنسبة ، كما جعل أهل النفاق بعضهم من بعض لاجتماعهم على النفاق وإن اختلفت أنسابهم وأجناسهم ،

فقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) يعني بذلك أن بعضهم من بعض في النفاق والضلال ، فكذلك قوله في إبليس (وكان من الكافرين) كان منهم في الكفر بالله ومخالفته أمره وإن كان مخالفا جنسه أجناسهم ونسبه نسبهم ،

ومعنى قوله (وكان من الكافرين) أنه كان حين أبى عن السجود من الكافرين حينئذ ، وقد روي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أنه كان يقول في تأويل قوله (وكان من الكافرين) في هذا الموضع وكان من العاصين .

656-657_عن أبي العالية في قوله (وكان من الكافرين) يعني العاصين . وعن الربيع بن أنس بمثله .

وذلك شبيه بمعنى قولنا فيه وكان سجود الملائكة لآدم تكرمة لآدم وطاعة لله لا عبادة لآدم .

658_ عن قتادة قوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)

وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال إن إبليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم وأسكنها آدم قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض ، ألا تسمعون الله يقول (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) ،

فقد تبين أن إبليس إنما أزلهما عن طاعة الله بعد أن لعن وأظهر التكبر ، لأن سجود الملائكة لآدم كان بعد أن نفخ فيه الروح ، وحينئذ كان امتناع إبليس من السجود له وعند الامتناع من ذلك حلت عليه اللعنة .

659_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي أن عدو الله إبليس أقسم بعزة الله ليغوين آدم وذريته وزوجه إلا عباده المخلصين منهم بعد أن لعنه الله وبعد أن أخرج من الجنة وقبل أن يهبط إلى الأرض وعلم الله آدم الأسماء كلها .

660_ عن ابن إسحاق قال لما فرغ الله من إبليس ومعاتبته وأبى إلا المعصية وأوقع عليه اللعنة ثم أخرجه من الجنة أقبل على آدم وقد علمه الأسماء كلها فقال (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) إلى قوله (إنك أنت العليم الحكيم) .

ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي خلقت لآدم زوجته والوقت الذي جعلت له سكنا .

661_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي فأخرج إبليس من الجنة حين لعن وأسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشا ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ وإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها من أنت ؟ فقالت امرأة ، قال ولم خلقت ؟ قالت تسكن إليّ ،

قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه ما اسمها يا آدم ؟ قال حواء ، قالوا ولم سميت حواء ؟ قال لأنها خلقت من شيء حي ، فقال الله له (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما) .

فهذا الخبر ينبئ عن أن حواء خلقت بعد أن سكن آدم الجنة فجعلت له سكنا . وقال آخرون بل خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة . ذكر من قال ذلك :

662_ عن محمد بن إسحاق قال لما فرغ الله من معاتبة إبليس أقبل على آدم وقد علمه الأسماء كلها فقال (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) إلى قوله (إنك أنت العليم الحكيم) ، قال ثم ألقى السنة على آدم

فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبد الله بن عباس وغيره ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه لحما ،

وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن إليها ، فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها إلى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم لحمي ودمي وزوجتي فسكن إليها ، فلما زوجه الله وجعل له سكنا من نفسه قال له فتلا (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) .

قال أبو جعفر ويقال لامرأة الرجل زوجه وزوجته ، والزوجة بالهاء أكثر في كلام العرب منها بغير الهاء والزوج بغير الهاء يقال إنه لغة لأزد شنوءة ، فأما الزوج الذي لا اختلاف فيه بين العرب فهو زوج المرأة .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وكلا منها رغدا حيث شئتما)

أما الرغد فإنه الواسع من العيش الهنيء الذي لا يعني صاحبه ، يقال أرغد فلان إذا أصاب واسعا من العيش الهنيء ، كما قال امرؤ القيس بن حجر بينما المرؤ تراه ناعما يأمن الأحداث في عيش رغد .

663_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (وكلا منها رغدا) الرغد الهنيء .

666-664_ عن مجاهد في قوله (رغدا) قال لا حساب عليهم .

667_ عن ابن عباس (وكلا منها رغدا حيث شئتما) قال الرغد سعة المعيشة .

قال الطري فمعنى الآية وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من الجنة رزقا واسعا هنيئا من العيش حيث شئتما .

668_ عن قتادة قوله (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما) ثم إن البلاء الذي كتب على الخلق كتب على آدم كما ابتلي الخلق قبله أن الله أحل له ما في الجنة أن يأكل منها رغدا حيث شاء غير شجرة واحدة نهي عنها وقدم إليه فيها ، فما زال به البلاء حتى وقع بالذي نُهِيَ عنه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة)

والشجر في كلام العرب كل ما قام على ساق ومنه قول الله (والنجم والشجر يسجدان) يعني بالنجم ما نجم من الأرض من نبت وبالشجر ما استقل على ساق ، ثم اختلف أهل التأويل في عين الشجرة التي نهي عن أكل ثمرها آدم ، فقال بعضهم هي السنبلة . ذكر من قال ذلك :

669_ عن ابن عباس قال الشجرة التي نهي عن أكل ثمرها آدم هي السنبلة .

670-671_ عن أبي مالك في قوله (ولا تقربا هذه الشجرة) قال هي السنبلة .

672_ عن عطية في قوله (ولا تقربا هذه الشجرة) قال السنبلة .

673_ عن قتادة قال الشجرة التي نهي عنها آدم هي السنبلة .

674_ عن القاسم قال حدثني رجل من بني تميم أن ابن عباس كتب إلى أبي الجلد يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم والشجرة التي تاب عندها فكتب إليه أبو الجلد سألتني عن الشجرة التي نهي عنها آدم وهي السنبلة وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهي الزيتونة .

675_ عن ابن عباس أنه كان يقول الشجرة التي نهي عنها آدم البُرّ .

676_ عن ابن عباس قال كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة .

677_ عن وهب بن منبه اليماني أنه كان يقول هي البر ولكن الحبة منها في الجنة ككلى البقر ألين من الزبد وأحلى من العسل وأهل التوراة يقولون هي البر .

678_ عن يعقوب بن عتبة أنه حدث أنها الشجرة التي تحتك بها الملائكة للخلد .

679_ عن محارب بن دثار قال هي السنبلة .

680_ عن الحسن قال هي السنبلة التي جعلها الله رزقا لولده في الدنيا .

وقال آخرون هي الكَرْمَة . ذكر من قال ذلك :

681_ عن ابن عباس قال هي الكرمة .

682_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي (ولا تقربا هذه الشجرة) هي الكرمة وتزعم اليهود أنها الحنطة .

683_ عن السدي قال الشجرة هي الكَرْم .

684_ عن جعدة بن هبيرة قال هو العنب في قوله (ولا تقربا هذه الشجرة) .

685_ عن جعدة بن هبيرة (ولا تقربا هذه الشجرة) قال الكرم .

686_ عن جعدة بن هبيرة (ولا تقربا هذه الشجرة) قال الكرم .

687_ عن جعدة بن هبيرة قال الشجرة التي نهي عنها آدم شجرة الخمر .

688_ عن سعيد بن جبير قوله (ولا تقربا هذه الشجرة) قال الكرم .

689_ عن السدي قال العنب .

690_ عن محمد بن قيس قال عنب .

وقال آخرون هي التينة . ذكر من قال ذلك :

691_ عن ابن جريج عن بعض أصحاب النبي قال تينة .

قال أبو جعفر والقول في ذلك عندنا أن الله أخبر عباده أن آدم وزوجته أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلا منها بعد أن بين الله لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها وأشار لهما إليها بقوله (ولا تقربا هذه الشجرة) ،

ولم يضع الله لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها بنص عليها باسمها ولا بدلالة عليها ، ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أي رضا لم يخل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها ليطيعوه بعلمهم بها ، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضا ،

فالصواب في ذلك أن يقال إن الله نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه فأكلا منها كما وصفهما الله به ، ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة فأنَّى يأتي ذلك من أتي ،

وقد قيل كانت شجرة البر وقيل كانت شجرة العنب وقيل كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها وذلك إن علمه عالم لم ينفع العالم به علمه وإن جهله جاهل لم يضره جهله به .

القول في تأويل قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)

اختلف أهل العربية في تأويل قوله (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ، فقال بعض نحويي الكوفيين تأويل ذلك (ولا تقربا هذه الشجرة) فإنكما إن قربتماها كنتما من الظالمين ، فصار

الثاني في موضع جواب الجزاء وجواب الجزاء يعمل فيه أوله ، كقولك إن تقم أقم ، فتجزم الثاني بجزم الأول ،

فكذلك قوله (فتكونا) لما وقعت الفاء في موضع شرط الأول نصب بها وصيرت بمنزلة كي في نصبها الأفعال المستقبلة للزومها الاستقبال إذ كان أصل الجزاء الاستقبال ، وقال بعض نحويي أهل البصرة تأويل ذلك لا يكن منكما قرب هذه الشجرة فإن تكونا من الظالمين ،

غير أنه زعم أن أن غير جائز إظهارها مع لا ولكنها مضمرة لابد منها ليصح الكلام بعطف اسم ، وهي أن على الاسم كما غير جائز في قولهم عسى أن يفعل عسى الفعل ولا في قولك ما كان ليفعل ما كان لأن يفعل ، وهذا القول الثاني يفسده إجماع جميعهم على تخطئة قول القائل سرني تقوم يا هذا وهو يريد سرني قيامك ،

فكذلك الواجب أن يكون خطأ على هذا المذهب قول القائل لا تقم إذا كان المعنى لا يكن منك قيام ، وفي إجماع جميعهم على صحة قول القائل لا تقم وفساد قول القائل سرني تقوم بمعنى سرني قيامك الدليل الواضح على فساد دعوى المدعي أن مع لا التي في قوله (ولا تقربا هذه الشجرة) ضمير أن ، وصحة القول الآخر ،

وفي قوله (فتكونا من الظالمين) وجهان من التأويل ، أحدهما أن يكون فتكونا في نية العطف على قوله (ولا تقربا) فيكون تأويله حينئذ ولا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من الظالمين ، فيكون فتكونا حينئذ في معنى الجزم مجزوم بما جزم به (ولا تقربا) ،

كما يقول القائل لا تكلم عمرا ولا تؤذه ، وكما قال امرؤ القيس فقلت له صوب ولا تجهدنه / فيذرك من أخرى القطاة فتزلق ، فجزم فيذرك بما جزم به لا تجهدنه كأنه كرر النهي . والثاني أن يكون (فتكونا من الظالمين) بمعنى جواب النهي ،

فيكون تأويله حينئذ لا تقربا هذه الشجرة فإنكما إن قربتماها كنتما من الظالمين ، كما تقول لا تشتم عمرا فيشتمك مجازاة ، فيكون فتكونا حينئذ في موضع نصب إذ كان حرف عطف على غير شكله لما كان في (ولا تقربا) حرف عامل فيه ، ولا يصلح إعادته في فتكونا فنصب على ما قد بينت في أول هذه المسألة .

وأما تأويل قوله (فتكونا من الظالمين) فإنه يعني به فتكونا من المتعدين إلى غير ما أذن لهم وأبيح لهم فيه ، وإنما عنى بذلك أنكما إن قربتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تعدى حدودي وعصى أمري واستحل محارمي لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ،

وأصل الظلم في كلام العرب وضع الشيء في غير موضعه ، ومنه قول نابغة بني ذبيان إلا الأواري لأيًا ما أبينها / والنُّؤَي كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ ، فجعل الأرض مظلومة لأن الذي حفر فيها النوى حفر في غير موضع الحفر فجعلها مظلومة لوضع الحفرة منها في غير موضعها ،

ومن ذلك قول ابن قميئة في صفة غيث ظلم البطاح بها انهلالُ حريصةٍ / فصفا النطاف له بُعَيْدَ المُقلِعِ ، وظلمه إياه مجيئه في غير أوانه وانصبابه في غير مصبه ومنه ظلم الرجل جزوره وهو نحره إياه لغير علة ، وذلك عند العرب وضع النحر في غير موضعه ، وقد يتفرع الظلم في معان يطول بإحصائها الكتاب وسنبينها في أماكنها إذا أتينا عليها إن شاء الله ، وأصل ذلك كله ما وصفنا من وضع الشيء في غير موضعه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)

اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامتهم (فأزلهما) بتشديد اللام بمعنى استزلهما من قولك زل الرجل في دينه إذا هفا فيه وأخطأ فأتى ما ليس له إتيانه فيه وأزله غيره إذا سبب له ما يزل من أجله في دينه أو دنياه ، ولذلك أضاف الله إلى إبليس خروج آدم وزوجته من الجنة فقال (فأخرجهما) يعني إبليس (مما كانا فيه) لأنه كان الذي سبب لهما الخطيئة التي عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنة ، وقرأه آخرون (فأزالهما) بمعنى إزالة الشيء عن الشيء وذلك تنحيته عنه .

692_ عن ابن عباس في قوله تعالى (فأزلهما الشيطان) قال أغواهما .

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ (فأزلهما) لأن الله قد أخبر في الحرف الذي يتلوه بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه ، وذلك هو معنى قوله فأزالهما ، فلا وجه إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج أن يقال فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه فيكون كقوله فأزالهما الشيطان عنها فأزالهما مما كانا فيه ،

ولكن المعنى المفهوم أن يقال فاستزلهما إبليس عن طاعة الله كما قال جل ثناؤه (فأزلهما الشيطان) ، وقرأت به القراء فأخرجهما باستزلاله إياهما من الجنة ، فإن قال لنا قائل وكيف كان استزلال إبليس آدم وزوجته حتى أضيف إليه إخراجهما من الجنة ؟ قيل قد قالت العلماء في ذلك أقوالا سنذكر بعضها .

693_ عن وهب بن منبه قال لما أسكن الله آدم وذريته ونهاه عن الشجرة وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم وهي الثمرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته ، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية وكانت للحية أربعة قوائم كأنها بختية من أحسن دابة خلقها الله ،

فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته فجاء بها إلى حواء فقال انظري إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها ، فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فأكل منها آدم ،

فبدت لهما سوآتهما فدخل آدم في جوف الشجرة فناداه ربه يا آدم أين أنت ؟ قال أنا هنا يا رب ، قال ألا تخرج ؟ قال أستحيي منك يا رب ، قال ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة يتحول ثمرها شوكا ، قال ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كان أفضل من الطلح والسدر ، ثم قال يا حواء أنت التي غررتِ عبدي فإنك لا تحملين حملا إلا حملته كَرهاً فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفتِ على الموت مرارا ،

وقال للحية أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك ولا يكن لك رزق إلا التراب ، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ رأسك ، قال عمر قيل لوهب وما كانت الملائكة تأكل ؟ قال يفعل الله ما يشاء .

قال أبو جعفر وروي عن ابن عباس نحو هذه القصة .

694_ عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي لما قال الله لآدم (اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة فمنعته الخزنة ، فأتى الحية وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير وهي كأحسن الدواب فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم ،

فأدخلته في فمها فمرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر فكلمه من فمها فلم يبال بكلامه ، فخرج إليه فقال (يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) يقول هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكا مثل الله أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبدا وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين ،

وإنما أراد بذلك ليبدي لهما ما توارى عنهما من سوآتهما بهتك لباسهما وكان قد علم أن لهما سوأة لما كان يقرأ من كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك وكان لباسهما الظُّفُر ، فأبى آدم أن يأكل منها فتقدمت حواء فأكلت ثم قالت يا آدم كل فإني قد أكلت فلم يضرني ، فلما أكل آدم (بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) .

695_ عن الربيع قال حدثني محدث أن الشيطان دخل الجنة في صورة دابة ذات قوائم فكان يرى أنه البعير قال فلعن فسقطت قوائمه فصار حية .

696_ عن أبي العالية أن من الإبل ما كان أولها من الجن قال فأبيحت له الجنة كلها إلا الشجرة وقيل لهما (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ، قال فأتى الشيطان حواء فبدأ بها فقال أنهيتما عن شيء ؟ قالت نعم عن هذه الشجرة ،

فقال (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) ، قال فبدأت حواء فأكلت منها ثم أمرت آدم فأكل منها ، قال وكانت شجرة من أكل منها أحدث ، قال ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث ، قال (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) ، قال فأخرج آدم من الجنة .

697_ عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة وما أعطاه الله منها ، قال لو أن خُلْداً كان فاغتنمها منه الشيطان لما سمعها منه فأتاه من قبل الخُلْد .

698_ عن ابن إسحاق قال حدثت أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له ما يبكيك ؟ قال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما ثم أتاهما فوسوس إليهما فقال (يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) ،

وقال (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) أي تكونا ملكين أو تخلدا إن لم تكونا ملكين في نعمة الجنة فلا تموتان ، يقول الله (فدلاهما بغرور) .

699 _ عن ابن زيد قال وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها ثم حسنها في عين آدم ، قال فدعاها آدم لحاجته ، قالت لا إلا أن تأتي ها هنا ، فلما أتى قالت لا إلا أن تأكل من هذه الشجرة ، قال فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما ، قال وذهب آدم هاربا في الجنة ، فناداه ربه يا آدم أمني تفر ؟ قال لا يا رب ولكن حياء منك ، قال يا آدم أنى أتيت ؟ قال من قِبَلِ حواء أي رب ،

فقال الله فإن لها علي أن آدميها في كل شهر مرة كما آدميت هذه الشجرة وأن أجعلها سفيهة فقد كنت خلقتها حليمة وأن أجعلها تحمل كرها وتضع كرها فقد كنت جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا ، قال ابن زيد ولولا البلية التي أصابت حواء لكان نساء الدنيا لا يحضن ولكن حليمات وكن يحملن يسرا ويضعن يسرا .

700_ عن يزيد بن عبد الله قال سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ما يستثني ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها فأكل .

701_ عن ابن عباس قال إن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أنها تحمله حتى يدخل الجنة معها ويكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبَى ذلك عليه حتى كلم الحية فقال لها أمنعك من ابن آدم فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة ، فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به فكلمهما من فيها وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها ، قال يقول ابن عباس اقتلوها حيث وجدتموها اخفروا ذمة عدو الله فيها .

702_ عن محمد بن إسحاق قال وأهل التوراة يدرسون إنما كلم آدم الحية ولم يفسروا كتفسير ابن عباس .

703_ عن محمد بن قيس قال نهى الله آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ويأكلا منها رغدا حيث شاءا فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية فكلم حواء ووسوس الشيطان إلى آدم فقال (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) ،

قال فعضت حواء الشجرة فدميت الشجرة وسقط عنهما رياشهما الذي كان عليهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) لم أكلتها وقد نهيتك عنها ؟ قال يا رب أطعمتني حواء ،

قال لحواء لم أطعمته ؟ قالت أمرتني الحية ، قال للحية لم أمرتها ؟ قالت أمرني إبليس ، قال ملعون مدحور ، أما أنتِ يا حواء فكما آدميت الشجرة فتدمين في كل هلال ، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين جريا على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو .

قال أبو جعفر وقد رويت هذه الأخبار عمن رويناها عنه من الصحابة والتابعين وغيرهم في صفة استزلال إبليس عدو الله آدم وزوجته حتى أخرجهما من الجنة ، وأولى ذلك بالحق عندنا ما كان لكتاب الله موافقا وقد أخبر الله عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدي لهما ما روي عنهما من سوآتهما ،

وأنه قال لهما (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) ، وأنه قاسمهما إني لكما لمن الناصحين مدليا لهما بغرور ، ففي إخباره جل ثناؤه عن عدو الله أنه قاسم آدم وزوجته بقيله لهما (إني لكما لمن الناصحين) الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه ، إما ظاهرا لأعينهما وإما مستجنا في غيره ،

وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقال قاسم فلان فلانا في كذا وكذا إذا سبب له سببا وصل به إليه دون أن يحلف له والحلف لا يكون بتسبب السبب ، فكذلك قوله فوسوس إليه الشيطان ،

لو كان ذلك كان منه إلى آدم على نحو الذي منه إلى ذريته من تزيين أكل ما نهى الله آدم عن أكله من الشجرة بغير مباشرة خطابه إياه بما استزله به من القول والحيل لَمَا قال جل ثناؤه (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) ،

كما غير جائز أن يقول اليوم قائل ممن أتى معصية قاسمني إبليس أنه لي ناصح فيما زين لي من المعصية التي أتيتها ، فكذلك الذي كان من آدم وزوجته ، لو كان على النحو الذي يكون فيما بين إبليس اليوم وذرية آدم لما قال جل ثناؤه (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) ،

ولكن ذلك كان إن شاء الله على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله ، فأما سبب وصوله إلى الجنة حتى كلم آدم بعد أن أخرجه الله منها وطرده عنها فليس فيما روي عن ابن عباس ووهب بن منبه في ذلك معنى يجوز لذي فهم مدافعته ، إذ كان ذلك قولا لا يدفعه عقل ولا خبر يلزم تصديقه من حجة بخلافه ، وهو من الأمور الممكنة ،

والقول في ذلك أنه قد وصل إلى خطابهما على ما أخبرنا الله ، وممكن أن يكون وصل إلى ذلك بنحو الذي قاله المتأولون بل ذلك إن شاء الله كذلك لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك ، وإن كان ابن إسحاق قد قال في ذلك والله أعلم كما قال ابن عباس وأهل التوراة .

704_ عن ابن إسحاق أنه خلص إلى آدم وزوجته بسلطانه الذي جعل الله له ليبتلى به آدم وذريته ، وأنه يأتي ابن آدم في نومته وفي يقظته وفي كل حال من أحواله حتى يخلص إلى ما أراد منه حتى يدعوه إلى المعصية ويوقع في نفسه الشهوة وهو لا يراه ،

وقد قال الله (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) ، وقال (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) ،

وقد قال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام (قل أعوذ برب الناس ملك الناس) إلى آخر السورة ، ثم ذكر الأخبار التي رويت عن النبي أنه قال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، قال ابن إسحاق وإنما أمر ابن آدم فيما بينه وبين عدو الله كأمره فيما بينه وبين آدم فقال الله (فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين) ،

ثم خلص إلى آدم وزوجته حتى كلمهما كما قص الله علينا من خبرهما قال (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فخلص إليهما بما خلص إلى ذريته من حيث لا يريانه والله أعلم أي ذلك كان فتابا إلى ربهما .

قال أبو جعفر وليس في يقين ابن إسحاق لو كان قد أيقن في نفسه أن إبليس لم يخلص إلى آدم وزوجته بالمخاطبة بما أخبر الله عنه أنه قال لهما وخاطبهما به ما يجوز لذي فهم الاعتراض به على ما ورد من القول مستفيضا من أهل العلم مع دلالة الكتاب على صحة ما استفاض من ذلك بينهم ، فكيف بشكّه ؟ والله نسأل التوفيق .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فأخرجهما مما كانا فيه)

وأما تأويل قوله (فأخرجهما) فإنه يعني فأخرج الشيطان آدم وزوجته مما كانا يعني مما كان فيه آدم وزوجته من رغد العيش في الجنة وسعة نعيمها الذي كانا فيه ، وقد بينا أن الله إنما أضاف

إخراجهما من الجنة إلى الشيطان وإن كان الله هو المخرج لهما ، لأن خروجهما منها كان عن سبب من الشيطان ، وأضيف ذلك إليه لتسبيبه إياه ،

كما يقول القائل لرجل وصل إليه منه أذى حتى تحول من أجله عن موضع كان يسكنه ما حولني من موضعي الذي كنت فيه إلا أنت ، ولم يكن منه له تحويل ولكنه لما كان تحوله عن سبب منه جاز له إضافة تحويله إليه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو)

يقال هبط فلان أرض كذا ووادي كذا إذا حل ذلك ، كما قال الشاعر ما زلت أرمقهم حتى إذا هبطت / أيدي الركاب بهم من راكِسٍ فَلَقَا ، وقد أبان هذا القول من الله عن صحة ما قلنا من أن المخرج آدم من الجنة هو الله وأن إضافة الله إلى إبليس ما أضاف إليه من إخراجهما كان على ما وصفنا ،

ودل بذلك أيضا على أن هبوط آدم وزوجته وعدوهما إبليس كان في وقت واحد بجمع الله إياهم في الخبر عن إهباطهم بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته وتسبب إبليس ذلك لهما على ما وصفه ربنا جل ذكره عنهم . وقد اختلف أهل التأويل في المعني بقوله (اهبطوا) مع إجماعهم على أن آدم وزوجته ممن عني به .

705_ عن أبي صالح (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) قال آدم وحواء وإبليس والحية .

706_ عن السدي (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) قال فلعن الحية وقطع قوائمها وتركها تمشي على بطنها وجعل رزقها من التراب وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية .

707_ عن مجاهد في قول الله (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) قال آدم وإبليس والحية .

708_ عن مجاهد (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) آدم وإبليس والحية ذرية بعضهم أعداء لبعض .

709_ عن مجاهد (بعضكم لبعض عدو) قال آدم وذريته وإبليس وذريته .

710_ عن أبي العالية في قوله (بعضكم لبعض عدو) قال يعني إبليس وآدم .

711_ عن ابن عباس في قوله (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) قال بعضهم عدو ، آدم وحواء وإبليس والحية .

712_ عن ابن عباس (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) قال آدم وحواء وإبليس والحية .

713_ عن ابن زيد في قوله (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) قال لهما ولذريتهما .

قال أبو جعفر فإن قال قائل وما كانت عداوة ما بين آدم وزوجته وإبليس والحية ؟ قيل أما عداوة إبليس آدم وذريته فحسده إياه واستكباره عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ، وأما عداوة آدم وذريته إبليس فعداوة المؤمنين إياه لكفره بالله وعصيانه لربه في تكبره عليه ومخالفته أمره ،

وذلك من آدم ومؤمني ذريته إيمان بالله ، وأما عداوة إبليس آدم فكفر بالله ، وأما عداوة ما بين آدم وذريته والحية فقد ذكرنا ما روي في ذلك عن ابن عباس ووهب بن منبه ، وذلك هي العداوة التي بيننا وبينها كما روي عن رسول الله أنه قال ما سالمناهن منذ حاربناهن فمن تركهن خشية ثأرهن فليس منا .

714_ عن أبي هريرة عن رسول الله أنه قال ما سالمناهن منذ حاربناهن فمن ترك شيئا منهن خيفة فليس مِنّا . (صحيح)

قال أبو جعفر وأحسب أن الحرب التي بيننا كان أصله ما ذكره علماؤنا الذين قدمنا الرواية عنهم في إدخالها إبليس الجنة بعد أن أخرجه الله منها حتى استزله عن طاعة ربه في أكله ما نهي عن أكله من الشجرة .

715_ عن ابن عباس قال سُئِل رسول الله عن قتل الحيات فقال رسول الله خلقت هي والإنسان كل واحد منهما عدو لصاحبه ، إن رآها أفزعته وإن لدغته أوجعته ، فاقتلها حيث وجدتها . (صحيح لغيره)

_ القول في تأويل قوله تعالى (ولكم في الأرض مستقر)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثني :

716 _ عن أبي العالية في قوله (ولكم في الأرض مستقر) قال هو قوله (الذي جعل لكم الأرض فراشا) .

717_ عن الربيع في قوله (ولكم في الأرض مستقر) قال هو قوله (جعل لكم الأرض قرارا) .

وقال آخرون معنى ذلك ولكم في الأرض قرار في القبور . ذكر من قال ذلك :

718_ عن السدي (ولكم في الأرض مستقر) يعني القبور .

719_ عن ابن عباس في قوله (ولكم في الأرض مستقر) قال القبور .

720_ عن ابن زيد في قوله (ولكم في الأرض مستقر) قال مقامهم فيها .

قال أبو جعفر والمستقر في كلام العرب هو موضع الاستقرار ، فإذا كان ذلك كذلك فحيث كان من في الأرض موجودا حالا فذلك المكان من الأرض مستقره ، إنما عنى الله بذلك أن لهم في الأرض مستقرا ومنزلا بأماكنهم ومستقرهم من الجنة والسماء ، وكذلك قوله (ومتاع) يعني به أن لهم فيها متاعا بمتاعهم في الجنة .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ومتاع إلى حين)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم ولكم فيها بلاغ إلى الموت . ذكر من قال ذلك :

721_ عن السدي في قوله (ومتاع إلى حين) قال يقول بلاغ إلى الموت .

722_ عن ابن عباس (ومتاع إلي حين) قال الحياة .

وقال آخرون يعني بقوله (ومتاع إلى حين) إلى قيام الساعة . ذكر من قال ذلك :

723_ عن مجاهد (ومتاع إلى حين) قال إلى يوم القيامة إلى انقطاع الدنيا .

وقال آخرون إلى حين قال إلى أجل . ذكر من قال ذلك :

724_ عن الربيع (ومتاع إلى حين) قال إلى أجل والمتاع في كلام العرب كل ما استمتع به من شيء من معاش استمتع به أو رياش أو زينة أو لذة أو غير ذلك ، فإذا كان ذلك كذلك وكان الله قد جعل حياة كل حي متاعا له يستمتع بها أيام حياته وجعل الأرض للإنسان متاعا أيام حياته بقراره عليها واغتذائه بما أخرج الله منها من الأقوات والثمار والتذاذه بما خلق فيها من الملاذ ،

وجعلها من بعد وفاته لجثته كفاتا ولجسمه منزلا وقرارا ، وكان اسم المتاع يشمل جميع ذلك ، كان أولى التأويلات بالآية ، إذ لم يكن الله وضع دلالة دالة على أنه قصد بقوله (ومتاع إلى حين) بعضا دون بعض وخاصا دون عام في عقل ولا خبر أن يكون ذلك في معنى العام ،

وأن يكون الخبر أيضا كذلك إلى وقت يطول استمتاع بني آدم وبني إبليس بها وذلك إلى أن تبدل الأرض غير الأرض ، فإذ كان ذلك أولى التأويلات بالآية لما وصفنا فالواجب إذا أن يكون تأويل الآية ولكن في الأرض منازل ومساكن تستقرون فيها استقراركم كان في السموات وفي الجنات في منازلكم منها واستمتاع منكم بها ،

وبما أخرجت لكم منها وبما جعلت لكم فيها من المعاش والرياش والزين والملاذ وبما أعطيتكم على ظهرها أيام حياتكم ومن بعد وفاتكم لأرماسكم وأجداثكم تدفنون فيها وتبلغون باستمتاعكم بها إلى أن أبدلكم بها غيرها .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

أما تأويل قوله (فتلقى آدم) فقيل إنه أخذ وقبل وأصله التفعل من اللقاء كما يتلقى الرجل الرجل يستقبله عند قدومه من غيبة أو سفر ، فكذلك ذلك في قوله (فتلقى) كأنه استقبله فتلقاه بالقبول حين أوحى إليه أو أخبر به ، فمعنى ذلك إذا فلقى الله آدم كلمات توبة فتلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائبا فتاب الله عليه بقيله إياها وقبوله إياها من ربه .

725_ عن ابن زيد في قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) الآية قال لقاهما هذه الآية (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

وقد قرأ بعضهم (فتلقى آدم من ربه كلمات) فجعل الكلمات هي المتلقية آدم ، وذلك وإن كان من وجهة العربية جائزا إذ كان كل ما تلقاه الرجل فهو له متلق وما لقيه فقد لقيه ، فصار للمتكلم أن يوجه الفعل إلى أيهما شاء ويخرج من الفعل أيهما أحب ،

فغير جائز عندي في القراءة إلا رفع آدم على أنه المتلقي الكلمات ، لإجماع الحجة من القراء وأهل التأويل من علماء السلف والخلف على توجيه التلقي إلى آدم دون الكلمات ، وغير جائز الاعتراض عليها فيما كانت عليه مجمعة بقول من يجوز عليه السهو والخطأ .

واختلف أهل التأويل في أعيان الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ، فقال بعضهم بما حدثنا :

727-726_ عن ابن عباس (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) قال أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال بلى ، قال أي رب ألم تنفخ فيَّ من روحك ؟ قال بلى ، قال أي رب ألم تسكني جنتك ؟ قال بلى ، قال أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال بلى ، قال أرأيت إن أنا تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة ؟ قال نعم ، قال فهو قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) .

728_ عن ابن عباس قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) قال إن آدم قال لربه إذ عصاه رب أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ؟ فقال له ربه إني راجعك إلى الجنة .

729_ عن قتادة قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال ذُكِرَ لنا أنه قال يا رب أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ؟ قال إني إذا راجعك إلى الجنة . وقال الحسن إنهما قالا (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

730 _ عن أبي العالية في قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال إن آدم لما أصاب الخطيئة قال يا رب أرأيت إن تبت وأصلحت ؟ فقال الله إذا أرجعك إلى الجنة فهي من الكلمات ومن الكلمات أيضا (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

731_ عن السدي (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال رب ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له بلى ، قال ونفخت في من روحك ؟ قيل له بلى ، قال وسبقت رحمتك غضبك ؟ قيل له بلى ، قال رب هل

كنت كتبت هذا علي ؟ قيل له نعم ، قال رب إن تبت وأصلحت هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قيل له نعم ، قال الله (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) .

وقال آخرون بما حدثنا :

732-734_ عن عبيد بن عمير قال قال آدم يا رب خطيئتي التي أخطأتها أشيء كتبته علي قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعته من قبل نفسي ؟ قال بلى شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك ، قال فكما كتبته علي فاغفره لي ، قال فهو قول الله (فتلقى آدم من ربه كلمات) .

735_ عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية في قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) قال آدم اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك تب علي إنك أنت التواب الرحيم .

736_ عن مجاهد في قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا) حتى فرغ منها .

737_ عن مجاهد كان يقول في قول الله (فتلقى آدم من ربه كلمات) الكلمات اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين ، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربي إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين ، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم .

738_ عن مجاهد (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال هو قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا) الآية .

739_ عن مجاهد (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال أي رب أتتوب عليَّ إن تبت ؟ قال نعم ، فتاب آدم فتاب عليه ربه .

740_ عن قتادة في قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال هو قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

741_ عن ابن زيد قال هو قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

وهذه الأقوال التي حكيناها عمن حكيناها عنه وإن كانت مختلفة الألفاظ فإن معانيها متفقة في أن الله لقى آدم كلمات فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن وتاب بقيله إياهن وعمله بهن إلى الله من خطيئته معترفا بذنبه متنصلا إلى ربه من خطيئته نادما على ما سلف منه من خلاف أمره ،

فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه وندمه على سالف الذنب منه ، والذي يدل عليه كتاب الله أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلا بقيلها إلى ربه معترفا بذنبه ، وهو قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ،

وليس ما قاله من خالف قولنا هذا من الأقوال التي حكيناها بمدفوع قوله ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها فيجوز لنا إضافته إلى آدم وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه ، وهذا الخبر الذي أخبر الله عن آدم من قيله الذي لقاه إياه فقاله تائبا إليه من خطيئته تعريف منه جل ذكره جميع المخاطبين بكتابه كيفية التوبة إليه من الذنوب ،

وتنبيه للمخاطبين بقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) على موضع التوبة مما هم عليه من الكفر بالله وأن خلاصهم مما هم عليه مقيمون من الضلالة نظير خلاص أبيهم آدم من خطيئته ، مع تذكيره إياهم من السالف إليهم من النعم التي خص بها أباهم آدم وغيره من آبائهم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فتاب عليه)

وقوله (فتاب عليه) يعني على آدم والهاء التي في عليه عائدة على آدم ، وقوله (فتاب عليه) يعني رزقه التوبة من خطيئته والتوبة معناها الإنابة إلى الله والأوبة إلى طاعته مما يكره من معصيته .

_ القول في تأويل قوله تعالى (إنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا)

وتأويل قوله (إنه هو التواب الرحيم) أن الله هو التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه ، وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربه إنابته إلى طاعته وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيما مما يكرهه ربه ،

فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك ويتوب من غضبه عليه إلى الرضا عنه ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه ، وأما قوله (الرحيم) فإنه يعني أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة ورحمته إياه إقالة عثرته وصفحه عن عقوبة جرمه ، وقد ذكرنا القول في تأويل قوله (قلنا اهبطوا منها جميعا) فيما مضى فلا حاجة بنا إلى إعادته إذ كان معناه في هذا الموضع هو معناه في ذلك الموضع .

742_ عن أبي صالح في قوله (اهبطوا منها جميعا) قال آدم وحواء والحية وإبليس .

_ القول في تأويل قوله تعالى (فإما يأتينكم مني هدى)

وتأويل قوله (فإما يأتينكم) فإن يأتكم وما التي مع إن توكيد للكلام ولدخولها مع إن أدخلت النون المشددة في يأتينكم تفرقة بدخولها بين ما التي تأتي بمعنى توكيد الكلام التي تسميها أهل العربية صلة وحشوا ، وبين ما التي تأتي بمعنى الذي فتؤذن بدخولها في الفعل ، أن ما التي مع إن التي بمعنى الجزاء توكيد ، وليست ما التي بمعنى الذي ،

وقد قال بعض نحويي البصريين إن إما إن زيدت معها ما ، وصار الفعل الذي بعده بالنون الخفيفة أو الثقيلة وقد يكون بغير نون ، وإنما حسنت فيه النون لما دخلته ما لأن ما نفي فهي مما ليس بواجب ، وهي الحرف الذي ينفي الواجب ، فحسنت فيه النون ،

نحو قولهم بعين ما أرينك حين أدخلت فيها ما حسنت النون فيما هنا ، وقد أنكر جماعة من أهل العربية دعوى قائلي هذه المقالة أن ما التي مع بعين ما أرينك بمعنى الجحد وزعموا أن ذلك بمعنى

التوكيد للكلام ، وقال آخرون بل هو حشو في الكلام ومعناها الحذف وإنما معنى الكلام بعين أراك ، وغير جائز أن يجعل مع الاختلاف فيه أصلا يقاس عليه غيره .

_ القول في تأويل قوله تعالى (مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

والهدى في هذا الموضع البيان والرشاد كما حدثنا :

743_ عن أبي العالية في قوله (فإما يأتينكم مني هدى) قال الهدى الأنبياء والرسل والبيان .

فإن كان ما قال أبو العالية في ذلك كما قال فالخطاب بقوله (اهبطوا) وإن كان لآدم وزوجته فيجب أن يكون مرادا به آدم وزوجته وذريتهما ، فيكون ذلك حينئذ نظير قوله (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) بمعنى أتينا بما فينا من الخلق طائعين ،

ونظير قوله في قراءة ابن مسعود ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرهم مناسكهم فجمع قبل أن تكون ذرية وهو في قراءتنا (وأرنا مناسكنا) ، وكما يقول القائل لآخر كأنك قد تزوجت وولد لك وكثرتم وعززتم ونحو ذلك من الكلام ،

وإنما قلنا إن ذلك هو الواجب على التأويل الذي ذكرناه عن أبي العالية لأن آدم كان هو النبي أيام حياته بعد أن أهبط إلى الأرض والرسول من الله إلى ولده ، فغير جائز أن يكون معنيا وهو الرسول بقوله (فإما يأتينكم مني هدى) خطابا له ولزوجته فإما يأتينكم مني هدى أنبياء ورسل إلا على ما وصفت من التأويل ،

وقول أبي العالية في ذلك وإن كان وجها من التأويل تحتمله الآية فأقرب إلى الصواب منه عندي وأشبه بظاهر التلاوة أن يكون تأويلها فإما يأتينكم مني يا معشر من أهبطته إلى الأرض من سمائي وهو آدم وزوجته وإبليس ، كما قد ذكرنا قبل في تأويل الآية التي قبلها إما يأتينكم مني بيان من أمري وطاعتي ورشاد إلى سبيلي وديني ،

فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وإن كان قد سلف منهم قبل ذلك إلي معصية وخلاف لأمري وطاعتي ، يعرفهم بذلك جل ثناؤه أنه التائب على من تاب إليه من ذنوبه والرحيم لمن أناب إليه ، كما وصف نفسه بقوله (إنه هو التواب الرحيم) ،

وذلك أن ظاهر الخطاب بذلك إنما هو للذين قال لهم جل ثناؤه (اهبطوا منها جميعا) والذين خوطبوا به هم من سمينا في قول الحجة من الصحابة والتابعين الذين قد قدمنا الرواية عنهم ، وذلك وإن كان خطابا من الله جل ذكره لمن أهبط حينئذ من السماء إلى الأرض فهو سنة الله في جميع خلقه ،

وتعريف منه بذلك للذين أخبر عنهم في أول هذه السورة بما أخبر عنهم في قوله (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وفي قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) ، وأن حكمه فيهم إن تابوا إليه وأنابوا واتبعوا ما أتاهم من البيان من عند الله على لسان رسوله محمد أنهم عنده في الآخرة ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،

وأنهم إن هلكوا على كفرهم وضلالتهم قبل الإنابة والتوبة كانوا من أهل النار المخلدين فيها ، وقوله (فمن تبع هداي) يعني فمن اتبع بياني الذي أبينه على ألسن رسلي أو مع رسلي .

744_ عن أبي العالية (فمن تبع هداي) يعني بياني .

وقوله (فلا خوف عليهم) يعني فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله غير خائفين عذابه بما أطاعوا الله في الدنيا واتبعوا أمره وهداه وسبيله (ولا هم يحزنون) يومئذ على ما خلفوا بعد وفاتهم في الدنيا .

745_ عن ابن زيد (لا خوف عليهم) يقول لا خوف عليكم أمامكم وليس شيء أعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت فأمنهم منه وسلاهم عن الدنيا فقال (ولا هم يحزنون) .

وقوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني والذين جحدوا آياتي وكذبوا رسلي وآيات الله حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته وما جاءت به الرسل من الأعلام والشواهد على ذلك وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربها ، وقد بينا أن معنى الكفر التغطية على الشيء (أولئك أصحاب النار) يعني أهلها الذين هم أهلها دون غيرهم المخلدون فيها أبدا إلى غير أمد ولا نهاية .

746_ عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أقواما أصابتهم النار بخطاياهم أو بذنوبهم فأماتتهم إماتة حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة . (صحيح)

_ القول في تأويل قوله تعالى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أُوفِ بعهدكم وإياي فارهبون)

يعني بقوله جل ثناؤه (يا بني إسرائيل) يا ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ، وكان يعقوب يدعى إسرائيل بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه ، وإيل هو الله وإسرا هو العبد كما قيل جبريل بمعنى عبد الله .

747_ عن ابن عباس إن إسرائيل كقولك عبد الله .

748_ عن عبد الله بن الحارث قال إيل الله بالعبرانية .

وإنما خاطب الله بقوله (يا بني إسرائيل) أحبار اليهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله فنسبهم جل ذكره إلى يعقوب كما نسب ذرية آدم إلى آدم فقال (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) وما أشبه ذلك ،

وإنما خصهم بالخطاب في هذه الآية والتي بعدها من الآي التي ذكرهم فيها نعمه وإن كان قد تقدم ما أنزل فيهم وفي غيرهم في أول هذه السورة ما قد تقدم أن الذي احتج به من الحجج والآيات التي فيها أنباء أسلافهم وأخبار أوائلهم وقصص الأمور التي هم بعلمها مخصوصون دون غيرهم من سائر الأمم ، ليس عند غيرهم من العلم بصحته وحقيقته مثل الذي لهم من العلم به إلا لمن اقتبس علم ذلك منهم ،

فعرفهم بإطلاع محمد على علمها مع بعد قومه وعشيرته من معرفتها وقلة مزاولة محمد دراسة الكتب التي فيها أنباء ذلك أن محمدا لم يصل إلى علم ذلك إلا بوحي من الله وتنزيل منه ذلك إليه ، لأنهم من علم صحة ذلك بمحل ليس به من الأمم غيرهم ، فلذلك جل ثناؤه خص بقوله (يا بني إسرائيل) خطابهم .

749_ عن ابن عباس قوله (يا بني إسرائيل) قال يا أهل الكتاب للأحبار من يهود .

_ القول في تأويل قوله تعالى (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)

ونعمته التي أنعم بها على بني إسرائيل جل ذكره اصطفاؤه منهم الرسل وإنزاله عليهم الكتب واستنقاذه إياهم مما كانوا فيه من البلاء والضراء من فرعون وقومه إلى التمكين لهم في الأرض وتفجير عيون الماء من الحجر وإطعام المن والسلوى ، فأمر جل ثناؤه أعقابهم أن يكون ما سلف منه إلى آبائهم على ذكر وأن لا ينسوا صنيعه إلى أسلافهم وآبائهم فيحل بهم من النقم ما أحل بمن نسي نعمه عنده منهم وكفرها وجحد صنائعه عنده .

750_ عن ابن عباس (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي آلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم به من فرعون وقومه .

751_ عن أبي العالية في قوله (اذكروا نعمتي) قال نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل وأنزل عليهم الكتب .

752_ عن مجاهد (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) يعني نعمته التي أنعم على بني إسرائيل فيما سمى وفيما سوى ذلك فجر لهم الحجر وأنزل عليهم المن والسلوى وأنجاهم عن عبودية آل فرعون .

753_ عن ابن زيد في قوله (نعمتي التي أنعمت عليكم) قال نعمه عامة ولا نعمة أفضل من الإسلام والنعم بعد تبع لها ، وقرأ قول الله (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم) الآية .

وتذكير الله الذين ذكرهم جل ثناؤه بهذه الآية من نعمه على لسان رسوله محمد نظير تذكير موسى صلوات الله عليه أسلافهم على عهده الذي أخبر الله عنه أنه قال لهم ، وذلك قوله (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم)

قد تقدم بياننا معنى العهد فيما مضى من كتابنا هذا واختلاف المختلفين في تأويله والصواب عندنا من القول فيه ، وهو في هذا الموضع عهد الله ووصيته التي أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن يبينوا للناس أمر محمد أنه رسول وأنهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة أنه نبي الله وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله ،

(أوف بعهدكم) وعهده إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة ، كما قال جل ثناؤه (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) الآية ، وكما قال (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) الآية .

754_ عن ابن عباس (وأوفوا بعهدي) الذي أخذت في أعناقكم للنبي إذا جاءكم (أوف بعهدكم) أي أنجز لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الإصر والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من إحداثكم .

755_ عن أبي العالية في قوله (أوفوا بعهدي أوف بعهدكم) قال عهده إلى عباده دين الإسلام أن يتبعوه و(أوف بعهدكم) يعني الجنة .

756_ عن السدي (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) أما أوفوا بعهدي فما عهدت إليكم في الكتاب وأما أوف بعهدكم فالجنة عهدت إليكم أنكم إن عملتم بطاعتي أدخلتكم الجنة .

757_ عن ابن جريج في قوله (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) قال ذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في المائدة (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) إلى آخر الآية فهذا عهد الله الذي عهد إليهم وهو عهد الله فينا فمن أوفى بعهد الله وفى الله له بعهده .

758_ عن ابن عباس في قوله (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) يقول أوفوا بما أمرتكم به من طاعتي ونهيتكم عنه من معصيتي في النبي وفي غيره (أوف بعهدكم) يقول أرض عنكم وأدخلكم الجنة .

759_ عن ابن زيد في قوله (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) قال أوفوا بأمري أوف بالذي وعدتكم وقرأ (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) حتى بلغ (ومن أوفى بعهده من الله) قال هذا عهده إليكم الذي عهده لهم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وإياي فارهبون)

وتأويل قوله (وإياي فارهبون) وإياي فاخشوا واتقوا أيها المضيعون عهدي من بني إسرائيل والمكذبون رسولي الذي أخذت ميثاقكم فيما أنزلت من الكتب على أنبيائي أن تؤمنوا به وتتبعوه أن أحل بكم من عقوبتي إن لم تنيبوا وتتوبوا إلي باتباعه والإقرار بما أنزلت إليه ما أحللت بمن خالف أمري وكذب رسلي من أسلافكم .

760_ عن ابن عباس (وإياي فارهبون) أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره .

761_ عن أبي العالية في قوله (وإياي فارهبون) يقول فاخشون .

762_ عن السدي (وإياي فارهبون) بقول وإياي فاخشون .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون)

يعني بقوله (آمنوا) صدقوا كما قد قدمنا البيان عنه قبل ، ويعني بقوله (بما أنزلت) ما أنزل على محمد من القرآن ، ويعني بقوله (مصدقا لما معكم) أن القرآن مصدق لما مع اليهود من بني إسرائيل من التوراة فأمرهم بالتصديق بالقرآن وأخبرهم جل ثناؤه أن في تصديقهم بالقرآن تصديقا منهم للتوراة ،

لأن الذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوة محمد وتصديقه واتباعه نظير الذي من ذلك في الإنجيل والتوراة ، ففي تصديقهم بما أنزل على محمد تصديق منهم لما معهم من التوراة وفي تكذيبهم به تكذيب منهم لما معهم من التوراة ، وقوله (مصدقا) قطع من الهاء المتروكة في أنزلته من ذكر ما ، ومعنى الكلام وآمنوا بالذي أنزلته مصدقا لما معكم أيها اليهود والذي معهم هو التوراة والإنجيل .

763-764_ عن مجاهد في قول الله (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) يقول إنما أنزلت القرآن مصدقا لما معكم التوراة والإنجيل .

765_ عن أبي العالية (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) يقول يا معشر أهل الكتاب آمنوا بما أنزلت على محمد مصدقا لما معكم يقول لأنهم يجدون محمدا مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تكونوا أول كافر به)

فإن قال لنا قائل كيف قيل (ولا تكونوا أول كافر به) والخطاب فيه لجمع وكافر واحد ؟ وهل نجيز إن كان ذلك جائزا أن يقول قائل لا تكونوا أول رجل قام ؟ قيل له إنما يجوز توحيد ما أضيف له أفعل ، وهو خبر لجمع إذا كان مشتقا من فعل ويفعل ،

لأنه يؤدي عن المراد معه المحذوف من الكلام ، وهو من ويقوم مقامه في الأداء عن معنى ما كان يؤدي عنه من من الجمع والتأنيث وهو في لفظ واحد ، ألا ترى أنك تقول ولا تكونوا أول من يكفر به فمن بمعنى جمع وهو غير متصرف تصرف الأسماء للتثنية والجمع والتأنيث ،

فإذا أقيم الاسم المشتق من فعل ويفعل مقامه جرى وهو موحد مجراه في الأداء عما كان يؤدي عنه من معنى الجمع والتأنيث ، كقولك الجيش ينهزم والجند يقبل ، فتوحد الفعل لتوحيد لفظ الجيش والجند ، وغير جائز أن يقال الجيش رجل والجند غلام حتى تقول الجند غلمان والجيش رجال ، لأن الواحد من عدد الأسماء التي هي غير مشتقة من فعل ويفعل ، لا يؤدي عن معنى الجماعة منهم ،

ومن ذلك قول الشاعر وإذا هم طعموا فألأم طاعم / وإذا هم جاعوا فشر جياع ، فوحد مرة على ما وصفت من نية من وإقامة الظاهر من الاسم الذي هو مشتق من فعل ويفعل مقامه وجمع أخرى على الإخراج على عدد أسماء المخبر عنهم ، ولو وحد حيث جمع أو جمع حيث وحد كان صوابا جائزا ،

فأما تأويل ذلك فإنه يعني به يا معشر أحبار أهل الكتاب صدقوا بما أنزلت على رسولي محمد من القرآن المصدق كتابكم والذي عندكم من التوراة والإنجيل المعهود إليكم فيهما أنه رسولي ونبيي المبعوث بالحق ، ولا تكونوا أول من كذب به وجحد أنه من عندي وعندكم من العلم به ما ليس عند غيركم ، وكفرهم به جحودهم أنه من عند الله ،والهاء التي في به من ذكر ما التي مع قوله (وآمنوا بما أنزلت) .

766_ عن ابن جريج في قوله (ولا تكونوا أول كافر به) بالقرآن .

767_ عن أبي العالية (ولا تكونوا أول كافر به) يقول لا تكونوا أول من كفر بمحمد .

وقال بعضهم (ولا تكونوا أول كافر به) يعني بكتابكم ويتأول أن في تكذيبهم بمحمد تكذيبا منهم بكتابهم لأن في كتابهم الأمر باتباع محمد ، وهذان القولان من ظاهر ما تدل عليه التلاوة بعيدان ، وذلك أن الله أمر المخاطبين بهذه الآية في أولها بالإيمان بما أنزل على محمد ،

فقال جل ذكره (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) ، ومعقول أن الذي أنزله الله في عصر محمد هو القرآن لا محمد لأن محمدا صلوات الله عليه رسول مرسل لا تنزيل منزل والمنزل هو الكتاب ، ثم نهاهم أن يكونوا أول من يكفر بالذي أمرهم بالإيمان به في أول الآية من أهل الكتاب ،

فذلك هو الظاهر المفهوم ، ولم يجر لمحمد في هذه الآية ذكر ظاهر فيعاد عليه بذكره مكنيا في قوله (ولا تكونوا أول كافر به) ، وإن كان غير محال في الكلام أن يذكر مكني اسم لم يجر له ذكر ظاهر في الكلام ، وكذلك لا معنى لقول من زعم أن العائد من الذكر في به على ما التي في قوله (لما معكم) ،

لأن ذلك وإن كان محتملا ظاهر الكلام فإنه بعيد مما يدل عليه ظاهر التلاوة والتنزيل لما وصفنا قبل من أن المأمور بالإيمان به في أول الآية هو القرآن ، فكذلك الواجب أن يكون المنهي عن الكفر به في آخرها هو القرآن ، وإما أن يكون المأمور بالإيمان به غير المنهي عن الكفر به في كلام واحد وآية واحدة ، فذلك غير الأشهر الأظهر في الكلام هذا مع بعد معناه في التأويل .

768_ عن ابن عباس (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به) وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

769_ عن أبي العالية (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يقول لا تأخذوا عليه أجرا قال هو مكتوب عندهم في الكتاب الأول يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا .

وقال آخرون بما :

770 _ عن السدي (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يقول لا تأخذوا طعما قليلا وتكتموا اسم الله فذلك الطعم هو الثمن .

فتأويل الآية إذا لا تبيعوا ما أتيتكم من العلم بكتابي وآياته بثمن خسيس وعرض من الدنيا قليل ، وبيعهم إياه تركهم إبانة ما في كتابهم من أمر محمد للناس وأنه مكتوب فيه أنه النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل بثمن قليل وهو رضاهم بالرياسة على أتباعهم من أهل ملتهم ودينهم وأخذهم الأجر ممن بينوا له ذلك على ما بينوا له منه ،

وإنما قلنا معنى ذلك لا تبيعوا لأن مشتري الثمن القليل بآيات الله بائع الآيات بالثمن ، فكل واحد من الثمن والمثمن مبيع لصاحبه وصاحبه به مشتري ، وإنما معناه على ما تأوله أبو العالية بينوا للناس أمر محمد ولا تبتغوا عليه منهم أجرا فيكون حينئذ نهيه عن أخذ الأجر على تبيينه هو النهي عن شراء الثمن القليل بآياته .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وإياي فاتقون)

يقول فاتقون في بيعكم آياتي بالخسيس من الثمن وشرائكم بها القليل من العرض وكفركم بما أنزلت على رسولي وجحودكم نبوة نبيه أن أحل بكم ما أحللت بأخلافكم الذين سلكوا سبيلكم من المثلات والنقمات .

_ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تَلبِسُوا الحقَّ بالباطلِ وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)

يعني بقوله (ولا تلبسوا) لا تخلطوا واللبس هو الخلط يقال منه لبست عليهم الأمر ألبسه لبسا إذا خلطته عليهم .

771_ عن ابن عباس في قوله (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يقول لخلطنا عليهم ما يخلطون .

ومنه قول العجاج لما لبسن الحق بالتجنِّي / غنَّيْنَ واستبدلن زيدا مِنِّي ، يعني بقوله لبسن خلطن ، وأما اللبس فإنه يقال منه لبسته ألبسه لبسا وملبسا وذلك في الكسوة يكتسيها فيلبسها ، ومن اللبس قول الأخطل لقد لبست لهذا الدهر أعصُرَه / حتى تجلل رأسي الشيبُ واشتعلا ،

ومن اللبس قول الله (وللبسنا عليهم ما يلبسون) ، فإن قال لنا قائل وكيف كانوا يلبسون الحق بالباطل وهم كفار وأي حق كانوا عليه مع كفرهم بالله ؟ قيل إنه كان فيهم منافقون منهم يظهرون التصديق بمحمد ويستبطنون الكفر به ، وكان عظمهم يقولون محمد نبي مبعوث إلا أنه مبعوث إلى غيرنا ،

فكان لبس المنافق منهم الحق بالباطل إظهاره الحق بلسانه وإقراره لمحمد وبما جاء به جهارا وخلطة ذلك الظاهر من الحق بالباطل الذي يستبطنه ، وكان لبس المقر منهم بأنه مبعوث إلى غيرهم الجاحد أنه مبعوث إليهم إقراره بأنه مبعوث إلى غيرهم وهو الحق وجحوده أنه مبعوث إليهم وهو الباطل وقد بعثه الله إلى الخلق كافة فذلك خلطهم الحق بالباطل ولبسهم إياه به .

772_ عن ابن عباس قوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل) قال لا تخلطوا الصدق بالكذب .

773_ عن أبي العالية (ولا تلبسوا الحق بالباطل) يقول لا تخلطوا الحق بالباطل وأدوا النصيحة لعباد الله في أمر محمد عليه الصلاة والسلام .

774_ عن مجاهد (ولا تلبسوا الحق بالباطل) قال اليهودية والنصرانية بالإسلام .

775_ عن ابن زيد في قوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل) قال الحق التوراة الذي أنزل الله على موسى والباطل الذي كتبوه بأيديهم .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)

وفي قوله (وتكتموا الحق) وجهان من التأويل ، أحدهما أن يكون الله نهاهم عن أن يكتموا الحق كما نهاهم أن يلبسوا الحق بالباطل ، فيكون تأويل ذلك حينئذ ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تكتموا الحق ، ويكون قوله (وتكتموا) عند ذلك مجزوما بما جزم به (تلبسوا) عطفا عليه ،

والوجه الآخر منهما أن يكون النهي من الله لهم عن أن يلبسوا الحق بالباطل ، ويكون قوله (وتكتموا الحق) خبرا منه عنهم بكتمانهم الحق الذي يعلمونه فيكون قوله وتكتموا حينئذ منصوبا لانصرافه عن معنى قوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل) ، إذ كان قوله (ولا تلبسوا) نهيا وقوله (وتكتموا الحق) خبرا معطوفا عليه ،

غير جائز أن يعاد عليه ما عمل في قوله (تلبسوا) من الحرف الجازم ، وذلك هو المعنى الذي يسميه النحويون صرفا ، ونظير ذلك في المعنى والإعراب قول الشاعر لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله / عارٌ عليك إذا فعلت عظيم ، فنصب تأتي على التأويل الذي قلنا في قوله (وتكتموا) الآية ،

لأنه لم يرد لا تنه عن خلق ولا تأت مثله وإنما معناه لا تنه عن خلق وأنت تأتي مثله ، فكان الأول نهيا والثاني خبرا ، فنصب الخبر إذ عطفه على غير شكله ، فأما الوجه الأول من هذين الوجهين اللذين ذكرنا أن الآية تحتملهما فهو على مذهب ابن عباس .

776_ عن ابن عباس قوله (وتكتموا الحق) يقول ولا تكتموا الحق وأنتم تعلمون .

777_ عن ابن عباس (وتكتموا الحق) أي ولا تكتموا الحق .

وأما الوجه الثاني منهما فهو على مذهب أبي العالية ومجاهد .

778-779_ عن أبي العالية (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) قال كتموا بعث محمد . وعن مجاهد نحوه .

وأما تأويل الحق الذي كتموه وهم يعلمونه فهو ما حدثنا :

780_ عن ابن عباس (وتكتموا الحق) يقول لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وما جاء به وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم .

781_ عن ابن عباس (وتكتموا الحق) يقول إنكم قد علمتم أن محمدا رسول الله فنهاهم عن ذلك .

782-783_ عن مجاهد في قول الله (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) قال يكتم أهل الكتاب محمدا وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل .

784_ عن السدي (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) قال الحق هو محمد .

785_ عن أبي العالية (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) قال كتموا بعث محمد وهم يجدونه مكتوبا عندهم .

786_ عن مجاهد تكتمون محمدا وأنتم تعلمون وأنتم تجدونه عندكم في التوراة والإنجيل .

فتأويل الآية إذا ولا تخلطوا على الناس أيها الأحبار من أهل الكتاب في أمر محمد وما جاء به من عند ربه وتزعموا أنه مبعوث إلى بعض أجناس الأمم دون بعض أو تنافقوا في أمره وقد علمتم أنه مبعوث إلى جميعكم وجميع الأمم غيركم ،

فتخلطوا بذلك الصدق بالكذب وتكتموا به ما تجدونه في كتابكم من نعته وصفته وأنه رسولي إلى الناس كافة وأنتم تعلمون أنه رسولي وأن ما جاء به إليكم فمن عندي وتعرفون أن من عهدي الذي أخذت عليكم في كتابكم الإيمان به وبما جاء به والتصديق به .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)

ذُكِر أن أحبار اليهود والمنافقين كانوا يأمرون الناس بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولا يفعلونه فأمرهم الله بإقام الصلاة مع المسلمين المصدقين بمحمد وبما جاء به وإيتاء زكاة أموالهم معهم وأن يخضعوا لله ولرسوله كما خضعوا .

787_ عن قتادة في قوله (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) قال فريضتان واجبتان فأدوهما إلى الله .

وقد بينا معنى إقامة الصلاة فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا إعادته ، أما إيتاء الزكاة فهو أداء الصدقة المفروضة ، وأصل الزكاة نماء المال وتثميره وزيادته ، ومن ذلك قيل زكا الزرع إذا كثر ما أخرج الله منه وزكت النفقة إذا كثرت وقيل زكا الفرد إذا صار زوجا بزيادة الزائد عليه حتى صار به شفعا ،

كما قال الشاعر كانوا خَسّاً أو زكاً من دون أربعة / لم يُخلَقُوا وجدود الناس تعتلج ، وقال آخر فلا خساً عديدُهُ ولا زكا / كما شرار البقل أطراف السَّفَا ، السفا شوك البهمى والبهمى الذي يكون مدورا في السلاء ، يعني بقوله ولا زكا لم يصيرهم شفعا من وتر بحدوثه فيهم ،

وإنما قيل للزكاة زكاة وهي مال يخرج من مال لتثمير الله بإخراجها مما أخرجت منه ما بقي عند رب المال من ماله ، وقد يحتمل أن تكون سميت زكاة لأنها تطهير لما بقي من مال الرجل وتخليص له من أن تكون فيه مظلمة لأهل السهمان ،

كما قال جل ثناؤه مخبرا عن نبيه موسى صلوات الله عليه (أقتلت نفسا زكية) يعني بريئة من الذنوب طاهرة ، وكما يقال للرجل هو عدل زكي لذلك المعنى ، وهذا الوجه أعجب إليَّ في تأويل زكاة المال من الوجه الأول وإن كان الأول مقبولا في تأويلها ،

وإيتاؤها إعطاؤها أهلها ، وأما تأويل الركوع فهو الخضوع لله بالطاعة يقال منه ركع فلان لكذا وكذا إذا خضع له ، ومنه قول الشاعر بيعت بكسرٍ لئيم واستغاث بها / من الهزال أبوها بعد ما ركعا ، يعني بعدما خضع من شدة الجهد والحاجة ،

وهذا أمر من الله لمن ذكر من أحبار بني إسرائيل ومنافقيها بالإنابة والتوبة إليه وبإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والدخول مع المسلمين في الإسلام والخضوع له بالطاعة ، ونهي منه لهم عن كتمان ما قد علموه من نبوة محمد بعد تظاهر حججه عليهم بما قد وصفنا قبل فيما مضى من كتابنا هذا ، وبعد الإعذار إليهم والإنذار وبعد تذكيرهم نعمه إليهم وإلى أسلافهم تعطفا منه بذلك عليهم وإبلاغا إليهم في المعذرة .

_ القول في تأويل قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)

اختلف أهل التأويل في معنى البر الذي كان المخاطبون بهذه الآية يأمرون الناس به وينسون أنفسهم بعد إجماع جميعهم على أن كل طاعة لله فهي تسمى بِرّا .

788_ عن ابن عباس (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) أي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجحدون ما تعلمون من كتابي .

789_ عن ابن عباس في قوله (أتأمرون الناس بالبر) يقول أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة (وتنسون أنفسكم) .

وقال آخرون بما حدثني :

790_ عن السدي (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) قال كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وهم يعصونه .

791_ عن قتادة في قوله (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) قال كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون فعيرهم الله .

792_ عن ابن جريج (أتأمرون الناس بالبر) قال أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فعيرهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة .

وقال آخرون بما حدثني :

793_ عن ابن زيد قال هؤلاء اليهود كان إذا جاء الرجل يسألهم ما ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق ، فقال الله لهم (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) .

794 _ عن أبي قلابة في قول الله (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب) قال قال أبو الدرداء لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتا .

قال أبو جعفر وجميع الذي قال في تأويل هذه الآية من ذكرنا قوله متقارب المعنى ، لأنهم وإن اختلفوا في صفة البر الذي كان القوم يأمرون به غيرهم الذين وصفهم الله بما وصفهم به ، فهم متفقون في أنهم كانوا يأمرون الناس بما لله فيه رضا من القول أو العمل ويخالفون ما أمروهم به من ذلك إلى غيره بأفعالهم ،

فالتأويل الذي يدل على صحته ظاهر التلاوة إذا أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه فهلا تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم ، معيرهم بذلك ومقبحا إليهم ما أتوا به ، ومعنى نسيانهم أنفسهم في هذا الموضع نظير النسيان الذي قال جل ثناؤه (نسوا الله فنسيهم) بمعنى تركوا طاعة الله فتركهم الله من ثوابه .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وأنتم تتلون الكتاب)

يعني بقوله (تتلون) تدرسون وتقرءون .

795_ عن ابن عباس (وأنتم تتلون الكتاب) يقول تدرسون الكتاب بذلك .
ويعني بالكتاب التوراة .

_ القول في تأويل قوله تعالى (أفلا تعقلون)

يعني بقوله (أفلا تعقلون) أفلا تفقهون وتفهمون قبح ما تأتون من معصيتكم ربكم التي تأمرون الناس بخلافها وتنهونهم عن ركوبها وأنتم راكبوها وأنتم تعلمون أن الذي عليكم من حق الله وطاعته في اتباع محمد والإيمان به وبما جاء به مثل الذي على من تأمرونه باتباعه .

796_ عن ابن عباس (أفلا تعقلون) يقول أفلا تفهمون .

فنهاهم عن هذا الخلق القبيح ، وهذا يدل على صحة ما قلنا من أمر أحبار يهود بني إسرائيل غيرهم باتباع محمد وأنهم كانوا يقولون هو مبعوث إلى غيرنا كما ذكرنا قبل .

_ القول في تأويل قوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين)

يعني بقوله جل ثناؤه (واستعينوا بالصبر) استعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتموني في كتابكم من طاعتي واتباع أمري وترك ما تهوونه من الرياسة وحب الدنيا إلى ما تكرهونه من التسليم لأمري واتباع رسولي محمد بالصبر عليه والصلاة ، وقد قيل إن معنى الصبر في هذا الموضع الصوم والصوم بعض معاني الصبر عندنا ،

بل تأويل ذلك عندنا أن الله أمرهم بالصبر على ما كرهته نفوسهم من طاعة الله وترك معاصيه ، وأصل الصبر منع النفس محابها وكفها عن هواها ، ولذلك قيل للصابر على المصيبة صابر لكفه نفسه عن الجزع ، وقيل لشهر رمضان شهر الصبر لصبر صائمه عن المطاعم والمشارب نهارا ،

وصبره إياهم عن ذلك حبسه لهم وكفه إياهم عنه كما يُصبَر الرجل المسيء للقتل فتحبسه عليه حتى تقتله ، ولذلك قيل قتل فلان فلانا صبرا يعني به حبسه عليه حتى قتله فالمقتول مصبور والقاتل صابر ، وأما الصلاة فقد ذكرنا معناها فيما مضى .

فإن قال لنا قائل قد علمنا معنى الأمر بالاستعانة بالصبر على الوفاء بالعهد والمحافظة على الطاعة فما معنى الأمر بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله وترك معاصيه والتعري عن الرياسة وترك الدنيا ؟ قيل إن الصلاة فيها تلاوة كتاب الله الداعية آياته إلى رفض الدنيا وهجر نعيمها المسلية النفوس عن زينتها وغرورها المذكرة الآخرة وما أعد الله فيها لأهلها ، ففي الاعتبار بها المعونة لأهل طاعة الله على الجد فيها ، كما روي عن نبينا أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

797_ عن حذيفة قال كان رسول الله إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة . (صحيح لغيره)

798_ عن حذيفة قال كان رسول الله إذا حزبه أمرٌ صَّلى . (صحيح)

وكذلك روي عنه أنه رأى أبا هريرة منبطحا على بطنه فقال له اشكنب درد ؟ قال نعم ، قال قم فصل فإن في الصلاة شفاء .

(أقول روي ابن ماجة في سننه (3458) وغيره عن أبي هريرة قال هجَّرَ النبي فهجَّرتُ فصليت ثم جلست فالتفت إليَّ النبي فقال اشكنب درد ؟ قلت نعم يا رسول الله ، قال قم فصلِّ فإن في الصلاة شفاء . (حسن))

فأمر الله الذين وصف أمرهم من أحبار بني إسرائيل أن يجعلوا مفزعهم في الوفاء بعهد الله الذي عاهدوه إلى الاستعانة بالصبر والصلاة ،

كما أمر نبيه محمدا بذلك فقال له (فاصبر) يا محمد (على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) ، فأمره جل ثناؤه في نوائبه بالفزع إلى الصبر والصلاة .

799_ عن عبد الرحمن الغطفاني أن ابن عباس نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) .

800_ عن أبي العالية (واستعينوا بالصبر والصلاة) قال يقول استعينوا بالصبر والصلاة على مرضاة الله واعلموا أنهما من طاعة الله .

801_ عن ابن جريج في قوله (واستعينوا بالصبر والصلاة) قال إنهما معونتان على رحمة الله .

802_ عن ابن زيد في قوله (واستعينوا بالصبر والصلاة) الآية قال قال المشركون والله يا محمد إنك لتدعونا إلى أمر كبير قال إلى الصلاة والإيمان بالله .

_ القول في تأويل قوله تعالى (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين)

يعني بقوله جل ثناؤه (وإنها) وإن الصلاة فالهاء والألف في وإنها عائدتان على الصلاة ، وقد قال بعضهم إن قوله (وإنها) بمعنى إن إجابة محمد ولم يجر لذلك بلفظ الإجابة ذكر فتجعل الهاء والألف كناية عنه ، وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته ، ويعني بقوله (لكبيرة) لشديدة ثقيلة .

803_ عن الضحاك في قوله (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) قال إنها لثقيلة .

ويعني بقوله (إلا على الخاشعين) إلا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطواته المصدقين بوعده ووعيده .

804_ عن ابن عباس (إلا على الخاشعين) يعني المصدقين بما أنزل الله .

805_ عن أبي العالية في قوله (إلا على الخاشعين) قال يعني الخائفين .

806-807_ عن مجاهد (إلا على الخاشعين) قال المؤمنين حقا .

808_ عن ابن زيد قال الخشوع الخوف والخشية لله وقرأ قول الله (خاشعين من الذل) قال قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له .

وأصل الخشوع التواضع والتذلل والاستكانة ، ومنه قول الشاعر لما أتى خبر الزبير تواضعت / سُورُ المدينة والجبال الخُشَّع ، يعني والجبال خشع متذللة لعظم المصيبة بفقده ، فمعنى الآية واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله وكفها عن معاصي الله ، ، وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر المقربه من مراضي الله ، العظيمة إقامتها إلا على المتواضعين لله المستكينين لطاعته المتذللين من مخافته .

_ القول في تأويل قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون)

إن قال لنا قائل وكيف أخبر الله عمن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة أنه يظن أنه ملاقيه والظن شك والشاك في لقاء الله عندك بالله كافر ؟ قيل له إن العرب قد تسمي اليقين ظنا والشك ظنا ، نظير تسميتهم الظلمة سُدفَة والضياء سدفة والمغيث صارخا والمستغيث صارخا ،

وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمي بها الشيء وضده ، ومما يدل على أنه يسمى به اليقين قول دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بألفي مُدجَّجٍ / سَرَاتُهُم في الفارسيِّ المُسَرَّدِ ، يعني بذلك تيقنوا ألفي مدجج تأتيكم ، وقول عميرة بن طارق بأن تغتزوا قومي وأقعد فيكم / وأجعل مني الظن غيباً مُرَجمًّا ، يعني وأجعل مني اليقين غيبا مرجما ،

والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن تحصى ، وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية ، ومنه قول الله (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها) ، وبمثل الذي قلنا في ذلك جاء تفسير المفسرين .

809_ عن أبي العالية في قوله (يظنون أنهم ملاقو ربهم) قال إن الظن ها هنا يقين .

810_ عن مجاهد قال كل ظن في القرآن يقين إني ظننت وظنوا .

811_ عن مجاهد قال كل ظن في القرآن فهو علم .

812_ عن السدي (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) أمّا يظنون فيستيقنون .

813_ عن ابن جريج (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) علموا أنهم ملاقو ربهم هي كقوله (إني ظننت أني ملاق حسابيه) يقول علمت .

814_ عن ابن زيد في قوله (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) قال لأنهم لم يعاينوا فكان ظنهم يقينا وليس ظنا في شك وقرأ (إني ظننتُ أنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَه) .

__ كتب سابقة :

1_ الكامل في السُّنن ، أول كتاب علي الإطلاق يجمع السنة النبوية كلها ، بكل من رواها من الصحابة ، بكل ألفاظها ومتونها المختلفة ، من أصح الصحيح إلي أضعف الضعيف ، مع الحكم علي جميع الأحاديث ، وفيه (64,000) أربعة وستون ألف حديث / الإصدار الخامس

2_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث (الإيمان معرفةٌ وقولٌ وعمل) وحديث (النظر إلي وجه عليٍّ عبادة) وبيان معناه وحديث (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها) وتصحيح الأئمة له

3_ الكامل في الأحاديث الضعيفة / الإصدار الثالث / إصدار جديد يحوي متون الأحاديث الضعيفة بغير تكرار لأسانيدها ولمن رواها من الصحابة

4_ الكامل في الأحاديث المتروكة والمكذوبة / الإصدار الثالث / إصدار جديد يحوي متون الأحاديث المتروكة والمكذوبة بغير تكرار لأسانيدها ولمن رواها من الصحابة

5_ الكامل في أحاديث فضل الصلاة علي النبي / 160 حديث

6_ الكامل في أحاديث فضائل الصحابة / 4900 حديث

7_ الكامل في أحاديث فضائل آل البيت لقرابتهم من النبي / 1700 حديث

8_ الكامل في أحاديث فضائل أبي بكر الصديق / 800 حديث

9_ الكامل في أحاديث فضائل عمر بن الخطاب / 600 حديث

10_ الكامل في أحاديث فضائل عثمان بن عفان / 350 حديث

11_ الكامل في أحاديث فضائل علي بن أبي طالب / 950 حديث

12_ الكامل في أحاديث فضائل معاوية بن أبي سفيان / 100 حديث

13_ الكامل في أحاديث أحبِّ الصحابة إلي النبي / 40 حديث

14_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث اطلبوا الخير عند حِسان الوجوه من (20) طريقا عن النبي وبيان معناه

15_ الكامل في أحاديث أشراط الساعة الصغري / 3700 حديث

16_ الكامل في تواتر حديث مهديِّ آخر الزمان من (30) طريقا مختلفا إلي النبي

17_ الكامل في أحاديث زواج النبي من (25) امرأة وطلق عشرة وارتدت واحدة وما تبع ذلك من أقاويل / 200 حديث

18_ الكامل في أحاديث ما كان لدي النبي من مِلك يمين وما تبع ذلك من أقاويل / 60 حديث

19_ الكامل في تواتر حديث رجم الزاني المحصن من (65) طريقا مختلفا إلي النبي

20_ الكامل في تفاصيل حديث غفر الله لبغيٍّ بسقيا كلب وبيان أنه ورد في غفران الصغائر وأن كلمة بغي تطلق لغويا علي من زنت مرة واحدة / 30 حديث وأثر

21_ الكامل في أحاديث المتعة وأيما رجل وامرأة تمتّعا فعِشرة ما بينهما ثلاثة أيام وأنها أبيحت للصحابة فقط وما تبع ذلك من أقاويل / 90 حديث

22_ الكامل في أحاديث زواج النبي من عائشة وعمرها (6) ست سنوات ودخل بها وعمرها (9) تسع سنوات وعمره (54) أربعة وخمسين عاما / 100 حديث

23_ الكامل في أحاديث لعن النبي المتبرجات من النساء وما في معناه وما تبعها من أقاويل / 200 حديث

24_ الكامل في أحاديث أمر النبي النساء بالخِمار والغِلالة والذيل وما تبعها من أقاويل / 80 حديث
25_ الكامل في تواتر حديث لا نكاح إلا بولي من (12) طريقا مختلفا إلي النبي

26_ الكامل في شهرة حديث يقطع الصلاة الكلب والمرأة والحمار عن (7) سبعة من الصحابة عن النبي وجواب عائشة علي نفسها

27_ الكامل في أحاديث لا تؤمُّ امرأةٌ رجلا ولو من وراء ستار / 60 حديث

28_ الكامل في أحاديث خلقت المرأة من ضلع أعوج فدارِها تعِش بها ولن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة وما في معناه / 50 حديث

29_ الكامل في أحاديث أذِن النبي في ضرب النساء ولا ترفع عصاك عن أهلك / 50 حديث

30_ الكامل في أحاديث لا توفي المرأة حق زوجها وإن سال جسمه دما وصديدا فلحسته بلسانها ولا تُرفع لها حسنة إن باتت وزوجها عليها غاضب وما في معناه وما تبعها من أقاويل / 150 حديث

31_ الكامل في تواتر حديث لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لما عظّم الله عليها من حقه من (20) طريقا مختلفا إلي النبي وما تبعه من أقاويل

32_ الكامل في شهرة حديث لا يجوز لامرأة أمر في مالها إلا بإذن زوجها من (9) تسع طرق مختلفة إلي النبي وما تبعه من أقاويل

33_ الكامل في أحاديث كان النبي لا يصافح النساء وإن صافح وضع علي يده ثوبا / 25 حديث

34_ الكامل في تواتر حديث أكثر أهل النار النساء من (20) طريقا مختلفا إلي النبي وما تبعه من أقاويل

35_ الكامل في أحاديث كان النبي يقبِّل نساءه وهو صائم وقدرته علي ملك نفسه وحديث عائشة كان النبي يقبّلني ويمصُّ لساني / 40 حديث

36_ الكامل في أحاديث كان النبي يباشر نساءه وهي حائض وعلي فرجِها خِرقة / 40 حديث

37_ الكامل في أحاديث نهي النبي النساء عن الخروج لغير ضرورة وقال ارجعن مأزورات غير مأجورات وما في معناه / 100 حديث

38_ الكامل في أحاديث أن النبي قام لجنازة يهودي وقال إنما قمنا للملائكة وإعظاما للذي يقبض الأرواح / 20 حديث

39_ الكامل في أحاديث أشراط الساعة الكبري / 500 حديث

40_ الكامل في تواتر حديث دابة آخر الزمان من (30) طريقا مختلفا إلي النبي

41_ الكامل في تواتر حديث يأجوج ومأجوج من (30) طريقا مختلفا إلي النبي

42_ الكامل في تواتر حديث نزول عيسي آخر الزمان من (35) طريقا مختلفا إلي النبي

43_ الكامل في تواتر حديث المسيح الدجال من (100) طريق مختلف إلي النبي

44_ الكامل في زوائد مسند الديلمي وما تفرد به عن كتب الرواية / 1400 حديث

45_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من حفظ علي أمتي أربعين حديثا ومن حسّنه وعمل به من الأئمة

46_ الكامل في آيات وأحاديث وصف من لم يسلم بالسفهاء والكلاب والحمير والأنعام والقردة والخنازير وأظلم الناس وأشرِّ الناس إلي آخر ما ورد من أوصاف / 300 آية وحديث

47_ الكامل في أحاديث قول أبي طالب للنبي إن قومك أنصفوك يقولون لك لا تسبهم ولا تشتمهم ولا تسفههم ولا تقتحم مجالسهم حتي لا يسبوك ويشتموك ويؤذوك / 200 حديث

48_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أن الفتنة في قوله تعالي (والفتنة أكبر من القتل) المراد بها الكفر / أي أن الكفر والشرك أعظم عند الله من القتل

49_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث قصة الغرانيق وذِكر (25) صحابي وتابعي وإمام ممن قبِلوها وفسّروا بها القرآن

50_ الكامل في أحاديث كان النبي يخيّر المشركين بين الإسلام والقتل فمن أسلم تركه ومن أبَي قتله ونقل الإجماع علي ذلك وأن ما قبله منسوخ / 350 حديث و50 أثر

51_ الكامل في أحاديث شروط أهل الذمة وإيجاب عدم مساواتهم بالمسلمين وما تبعها من أقاويل ونفاق وحروب / 900 حديث

52_ الكامل في تواتر حديث لا يُقتل مسلم بكافر قصاصا وإن قتله عامدا وإنما له الدية فقط من (19) طريقا مختلفا إلي النبي وما تبعه من أقاويل ونفاق وحروب

53_ الكامل في تواتر حديث لا يرث الكافر من المسلم شيئا من (13) طريقا مختلفا إلي النبي وما تبعه من أقاويل ونفاق وحروب

54_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث دية الكتابيِّ نصف دية المسلم من خمسة طرق ثابتة عن النبي وما تبع ذلك من أقاويل ونفاق وحروب

55_ الكامل في أحاديث من جهر بتكذيب النبي أو قال ديننا خيرٌ من دين الإسلام يُقتل وما تبعها من أقاويل ونفاق وحروب / 100 حديث

56_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أن المرأة التي وضعت السم للنبي في الشاة قتلها النبي وصَلَبَها

57_ الكامل في تواتر حديث من أسلم ثم تنصّر أو تهوّد أو كفر فاقتلوه من (40) طريقا مختلفا إلي النبي ونقل الإجماع علي ذلك وبيان اختلاف حد الردة عن حد المحاربة وما تبعه من أقاويل ونفاق وحروب

58_ الكامل في تواتر حديث أخرجوا اليهود والنصاري من جزيرة العرب ولا يسكنها إلا مسلم من (14) طريقا مختلفا إلي النبي وما تبعه من أقاويل ونفاق وحروب

59_ الكامل في أحاديث من أبَي الإسلام فخذوا منه الجزية والخَرَاج ثلاثة أضعاف ما علي المسلم واجعلوا عليهم الذل والصَّغار وما تبعها من أقاويل ونفاق وحروب / 200 حديث

60_ الكامل في أحاديث من أبَي الجزية والخَرَاج وشروط أهل الذمة أو خالفها حكم فيهم النبي بالقتل وأخذ أموالهم غنائم ونسائهم وأطفالهم سبايا وما تبعها من أقاويل ونفاق وحروب / 250 حديث

61_ الكامل في شهرة حديث أمرنا النبي أن نكشف عن فرج الغلام فمن نبت شعر عانته قتلناه ومن لم ينبت شعر عانته جعلناه في الغنائم السبايا من (10) طرق مختلفة إلي النبي وما تبعه من أقاويل ونفاق وحروب

62_ الكامل في أحاديث من شهد الشهادتين فهو مسلم له الجنة خالدا فيها وله مثل عشرة أضعاف أهل الدنيا جميعا وإن قتل وزني وسرق ومن لم يشهدهما فهو كافر مخلد في الجحيم وإن لم يؤذ إنسانا ولا حيوانا / 800 حديث

63_ الكامل في أحاديث لا يؤمن بالله من لا يؤمن بي ولا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة / 150 حديث

64_ الكامل في أحاديث أن قوله تعالي (لتجدن أقربهم مودة) نزل في أناس من أهل الكتاب لما سمعوا القرآن آمنوا به وبالنبي / 80 حديث

65_ الكامل في أحاديث نُهِينا أن نستغفر لمن لم يمت مسلما وحيثما مررتَ بقبر كافر فبشّره بالنار / 70 حديث

66_ الكامل في تواتر حديث استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي من (24) طريقا مختلفا إلي النبي وأن حديث إحياء أبوي النبي حديث آحاد بإسناد مسلسل بالكذابين والمجهولين

67_ الكامل في شهرة حديث أن أبا نبي الله إبراهيم في النار من تسع طرق مختلفة إلي النبي

68_ الكامل في تواتر حديث أطفال المشركين في النار والوائدة والموءودة في النار من (10) عشر طرق مختلفة إلي النبي

69_ الكامل في تواتر حديث سُئل النبي عن قتل أطفال المشركين فقال نعم هم من أهليهم من (11) طريقا مختلفا إلي النبي وبيانه

70_ الكامل في أحاديث إباحة التألّي علي الله وأمثلة من تألّي الصحابة علي الله أمام النبي وأحاديث النهي عنه والجمع بينهما / 70 حديث

71_ الكامل في أحاديث من رأي منكم منكرا فليغيّره وإن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمَّهم الله بالعقاب / 700 حديث

72_ الكامل في أحاديث لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقيّ ومن جالس أهل المعاصي لعنه الله / 50 حديث

73_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس ومن خلع جلباب الحياء فلا غيبة له من (10) عشر طرق عن النبي

74_ الكامل في تواتر حديث أيما امرئ سببتُه أو شتمتُه أو آذيته أو جلدته بغير حق فاللهم اجعلها له زكاة وكفّارة وقُربة من (20) طريقا مختلفا إلي النبي

75_ الكامل في أحاديث فضائل العرب وحب العرب إيمان وبغضهم نفاق / 100 حديث

76_ الكامل في أحاديث فضائل قريش وأن الله اصطفي قريشا علي سائر الناس وحب قريش إيمان وبغضهم نفاق / 200 حديث

77_ الكامل في أحاديث أُحِلَّت لي الغنائم ومن قتل كافرا فله ماله ومتاعه وأحاديث توزيع الغنائم وأنصبتها وأسهمها / 900 حديث

78_ الكامل في أحاديث من كان النبي يعطيهم المال للبقاء علي الإسلام وقولهم كنا نبغض النبي فظلَّ يعطينا المال حتي صار أحبَّ الناس إلينا / 50 حديث

79_ الكامل في أحاديث إن خُمُس الغنائم لله ورسوله وأحلَّ الله للنبي أن يصطفي لنفسه ما يشاء من الغنائم والسبايا / 100 حديث

80_ الكامل في أحاديث اغزوا تغنموا النساء الحِسان ومن لم يرض بحكم النبي قال لأقتلنَّ رجالهم ولأسبينَّ نساءهم وأطفالهم وأحاديث توزيعهم كجزء من الغنائم كتوزيع المال والمتاع / 300 حديث

81_ الكامل في أحاديث نقل العبد من سيد إلي سيد أفضل في الأجر وأعظم عند الله من عتقه ونقل الإجماع أن عتق العبيد ليس بواجب ولا فرض / 950 حديث

82_ الكامل في أحاديث لا يُقتل حرٌ بعبد قصاصا وإن قتله عامدا وعورة الأمَة المملوكة من السرة إلي الركبة وباقي الأحكام التي تختلف بين الحر والعبد / 250 حديث

83_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من عشق فعف فمات مات شهيدا وبيان معناه ومن صححه من الأئمة

84_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من حدث حديثا فعطس عنده فهو حق وبيان معناه ومن حسّنه وضعّفه من الأئمة وإنكارهم علي من قال أنه متروك أو مكذوب

85_ الكامل في أسانيد وتضعيف حديث نبات الشعر في الأنف أمان من الجذام وتضعيف الأئمة له وإنكارهم علي من قال أنه متروك أو مكذوب

86_ الكامل في تواتر حديث لا تأتوا النساء في أدبارهن ولعن الله من أتي امرأته في دبرها من (19) طريقا مختلفا إلي النبي

87_ الكامل في تواتر حديث الشؤم في الدار والمرأة والفرس عن (9) تسعة من الصحابة عن النبي وإنكارهم علي عائشة

88_ الكامل في تواتر حديث شهادة امرأتين تساوي شهادة رجل واحد وشهادة المرأة نصف شهادة الرجل وإن كانت أصدق الناس وأوثقهم في رواية الحديث النبوي

89_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث إذا أتي الرجل امرأته فليستترا ولا يتجردا تجرد العِيرَين ونقل الإجماع أن عدم تعري الزوجين عند الجماع مستحب

90_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث لا يدخل الجنة ديوث من سبعة طرق عن النبي

91_ الكامل في شهرة حديث لعن الله المحَلِّل والمحَلَّل له من (8) ثمانية طرق مختلفة إلي النبي

92_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث مسح الوجه باليدين بعد الدعاء ومن حسّنه من الأئمة والإنكار علي من منع العمل به

93_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من زار قبري وجبت له شفاعتي ومن صححه من الأئمة وإنكارهم علي من قال أنه ضعيف أو متروك

94_ الكامل في أحاديث مِصر وحديث إذا رأيت فيها رجلين يقتتلان في موضع لبِنة فاخرج منها / 60 حديث

95_ الكامل في أحاديث الشام ودمشق واليمن وأحاديث الشام صفوة الله من بلاده وخير جُندِه / 200 حديث

96_ الكامل في أحاديث العراق والبصرة والكوفة وكربلاء / 120 حديث

97_ الكامل في أحاديث قزوين وعسقلان والقسطنطينية وخراسان ومَرو / 90 حديث

98_ الكامل في أحاديث سجود الشمس تحت العرش في الليل كل يوم والكلام عما فيها من معارضة لقوانين علم الفلك

99_ الكامل في أحاديث الأمر بالاستنجاء بثلاثة أحجار وفعل النبي لذلك (10) عشر سنين وجواب مُنكِري الاستنجاء بالمنديل علي أنفسهم / 40 حديث

100_ الكامل في أحاديث الأمر بقتل الكلاب صغيرها وكبيرها أبيضها وأسودها حتي الكلاب الأليفة وكلاب الحراسة والكلام عما نُسِخ من ذلك / 120 حديث

101_ الكامل في تواتر حديث من اقتني كلبا غير كلب الصيد والحراسة نقص من أجره كل يوم قيراط من (14) طريقا مختلفا إلي النبي

102_ الكامل في تقريب (سنن ابن ماجة) بحذف الأسانيد مع بيان الحكم علي كل حديث وبيان عدم وجود حديث متروك أو مكذوب فيه

103_ الكامل في أحاديث (سنن ابن ماجة) التي قيل أنها متروكة أو مكذوبة مع إثبات خطأ ذلك وبيان أن ليس فيه حديث متروك أو مكذوب / 140 حديث

104_ الكامل في تقريب (سنن الترمذي) بحذف الأسانيد مع بيان الحكم علي كل حديث والإبقاء علي ما فيه من الأقوال الفقهية وبيان عدم وجود حديث متروك أو مكذوب فيه

105_ الكامل في أحاديث (سنن الترمذي) التي قيل أنها متروكة أو مكذوبة مع إثبات خطأ ذلك وبيان أن ليس فيه حديث متروك أو مكذوب / 50 حديث

106_ الكامل في تواتر حديث الميت يُعَذَّبُ بما نِيح عليه عن (7) سبعة من الصحابة عن النبي وإنكارهم علي عائشة

107_ الكامل في تواتر حديث أن النبي بال قائما عن عشرة من الصحابة وإنكارهم علي عائشة

108_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن لا يُقتل مسلمٌ بكافر قصاصا وإن كان معاهدا غير محارب مع ذِكر (50) صحابيا وإماما منهم مع بيان تناقض أبي حنيفة في المسألة وجوابه علي نفسه

109_ الكامل في زوائد كتاب الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي وما تفرد به عن كتب الرواية / 700 حديث

110_ الكامل في الأسانيد مع تفصيل كل إسناد وبيان حاله وحال رواته / الجزء الأول / 2500 إسناد

111_ الكامل في أحاديث الصلاة وما ورد في فرضها وفضلها وكيفيتها وآدابها / 5700 حديث

112_ الكامل في أحاديث قتل تارك الصلاة ونقل الإجماع أن تارك الصلاة يُقتل أو يُحبس ويُضرب حتي يصلي / 90 حديث

113_ الكامل في أحاديث الوضوء وما ورد في فرضه وفضله وكيفيته وآدابه / 1000 حديث

114_ الكامل في تواتر حديث الأذنان من الرأس في الوضوء من (16) طريقا مختلفا إلي النبي

115_ الكامل في أحاديث الأذان وما ورد في فرضه وفضله وكيفيته وآدابه / 390 حديث

116_ الكامل في أحاديث الجماعة والصف الأول للرجال في الصلاة وما ورد في ذلك من فضل وآداب / 340 حديث

117_ الكامل في أحاديث القراءة خلف الإمام في الصلاة / 85 حديث

118_ الكامل في أحاديث المسح علي الخفين في الوضوء / 170 حديث

119_ الكامل في أحاديث التيمم وما ورد في فضله وكيفيته وآدابه / 90 حديث

120_ الكامل في أحاديث سجود السهو في الصلاة وما ورد في كيفيته وآدابه / 60 حديث

121_ الكامل في أحاديث صلوات النوافل وما ورد في فضلها وكيفيتها وآدابها / 980 حديث

122_ الكامل في أحاديث المساجد وما ورد في بنائها وفضلها وآدابها / 1000 حديث

123_ الكامل في أحاديث القنوت في الصلاة وما ورد في فضله وآدابه / 70 حديث

124_ الكامل في أحاديث الوتر والتهجد وقيام الليل وما ورد في فضله وكيفيته وآدابه / 870 حديث

125_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وبيان من صححه من الأئمة والجواب عن حجج من ضعفه

126_ الكامل في أحاديث السواك وما ورد في فضله وآدابه / 170 حديث

127_ الكامل في أحاديث صلاة الجنازة وما ورد في فضلها وكيفيتها وآدابها / 380 حديث

128_ الكامل في أحاديث صلاة الاستسقاء وما ورد في فضلها وكيفيتها وآدابها / 50 حديث

129_ الكامل في أحاديث صلاة الاستخارة وما ورد في فضلها وكيفيتها وآدابها / 10 أحاديث

130_ الكامل في أحاديث صلاة التسابيح وما ورد في فضلها وكيفيتها وآدابها وتصحيح أكثر من (20) إماما لها

131_ الكامل في أحاديث صلاة الحاجة وما ورد في فضلها وكيفيتها وآدابها / 35 حديث

132_ الكامل في أحاديث صلاة الخوف وما ورد في كيفيتها وآدابها / 65 حديث

133_ الكامل في أحاديث صلاة الكسوف والخسوف وما ورد في فضلها وكيفيتها وآدابها / 100 حديث

134_ الكامل في أحاديث صلاة العيدين وما ورد في فضلها وكيفيتها وآدابها / 115 حديث

135_ الكامل في أحاديث صلاة الضحي وما ورد في فضلها وكيفيتها وآدابها / 125 حديث

136_ الكامل في أحاديث رجم الزاني مع بيان أن تحريم الزني أمر شرعي وليس طبيا أو لمنع اختلاط النسل بسبب إباحة نكاح المتعة (20) سنة في أول الإسلام / 180 حديث

137_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث لا توفّي المرأة حق زوجها وإن سال جسمه دما وصديدا فلحسته بلسانها وتصحيح الأئمة له وبيان أن الحجة الوحيدة لمن ضعفه أنه لا يعجبهم

138_ الكامل في أحاديث سبب نزول آية (لا إكراه في الدين) وبيان أنها نزلت في اليهود والنصاري وليس في عموم المشركين والمرتدين والفاسقين / 85 حديث وأثر

139_ الكامل في تواتر حديث من كنتُ مولاه فعليٌّ بن أبي طالب مولاه من (40) طريقا مختلفا إلي النبي

140_ الكامل في آيات وأحاديث وإجماع إن الدين عند الله الإسلام ولا يدخل الجنة إلا مسلم وحيثما مررت بقبر كافر فبشّره بالنار وما ورد في هذه المعاني / 1300 آية وحديث

141_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث الطير من (40) طريقا إلي النبي ومن صححه من الأئمة وبيان تعنت بعض المحدثين في قبول أحاديث فضائل علي بن أبي طالب

142_ الكامل في أحاديث بعثني ربي بكسر المعازف والمزامير وبيان اختلاف حكم الغناء عن حكم المعازف / 120 حديث / مع بيان وتنبيه حول سرقة بعض كتب الكامل ونسبتها لغير صاحبها

143_ الكامل في أحاديث حرم النبي الغناء ولعن المغنِّي والمغنَّي له مع بيان اختلاف حكم المغنية الحرة عن المغنية الأمَة المملوكة واختلاف حكم الغناء عن حكم المعازف / 100 حديث

144_ الكامل في أحاديث الخمر وما ورد فيها من تحريم وذم وعقوبة ووعيد وحدود وبيان عدم امتناع الصحابة عنها قبل تحريمها / 700 حديث

145_ الكامل في تواتر حديث ما أسكر كثيره فقليله حرام من (19) طريقا مختلفا إلي النبي

146_ الكامل في تواتر حديث من شرب الخمر أربع مرات فاقتلوه من (15) طريقا مختلفا إلي النبي وبيان اختلاف الأئمة في نَسخِه

147_ الكامل في أحاديث السرقة وما ورد فيها من تحريم وذم وعقوبة ووعيد وحدود بقطع الأيدي والأرجل / 650 حديث

148_ الكامل في أحاديث حد السرقة وما ورد فيه من مقادير وقطع الأيدي والأرجل ونقل الإجماع علي ذلك / 140 حديث

149_ الكامل في أحاديث عمل قوم لوط وما ورد فيه من تحريم وذم ووعيد وعقوبة وحدود مع بيان أن تحريم ذلك أمر شرعي وليس طبي / 100 حديث

150_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث اقتلوا الفاعل والمفعول به في عمل قوم لوط مع بيان اختلاف الصحابة والأئمة في حده بين الرجم والقتل والحرق

151_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من وقع علي بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة ومن صحّحه من الأئمة والجواب عن حجج من ضعّفه

152_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين

153_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث المرأة تُقبِل وتُدبِر في صورة شيطان فمن وجد ذلك فليأت امرأته ونصرة الإمام مسلم في تصحيحه وبيان تعنت وجهالة مخالفيه

154_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث صدقك وهو كذوب وبيان فائدته الفقهية في عدم اعتبار الحالات الفردية في القواعد العامة

155_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي حد الردّة وأنه علي مجرد الخروج من الإسلام بقول أو فعل مع ذِكر (150) صحابي وإمام منهم وبيان سبب إخفار الجُدد لكثير من آثار وإجماعات الصحابة والأئمة

156_ الكامل في تقريب (سنن الدارمي) بحذف الأسانيد مع بيان الحكم علي كل حديث وبيان عدم وجود حديث متروك أو مكذوب فيه

157_ الكامل في أحاديث (سنن الدارمي) التي قيل أنها متروكة أو مكذوبة مع إثبات خطأ ذلك وبيان أن ليس فيه حديث متروك أو مكذوب / 10 أحاديث

158_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث خلق الله التربة يوم السبت ومن صححه من الأئمة ونصرة الإمام مسلم علي تعنت مخالفيه

159_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث النساء شقائق الرجال وبيان أنه ورد مخصوصا مقصورا علي الجِماع وتشابه الأبناء مع الآباء والأمهات بالوراثة

160_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث علي بن أبي طالب سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغُرِّ المُحجَّلين من خمس طرق عن النبي

161_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث يتجلَّي الله يوم القيامة لعباده عامة ويتجلي لأبي بكر خاصة من خمس طرق عن النبي

162_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أن الزهرة فتنت المَلَكين هاروت وماروت فمسخها الله كوكبا ومن صححه من الأئمة ومن قال به من الصحابة

163_ الكامل في إعادة النظر في حديث نباتُ الشَّعرِ في الأنفِ أمانٌ من الجُذام وإثبات صحته وجوابي علي نفسي وحججي حين ضعّفتُه

164_ الكامل في تقريب (صحيح ابن حبان) بحذف الأسانيد مع بيان الحكم علي كل حديث وبيان عدم وجود حديث ضعيف فيه ونصرة الإمام ابن حبان علي تعنت مخالفيه

165_ الكامل في تقريب (الأدب المفرد) للبخاري بحذف الأسانيد مع بيان الحكم علي كل حديث وبيان أن ليس فيه إلا ستة أحاديث ضعيفة فقط وبيان جواز العمل بالضعيف والضعيف جدا

166_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي الخِمار وتحريم إظهار المرأة لشئ من جسدها سوي الوجه والكفين علي الأكثر مع ذِكر (100) صحابي وإمام منهم وكشف جهالة الحدثاء الأغرار

167_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي جواز ضرب الرجل امرأته باليد والعصا مع ذِكر (100) صحابي وإمام منهم وبيان أن معني النشوز هو العصيان بالقول أو الفعل وكشف جهالة الحُدثَاء الأغرار

168_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن آيات (قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) و(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) و(إن جنحوا للسلم فاجنح لها) وأشباهها منسوخة في المشركين ومخصوصة بمزيد أحكام في أهل الكتاب مع ذِكر (120) صحابي وإمام منهم و(280) مثالا من آثارهم وأقوالهم

169_ الكامل في تقريب (الجامع الصغير وزيادته) للسيوطي ببيان الحكم علي كل حديث وإصلاح ما أفسده المتعنتون في الحكم علي أحاديثه ورفع نسبة الصحيح فيه من (55 %) إلي (90 %) مع تشكيل جميع ما في الكتاب من أحاديث / 14500 حديث

170_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع وتصحيح أكثر من (15) إماما له وبيان الأسباب الحديثية لتعنت كثير من المعاصرين في الحكم علي الأحاديث

171_ الكامل في أحاديث (مسند أحمد) التي قيل أنها متروكة أو مكذوبة مع إثبات خطأ ذلك وبيان عدم وجود حديث متروك أو مكذوب فيه وأن نسبة الصحيح فيه لا تقل عن (95 %) من أحاديثه

172_ الكامل في أحاديث (سنن أبي داود) التي قيل أنها متروكة أو مكذوبة مع إثبات خطأ ذلك وبيان عدم وجود حديث متروك أو مكذوب فيه وأن نسبة الصحيح فيه لا تقل عن (98 %) من أحاديثه

173_ الكامل في أحاديث (مستدرك الحاكم) التي قيل أنها متروكة أو مكذوبة مع إثبات خطأ ذلك وبيان عدم وجود حديث متروك أو مكذوب فيه وأن نسبة الصحيح فيه لا تقل عن (99 %) من أحاديثه

174_ الكامل في أسانيد وتضعيف حديث لا تعلموهن الكتابة وبيان أنه ليس بمتروك ولا مكذوب وأنه ورد في النهي عن تعليم المغنيات

175_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث عوِّدوا نساءكم المغزل ونِعمَ لهو المرأة المغزل من سبعة طرق عن النبي وبيان معناه

176_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث ينادي منادٍ يوم القيامة غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتي تمر علي الصراط من سبعة طرق عن النبي ومن حسّنه من الأئمة والجواب عن تعنت من لم يعجبهم الحديث

177_ الكامل في تواتر حديث الفخذ من العورة من (12) طريقا مختلفا إلي النبي وذِكر (40) إماما ممن صححوه واحتجوا به مع بيان شدة ضعف ما خالفه

178_ الكامل في تواتر حديث أوتيت القرآن ومثله معه من (13) طريقا مختلفا إلي النبي وذِكر (50) إماما ممن صححوه مع بيان (10) أوجه عقلية لوجود وحي مرويٍّ غير القرآن

179_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث اعرضوا حديثي علي القرآن من (9) تسعة طرق عن النبي وبيان سبب وروده وأن النبي قاله في روايات المجهولين غير معروفي العدالة والعلم والثقة

180_ الكامل في إثبات تصحيح (35) خمسة وثلاثين إماما منهم ابن معين لحديث أنا مدينة العلم وعلي بن أبي طالب بابها وبيان اتباع من ضعفوه لتعنتات العقيلي وجهالات ابن تيمية

181_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث النظر إلي وجه علي بن أبي طالب عبادة من (20) طريقا عن النبي وتصحيح (10) عشرة أئمة له وبيان اتباع من ضعّفوه لتعنتات ابن حبان وجهالات ابن الجوزي

182_ الكامل في أحاديث البدع والأهواء وما ورد فيها من نهي وذم ووعيد وأحاديث اتباع السنن وما ورد فيها من أمر وفضل ووعد / 1300 حديث

183_ الكامل في أحاديث القَدَر وأن الله قدّر كل شئ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وأحاديث القدرية نفاة القدر وما ورد فيهم من ذم ولعن ووعيد / 390 حديث

184_ الكامل في أحاديث المرجئة القائلين أن الإيمان قول بلا عمل وما ورد فيهم من ذم ولعن ووعيد / 30 حديث

185_ الكامل في أحاديث الخوارج وما ورد فيهم من ذم ولعن ووعيد وأحاديث بيان أن أصل الخوارج هو رفض أحكام النبي وإن لم يقتلوا أحدا / 75 حديث

186_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من وقّر صاحب بدعة فقد أعان علي هدم الإسلام من (8) ثمانية طرق عن النبي وبيان تهاون من ضعّفوه في جمع طرقه وأسانيده

187_ الكامل في أحاديث صفة الجنة وما ورد فيها من نعيم وطعام وشراب وجِماع وحور عين ودرجات وخلود ونظر إلي وجه الله / 600 حديث

188_ الكامل في أحاديث صفة النار وما ورد فيها من وعيد وعذاب ودرجات وخلود / 250 حديث

189_ الكامل في أحاديث علم القرآن والسنن وما ورد في تعلمه وتعليمه من أمر وفضل ووعد وفي الجهل به من نهي وذم ووعيد / 1400 حديث

190_ الكامل في أحاديث وإن أفتاك المفتون وبيان ما في نصوصها أن الإثم ما حاك في صدرك أنه حرام وإن أفتاك المفتون أنه حلال فإن قلب المسلم الورِع لا يسكن للحرام / 20 حديث

191_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث طلب العلم فريضة علي كل مسلم من (40) طريقا عن النبي مع بيان الفرق الجوهري بين علم الدين واختلافه وعلم المادة وثبوته

192_ الكامل في أحاديث احرقوني لئن قدر الله أن يجمعني ليعذبني وبيان أن معناه من التقدير وليس القدرة كقول نبي الله يونس (فظن أن لن نقدر عليه) وأن الرجل كان مشركا وآمن قبل موته / 25 حديث وأثر

193_ الكامل في أحاديث فضل العقل ومكانته ومدحه مع بيان إمكانية استقلال العقل بمعرفة الحسن والقبيح والمحمود والمذموم / 80 حديث

194_ الكامل في أحاديث تبرّك الصحابة بعَرَق النبي ودمه ووضوئه وريقه ونخامته وملابسه وأوانيه وبصاقه وأظافره / 100 حديث

195_ الكامل في أحاديث الأبدال وما ورد في فضلهم وبيان اتفاق الأئمة علي وجود الأبدال مع ذِكر (40) إماما ممن آمنوا بذلك منهم الشافعي وابن حنبل / 20 حديث و60 أثر

196_ الكامل في أحاديث الزهد والفقر وما ورد في ذلك من فضل ومدح ووعد وأحاديث أن الله خيّر النبي بين الغني والشبع والفقر والجوع فاختار الفقر والجوع / 750 حديث

197_ الكامل في أحاديث تقبيل الصحابة ليد النبي ورِجله وبيان استحباب الأئمة لتقبيل أيدي الأولياء والصالحين / 20 حديث

198_ الكامل في أحاديث فضائل القرآن وتلاوته وآياته وحفظه وتعلمه وتعليمه وأحاديث فضائل سور القرآن / 2000 حديث

199_ الكامل في أحاديث فضائل سورة يس وما ورد في فضل تلاوتها والمداومة عليها وقراءتها علي الأموات / 40 حديث

200_ الكامل في أحاديث من حلف بغير الله فقد أشرك ومن حلف بالأمانة فليس منا / 40 حديث

201_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من زار قبر والديه في كل جمعة غُفِر له وكُتِب بَرّاً من خمس طرق عن النبي وبيان تجاهل من ضعّفوه لطرقه وأسانيده بغضا منهم للصوفية

202_ الكامل في إثبات أن قصة عمر بن الخطاب مع القبطي وعمرو بن العاص ومتي استعبدتم الناس مكذوبة كليا مع بيان ثبوت عكسها عن عمر والصحابة وتعاملهم بالعبيد والإماء

203_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أن النبي سُئل هل ينكح أهل الجنة فقال نعم دَحْماً دحما بذَكَر لا يملُّ وشهوة لا تنقطع من (8) ثمانية طرق عن النبي

204_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذِكر الله وما والاه من (7) سبعة طرق عن النبي

205_ الكامل في تواتر حديث تفترق أمتي علي (73) ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة من (14) طريقا مختلفا عن النبي

206_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة من خمسة طرق عن النبي وبيان قيامه مقام الحديث المكذوب اختلاف أمتي رحمة

207_الكامل في أسانيد وتصحيح حديث يأتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام فجاهدوهم فإنهم مشركون من (10) عشر طرق عن النبي وبيان ما خفي من طرقه ورواته

208_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن شهادة النساء في الحدود والعقوبات غير مقبولة مطلقا وإن كانت أصدق الناس وأوثقهم واتفق الجمهور أن شهادة النساء غير مقبولة في المعاملات غير المالية واتفقوا علي قبولها في المعاملات المالية مع ذِكر (100) صحابي وإمام منهم

209_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن شهادة اليهود والنصاري والمشركين علي المسلمين غير مقبولة وشهادة المسلمين عليهم مقبولة واختلفوا في قبول شهادة اليهود والنصاري والمشركين بعضهم علي بعض مع ذِكر (140) صحابي وإمام منهم

210_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث الرايات السود من (10) طرق عن النبي وتصحيح الأئمة له مع بيان ما ورد في بعض الأحاديث من أمر باتباعها وفي بعضها النهي عن اتباعها والجمع بينهما

211_ الكامل في اتفاق جمهور الصحابة والأئمة أن تارك الصلاة يُقتل وقال الباقون يُحبس ويُضرب ضربا مبرحا حتي يصلي مع بيان اختلافهم في القدر الموجب لذلك من قائل بصلاة واحدة إلي قائل بأربع صلوات مع ذِكر (100) صحابي وإمام منهم

212_ الكامل في اتفاق جمهور الصحابة والأئمة أن لا يُقتل حرٌ بعبد قصاصا وإن قتله عامدا مع ذِكر (80) صحابي وإمام قالوا بذلك منهم أبو بكر وعمر وعلي والشافعي ومالك وابن حنبل مع بيان ضعف من خالفهم

213_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن دية المرأة في القتل الخطأ نصف دية الرجل مع ذِكر (100) صحابي وإمام منهم

214_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن رأس الأمَة المملوكة وثديها وساقها ليس بعورة وليس الحجاب والجلباب عليها بفرض مع ذِكر (60) مثالا من آثارهم وأقوالهم وما تبع ذلك من أقاويل

215_ الكامل في اتفاق جمهور الصحابة والأئمة أن دية الكتابي في القتل الخطأ نصف أو ثلث دية المسلم مع ذِكر (70) صحابي وإمام منهم وبيان ضعف من خالفهم

216_ الكامل في أحاديث ذِكر الله وما ورد في فضله والأمر به والإكثار منه وأحاديث الأدعية والأذكار وما ورد في ألفاظها وفضائلها وأورادها / 6000 حديث

217_ الكامل في أحاديث الدعاء وما ورد في الأمر به والإكثار منه وما ورد في فضله وكيفيته وآدابه وأوقاته / 650 حديث

218_ الكامل في أحاديث التوبة والاستغفار وما ورد في ذلك من أمر وفضل ووعد وما في تركه من نهي وذم ووعيد مع بيان تفاصيل حديث من عيّر أخاه بذنب وحديث أصاب رجل من امرأة قُبلة / 650 حديث

219_ الكامل في أحاديث الكذب وما ورد فيه من نهي وذم ولعن ووعيد مع بيان أن الكذب هو الإخبار بخلاف الواقع ولو بغير ضرر ودخول التمثيل في ذلك / 600 حديث

220_ الكامل في تواتر حديث من سمعتموه ينشد ضالته في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك ومن رأيتموه يبيع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك من (13) طريقا مختلفا إلي النبي

221_ الكامل في تواتر حديث اللهم املأ بيوتهم وقبورهم نارا لأنهم شغلونها عن صلاة العصر من (11) طريقا مختلفا إلي النبي

222_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث المرأة الساخط عليها زوجها لا تُقبل لها صلاة من (10) عشر طرق عن النبي وذِكر (20) عشرين إماما ممن صححوه واحتجوا به

223_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث عند كل ختمة للقرآن دعوة مستجابة من (7) سبع طرق عن النبي

224_ الكامل في الأسانيد مع تفصيل كل إسناد وبيان حاله وحال رواته / الجزء الثاني / مجموع الجزء الأول والثاني (4000) إسناد

225_ الكامل في تواتر حديث أُمِرت أن أقاتل الناس حتي يقولوا لا إله إلا الله من (35) طريقا مختلفا إلي النبي وذِكر (135) إماما ممن صححوه وبيان اتفاق الأئمة علي موافقته للقرآن مع إظهار التساؤلات حول تعصيب الإنكار علي الإمام البخاري رغم موافقة جميع الأئمة له

226_ الكامل في تصحيح حديث إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان وذِكر (10) أئمة ممن صححوه وبيان تأويله وتعنت من ضعّفوه في حكمهم علي الرواة وسوء أدبهم مع الأئمة

227_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث يأتي في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم همتهم الدنيا ليس لله فيهم حاجة من خمس طرق عن النبي ومن صححه من الأئمة

228_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث يأتي علي الناس زمان ألسنتهم أحلي من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب لأبعثنّ عليهم فتنة تدع الحليم فيهم حيرانا من (10) طرق عن النبي وبيان تعنت من ضعّفوه في حكمهم علي الأحاديث

229_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث نهي النبي أن يتوضأ الرجل بماء توضأت منه امرأة وذِكر (20) إماما ممن صححوه وبيان اختلاف الأئمة في نَسخه ونقل الإجماع علي جواز وضوء الرجال والنساء بماء توضأ منه رجل

230_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أقل الربا مثل أن ينكح الرجل أمَّه من (16) طريقا عن النبي وبيان التعنت المطلق لمن ضعّفوه مع بيان الدلائل علي عدم تحريم المعاملات البنكية الحديثة وقروضها وعدم دخولها في الربا

231_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث إذا عرف الغلام يمينه من شماله فمُروه بالصلاة واضربوه عليها إذا بلغ عشر سنين وذِكر ستين (60) إماما ممن صححوه

232_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذّي بجار السوء كالأحياء من خمس طرق عن النبي وبيان الأخطاء المنكرة التي وقع فيها من ضعّفوه

233_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث ينادي القبر أنا بيت الوحدة أنا بيت الوحشة أنا بيت الدود من خمس طرق عن النبي وبيان الجهالة التامة لمن ادعوا أنه مكذوب

234_ الكامل في مدح الإمام ابن أبي الدنيا وذِكر (200) كتاب من كتبه وبيان الاختلاف بيني وبينه في طرق جمع الأحاديث النبوية وبيان جواز تسمية الكتب بالكامل

235_ الكامل في أحاديث سبب نزول آية (عبس وتولي) وبيان اتفاق الصحابة والأئمة أن العابس فيها هو النبي مع ذِكر (70) صحابي وإمام منهم وبيان أقوالهم أنها للعتاب / 75 حديث وأثر

236_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث نهي النبي أن يؤكل الطعام سخنا وقال إن الطعام الحار لا بركة فيه من عشر (10) طرق عن النبي وبيان أن ذلك علي الاستحباب

237_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث ترّبوا كتبكم فإن ذلك أنجح للحاجة من تسع طرق عن النبي مع بيان تأويله واستحباب الأئمة له وإنكارهم علي من قال أنه متروك أو مكذوب

238_ الكامل في تواتر حديث أنت ومالك لأبيك من (12) طريقا مختلفا إلي النبي وذِكر (50) إماما ممن صححوه واحتجوا به مع بيان تأويله ومعناه

239_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا وثبوته عن الصحابة وبيان وجوب ترك تضعيفات الألباني في كل الأحاديث بالكلية

240_ الكامل في أحاديث الاحتضار والموت والكفن وغسل الميت والجنازة والقبور والدفن والتعزية وما ورد في ذلك من أحكام وآداب / 2200 حديث

241_ الكامل في أحاديث النياحة علي الميت وما ورد في ذلك من نهي وذم ولعن ووعيد / 160 حديث

242_ الكامل في أحاديث الغيبة والنميمة وما ورد في ذلك من نهي وذم ولعن ووعيد وما في تركها من أمر وفضل ووعد / 370 حديث

243_ الكامل في أحاديث الحياء والستر وعدم المجاهرة بالمعصية وما ورد في ذلك من أمر وفضل ووعد وما ورد في ترك ذلك من نهي وذم ووعيد / 290 حديث

244_ الكامل في أحاديث السلطان ظل الله في الأرض وأحب الناس إلي الله إمام عادل وأبغضهم إليه إمام جائر وحرمة الخروج عليهم بالكلية وما ورد في ذلك من أحاديث / 1000 حديث

245_ الكامل في أحاديث بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبي للغرباء وما ورد في ذلك المعني من أحاديث / 160 حديث

246_ الكامل في تواتر حديث بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا من (25) طريقا مختلفا إلي النبي

247_ الكامل في أحاديث بر الوالدين وصلة الأبناء والإخوة والأقارب والأصحاب والجيران وما ورد في ذلك من فضائل وأحكام وآداب / 4800 حديث

248_ الكامل في أحاديث فضائل التسمية بمحمد وبيان جواز التسمي بمحمد والتكني بأبي القاسم / 50 حديث

249_ الكامل في تواتر حديث لأن يمتلئ جوف أحدكم قَيحا خير له من أن يمتلئ شِعرا من (12) طريقا مختلفا إلي النبي وبيان تأويله

250_ الكامل في أحاديث الأمراض والبلايا والمصائب وما ورد في الصبر عليها من كفارة وفضل ووعد وثواب وعيادة المريض وما ورد فيها من فضائل وآداب / 1400 حديث

251_ الكامل في أحاديث ما قال فيه النبي أنه دواء وشفاء وما قال فيه أنه شفاء من كل داء وبيان أن النبي قالها بالجزم واليقين والعلم وليس بالشك والظن والجهل / 980 حديث

252_ الكامل في أحاديث أفضل ما تداويتم به الحجامة وأمرني جبريل والملائكة بالحجامة وما ورد فيها من أحكام وآداب / 260 حديث

253_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أمرني جبريل والملائكة بالحجامة وقالوا مُر أمتك بالحجامة من (14) طريقا عن النبي وذِكر (15) إماما ممن صححوه واحتجوا به

254_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث إن العبد ليتكلم بالكلمة من (16) طريقا عن النبي وبيان شدة اعتداء الألباني علي الرواة والأحاديث والأئمة ووجوب ترك تضعيفاته علي أي حديث بالكلية

255_ الكامل في أحاديث الصيام وشهر رمضان وليلة القدر والسحور والإفطار وما ورد في ذلك من أحكام وآداب ووعد ووعيد / 2000 حديث

256_ الكامل في أحاديث زكاة الفطر وما ورد فيها من أمر وفضل ووعد وبيان جواز إخراجها بالمال وإظهار خطأ من نقل عن الأئمة خلاف ذلك / 50 حديث

257_ الكامل في أحاديث الزكاة والصدقة وما ورد فيها من أمر وفضل ووعد وأحكام وما في تركها من نهي وذم ولعن ووعيد / 2600 حديث

258_ الكامل في أحاديث الحج والعمرة وما ورد في ذلك من أمر وفضل ووعد وأحكام / 2900 حديث

259_ الكامل في أحاديث الأضحية وما ورد فيها من أمر وفضل ووعد وأحكام / 330 حديث

260_ الكامل في أحاديث عذاب القبر وبيان أنه ثبت من رواية ثلاثة وخمسين (53) صحابيا عن النبي / 290 حديث

261_ الكامل في أحاديث نظر المؤمنين إلي وجه الله في الآخرة وبيان أنه ثبت من رواية عشرين (20) صحابيا عن النبي / 75 حديث

262_ الكامل في أحاديث كتابة الصحابة لأقوال النبي وأوامره ونواهيه في حياته وأمر النبي لهم بذلك / 300 حديث

263_ الكامل في أحاديث أوتيت القرآن ومثله معه ومن أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله / 350 آية وحديث

264_ الكامل في أحاديث الزواج والنكاح والطلاق والخلع وما ورد في ذلك من أوامر ونواهي وأحكام وآداب / 4200 حديث

265_ الكامل في أحاديث زنا العين واللسان واليد والفرج وما ورد في الزنا من نهي وذم ولعن ووعيد وحدود / 1400 حديث

266_ الكامل في أحاديث غسل الجنابة وما ورد فيه من أمر وفضل وأحكام / 330 حديث

267_ الكامل في أحاديث السيرة النبوية قبل الهجرة إلي المدينة وبيان السؤال الناقص في محادثة النجاشي وهو السؤال عن الناسخ والمنسوخ / 1600 حديث

268_ الكامل في أحاديث الحسد والعين والسحر وما ورد في ذلك من نهي وذم ولعن ووعيد وأحاديث الرقية والتميمة وما ورد في ذلك من أحكام وآداب / 500 حديث

269_ الكامل في اتفاق جمهور الصحابة والأئمة أن دية المجوسي في القتل الخطأ تكون عشرة بالمائة (10 %) فقط من دية المسلم مع ذِكر ستين (60) صحابيا وإماما قالوا بذلك ومنهم عمر وعثمان وعلي ومالك والشافعي وابن حنبل وبيان ضعف من خالفهم

270_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي جواز زواج الرجل بأربع نساء باشتراط القدرة المالية فقط مع ذِكر (180) صحابيا وإماما منهم وذِكر بعض الصحابة الذين تزوجوا سبعين (70) امرأة ومنهم الحسن بن علي

271_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث انتظار الفرج عبادة من تسع (9) طرق عن النبي وذِكر (20) إماما ممن قبِلوه وبيان اعتداء الألباني علي الرواة والأحاديث والأئمة ووجوب ترك تضعيفه لأي حديث بالكلية

272_ الكامل في اختصار علوم الحديث / متن مختصر لقواعد علوم الحديث والرواة والأسانيد في (270) قاعدة في (60) صفحة فقط بعبارات سهلة وكلمات يسيرة

273_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضادَّ الله في أمره من سبع طرق عن النبي وبيان أن انتقاء الناس والتفريق في العقوبات بين الحالات المتماثلة يدخل في ذلك

274_ الكامل في أحاديث الجن والشياطين والغِيلان وما ورد فيهم من نعوت وأوصاف / 1100 حديث

275_ الكامل في اتفاق الأئمة الأوائل علي ذم أبي حنيفة مع ذِكر ثمانين (80) إماما منهم الشافعي ومالك وابن حنبل والبخاري مع إثبات كذب ما نُقل عن بعضهم من مدحه وبيان النتائج العملية لذلك / 270 أثر

276_ الكامل في أحاديث نزول الله إلي السماء الدنيا في الليل وبيان أنها ثبتت من رواية عشرين (20) صحابيا والكلام عما فيها من معارضة لقوانين علم الفلك

277_ الكامل في أحاديث لا تفكروا في الله وإن قال الشيطان لأحدكم من خلق الله فليستعذ بالله ولينتهِ ونقل الإجماع أن الإيمان بالله يُبني علي التسليم القلبي وليس علي الجدل العقلي / 100 حديث

278_ الكامل في أحاديث كرسي الله وعرشه وحملة العرش وما ورد في ذلك من نعوت وأوصاف / 350 حديث

279_ الكامل في أحاديث الصحابة الذين ارتكبوا القتل والانتحار والسرقة والزني والسُّكْر في حياة النبي وبيان أن عدد قتلي الحروب بين الصحابة وبعضهم بلغ تسعين ألفا مع الإنكار علي الخاسئين الشامتين في الموتي إن كانوا من غير المسلمين / 380 حديث

280_ الكامل في شهرة حديث تستحل طائفة من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها من تسع (9) طرق مختلفة إلي النبي وذِكر عشرين (20) إماما ممن صححوه وبيان دخول أي كبيرة في مثل ذلك بالقياس

281_ الكامل في أحاديث زواج النبي من زينب بنت جحش بعد تحريم التبني وما ورد في شدة جمالها وإعجاب النبي بها وذِكر أربعين (40) إماما ممن قالوا بذلك / 65 حديث وأثر

282_ الكامل في أحاديث سجود الشكر وما ورد فيه من فضائل وآداب / 15 حديث

283_ الكامل في تواتر حديث الجرس مزمار الشيطان ولا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس من (11) طريقا مختلفا إلي النبي وذِكر (40) إماما ممن صححوه واحتجوا به

284_ الكامل في أحاديث من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي وبيان أن ذلك إذا رآه علي صورته الحقيقية وبيان متي تكون رؤية النبي في المنام كذبا ومن الشيطان / 30 حديث

285_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أخوف ما أخاف علي أمتي منافق يجادل بالقرآن من (16) طريقا عن النبي وذِكر عشرين (20) إماما ممن صححوه واحتجوا به

286_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي جواز أن يضع الرجل يده علي ثدي الأَمَة المملوكة وبطنها وساقها ومؤخرتها قبل شرائها مع ذِكر خمسين (50) مثالا من آثارهم وأقوالهم

287_ الكامل في تقريب (منتقي ابن الجارود) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان عدم وجود حديث ضعيف فيه وجواز تسميته ب (صحيح ابن الجارود)

288_ الكامل في اختلاف الأئمة في اسم الصحابي (أبو هريرة) علي عشرين (20) قولا واسما وبيان أهمية ذلك حديثيا وتاريخيا والنتائج العملية لذلك من عدم تأثير الأسماء في الأحوال والمرويات

289_ الكامل في تقريب (سنن النسائي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان عدم وجود حديث ضعيف فيه وصحة قول الأئمة الذين أطلقوا عليه (صحيح النسائي)

290_ الكامل في إصلاح (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني) وتصحيح ما أخطأ وتعنت فيه الألباني وإنقاص عدد أحاديثها من (7000) إلي (2000) حديث فقط ورفع خمسة آلاف (5000) حديث منها إلي الصحيح والحسن

291_ الكامل في تواتر حديث كل أمتي معافي إلا المجاهرين من اثني عشر (12) طريقا مختلفا إلي النبي وذِكر ثلاثين (30) إماما ممن صححوه واحتجوا به

292_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث علي بن أبي طالب هو الصِّدِّيق الأكبر من عشر (10) طرق عن النبي ومن صححه وضعفه من الأئمة وإنكارهم علي من قال أنه متروك أو مكذوب

293_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أن النبي قال لبعض الصحابة آخركم موتا في النار من ست (6) طرق عن النبي وبيان أقوال الأئمة في تأويله

294_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي وجوب إقامة العقوبات والتعزير علي المجاهرين بالمعاصي والكبائر وجواز بلوغ التعزير إلي القتل مع ذِكر (160) صحابي وإمام منهم و(300) مثال من آثارهم وأقوالهم

295_ الكامل في أقوال ابن عباس والأئمة في آية (وهمَّ بها) أنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته وفكّ السراويل وذِكر (35) إماما منهم وبيان شدة ضعف من خالفهم مع الإنكار علي المنافقين الظانين أنهم أتقي في النساء من نبي الله يوسف

296_ الكامل في أحاديث من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ومن قاتل في منع حد من حدود الله فهو في سبيل الشيطان وما ورد في ذلك من مدح وذم ووعد ووعيد / 1800 حديث

297_ الكامل في أحاديث العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا في الدنيا فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم واتهموهم علي دينكم وهم شر الخلق عند الله وما ورد في ذلك المعني من أحاديث / 300 حديث

298_ الكامل في أحاديث الذهب والحرير حرام علي الرجال وحلال للنساء ما لم يتبرجن به وما ورد في ذلك من نهي وذم ولعن ووعيد / 170 حديث

299_ الكامل في أحاديث من جاهر بمعصية فعمل بها أناس فعليه مثل أوزارهم جميعا لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا / 90 حديث

300_ الكامل في أحاديث إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها وإذا ظهرت فلم تُغيَّر ضرت العامة والخاصة وما ورد في ذلك المعني من أحاديث / 400 حديث

301_ الكامل في أحاديث إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه لم يستجب الله دعاءهم وبيان أنها ثبتت عن أربعة عشر (14) صحابيا / 20 حديث

302_ الكامل في أحاديث العقيقة وما ورد فيها من استحباب وفضائل وآداب / 45 حديث

303_ الكامل في أحاديث من اكتسب مالا من حرام فهو زاده إلي النار وإن حج أو تصدق به لم يقبله الله منه مع بيان اتفاق الأئمة علي وجوب إخراج المال الحرام علي سبيل التوبة / 100 حديث

304_ الكامل في أحاديث إن الله يغضب إذا مُدح الفاسق ولا تقوم الساعة حتي ينتشر الفسق والفحش ويكون المنافقون أعلاما وسادة وما ورد في ذلك المعني من أحاديث / 1350 حديث

305_ الكامل في إثبات عدم تهنئة النبي لأحد من اليهود والنصاري والمشركين بأعيادهم وعدم ورود حديث أو أثر بذلك عن النبي أو الصحابة أو الأئمة ولو من طريق مكذوب وبيان دلالة ذلك

306_ الكامل في أحاديث استشهد رجل في سبيل الله فقال النبي كلا إني رأيته في النار في عباءة سرقها وما في ذلك المعني من أحاديث في عدم تكفير الشهادة لبعض الكبائر / 40 حديث

307_ الكامل في أحاديث أوثق الأعمال الحب والبغض في الله والموالاة والمعاداة في الله وما ورد في ذلك المعني من أحاديث ومدح وذم ووعد ووعيد / 160 حديث

308_ الكامل في أحاديث الأمر بالوضوء لمن أكل أكلا مطبوخا وبيان اختلاف الصحابة والأئمة في نَسخه / 80 حديث

309_ الكامل في إثبات كذب حديث وجود بيوت الرايات الحُمر للزنا في المدينة في عهد النبي وبيان أن من آمن بذلك فقد اتهم النبي بارتكاب الكبائر واستحلال المحرمات

310_ الكامل في أحاديث أن الصلاة والصيام والفرائض وفضائل الأعمال لا تكفّر الكبائر وإنما تكفر الصغائر فقط / 80 حديث

311_ الكامل في أحاديث إياكم واللون الأحمر فإنه زينة الشيطان وما ورد في ذلك المعني من أحاديث في النهي عن الملابس الحمراء / 20 حديث

312_ الكامل في تواتر حديث أمر النبي النساء بالخِمار والواسع من الثياب من ثمانية وأربعين (48) طريقا مختلفا إلي النبي وبيان كذب ما نقل عن بعض الأئمة خلاف ذلك

313_ الكامل في تواتر حديث لعن الله المتبرجات من النساء من ستة وأربعين (46) طريقا مختلفا إلي النبي وبيان كذب ما نقل عن بعض الأئمة خلاف ذلك

314_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن النبي دخل بعائشة وعمرها تسع سنوات وذِكر (130) إماما منهم وبيان أن مخالِف ذلك متهم لأئمة الحديث والتاريخ والفقه كلهم مع بيان اختلافهم في وجوب غسل الجنابة علي من يقع عليها الجِماع ولم تبلغ بعد

315_ الكامل في تواتر حديث اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ من أربعة عشر (14) طريقا مختلفا إلي النبي وبيان اختلاف الأئمة في تأويله

316_ الكامل في أحاديث من لعب بالنرد فقد عصي الله ورسوله وما ورد في اللعب بالنرد من نهي وذم ووعيد / 20 حديث

317_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث لا يقبل الله صلاة امرأة إلا بخمار وجلباب من عشر (10) طرق عن النبي وبيان اتفاق الصحابة والأئمة علي ذلك مع ذِكر تسعين (90) صحابيا وإماما منهم

318_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث بُعِثتُ بهدم المزمار والطبل من ثمانية (8) طرق عن النبي وبيان الأخطاء التي أفضت ببعضهم إلي تضعيفه

319_ الكامل في تواتر حديث لعن الله الخمر وعاصرها وشاربها وبائعها ومبتاعها وحاملها وساقيها من ستة عشر (16) طريقا مختلفا إلي النبي

320_ الكامل في أحاديث من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فعليه كفارة يمين وما ورد في النذر من أحكام وآداب / 130 حديث

321_ الكامل في أحاديث من أفضل الأعمال سرور تدخله علي مسلم والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه وما ورد في قضاء الحوائج من أمر وفضل ووعد / 340 حديث

322_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن من استحل شيئا من الزنا وإن قُبلة أو معانقة كَفَر مع ذِكر (260) صحابيا وإماما منهم وبيان ما يجتمع في زنا التمثيل من ثمانية (8) من أفحش الكبائر من استحل واحدة منها فقد كَفَر وجواز عقوبة المستحل وغير المستحل بالقتل / 750 حديث وأثر

323_ الكامل في أحاديث يهدم الإسلام زلة عالِم وأشد ما أتخوف علي أمتي زلة عالِم وما ورد في ذلك المعني من أحاديث / 20 حديث

324_ الكامل في أحاديث بكاء النبي من خشية الله وما ورد في البكاء من خشية الله من أمر وفضل ووعد والإنكار علي المنافقين الطاعنين في البكّائين من خشية الله / 170 حديث

325_ الكامل في أحاديث كان النبي يصلي حتي تتورم قدماه وما ورد في استحباب الإكثار والشدة في التعبد والجواب عن حجج من نافق وزعم أن ذلك بدعة وغلو / 480 حديث

326_ الكامل في تصحيح حديث أن أعمي أتي النبي وعنده أم سلمة وميمونة فقال احتجِبا منه فقلن أعمي لا يبصرنا فقال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه وذِكر أربعين (40) إماما ممن صححوه وبيان أنه ليس مخصوصا بأزواج النبي فقط

327_ الكامل في اتفاق أئمة اللغة أن الحمو في قول النبي الحمو الموت يدخل فيه أبو الزوج وتحرم خلوته بزوجة ابنه مع ذِكر خمسة وثلاثين (35) إماما منهم وبيان شدة ضعف من خالفهم وما تبعه من تبعات

328_ الكامل في تفصيل آية (فقولا له قولا لينا) وبيان أن ذلك لما دعاه أول مرة فلما لم يستجب لعنه ودعا عليه أن يموت كافرا وقال إنك مخلد في الجحيم والعذاب الأليم / 30 آية و40 أثر

329_ الكامل في أحاديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر وما ورد في التكبر من نهي وذم ولعن ووعيد وفي التواضع من أمر وفضل ووعد / 360 حديث

330_ الكامل في تواتر حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر من (12) طريقا مختلفا إلي النبي وذِكر (50) إماما ممن صححوه واحتجوا به

331_ الكامل في أحاديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت وما ورد في الصمت وحفظ اللسان من أمر وفضل ووعد وفي الثرثرة وكثرة الكلام من نهي وذم ووعيد / 380 حديث

332_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس علي مائدة عليها خَمر من عشر (10) طرق عن النبي وذِكر عشرين (20) إماما ممن صححوه واحتجوا به

333_ الكامل في تواتر حديث نظر المؤمنين إلي الله في الجنة من خمسة وثلاثين (35) طريقا مختلفا إلي النبي

334_ الكامل في المقارنة بين حديث الآحاد اتخذوا من مصر جندا كثيفا وتفصيل إسناده وبيان أن فيه أربعة رواة مختلف فيهم اختلافا شديدا والحديث المشهور من خمس طرق دخل إبليس مصر فاستقر فيها والجمع بينهما

335_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث إن لله عبادا يضن بهم عن البلايا يحييهم في عافية ويميتهم في عافية ويدخلهم الجنة في عافية من ثمانية (8) طرق عن النبي

336_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن قوله تعالي (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أسلوب تهديد ووعيد وليس أسلوب تخيير مع ذِكر سبعين (70) صحابيا وإماما منهم

337_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث ألم الموت أشد من ثلاث مائة ضربة بالسيف من خمس طرق عن النبي

338_ الكامل في أحاديث الخلفاء بعدي أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وما ورد في تبشير النبي لهم بالخلافة من بعده / 80 حديث

339_ الكامل في أحاديث يأتي أناس يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال وهم أعظم الناس فتنة علي أمتي وما ورد في ذلك المعني من أحاديث / 30 حديث

340_ الكامل في أحاديث لا تزال طائفة من أمتي قائلة بأمر الله ظاهرة في الناس حتي تقوم الساعة وما ورد في ذلك المعني من أحاديث / 85 حديث

341_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث لا يدخل الجنة ولد زنا من عشر (10) طرق عن النبي وجواب عائشة علي نفسها وبيان اختلاف الأئمة في تأويله وبيان عدم تفرد أبي هريرة بشئ من أحاديثه

342_ الكامل في أحاديث احترسوا من الناس بسوء الظن وإن من الحزم سوء الظن بالناس وما ورد في ذلك المعني من أحاديث وبيان ما لها من تأويل واعتبار / 20 حديث

343_ الكامل في أحاديث نهي النساء عن الخروج لسقي الماء ومداواة الجرحي وأن ما ورد في الإذن بذلك كان قبل نزول الحجاب ولقلة الرجال في أول الإسلام / 170 حديث

344_ الكامل في الآيات والأحاديث التي أدخلها بعضهم في الإعجاز العلمي ودلائل النبوة بالظن والخطأ والجهل مع تفصيل كل منها وبيان أسباب إخراجه من باب الإعجاز والدلائل / 1200 آية وحديث

345_ الكامل في أحاديث لا يمس المصحف إلا متوضئ ولا يقرأ الجُنُب شيئا من القرآن وبيان اتفاق الصحابة والأئمة علي ذلك مع ذِكر (100) صحابي وإمام منهم / 20 حديث و100 أثر

346_ الكامل في أحاديث أن قوله تعالي (غير المغضوب ولا الضالين) يعني اليهود والنصاري وبيان اتفاق الصحابة والأئمة علي ذلك مع ذِكر (50) صحابيا وإماما منهم وبيان أن الآية لم تحصر الغضب والضلال فيهم

347_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن (تخافون نشوزهن) و(يوطِئن فُرُشكم) تعني عصيان المرأة لزوجها وإدخالها البيت من لا يرضاه وإن كان من محارمها وليس يعني الزنا مع ذِكر (90) صحابيا وإماما منهم

348_ الكامل في أحاديث من الفطرة الختان وتقليم الأظافر ونتف الإبط وإعفاء اللحية وقص الشارب وما ورد في ذلك من أمر وفضل ووعد وما في تركه من نهي وذم ووعيد / 140 حديث

349_ الكامل في أحاديث يأتي علي الناس زمان يصلون ويصومون وليس فيهم مؤمن وليخرجن الناس من دين الله أفواجا كما دخلوه أفواجا وما ورد في ذلك المعني من أحاديث / 100 حديث

350_ الكامل في أحاديث طلب العلم فريضة علي كل مسلم وإن الله يحاسب العبد فيقول العبد جهلت فيقول الله ألا تعلمت وما ورد في ذلك المعني من أحاديث / 300 حديث

351_ الكامل في آيات وأحاديث إن المنافق لا يستعمل من الدين إلا ما وافق هواه وما ورد من آيات وأحاديث في صفة النفاق ونعت المنافقين / 690 آية وحديث

352_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث إن السماوات والأرض مقارنة بكرسي الله كمثل حلقة خاتم في صحراء واسعة من عشر (10) طرق عن النبي

353_ الكامل في آيات وأحاديث المتقين مجتنبي الكبائر وما ورد فيهم من مدح وفضل ووعد والفاسقين مرتكبي الكبائر وما ورد فيهم من ذم ولعن ووعيد / 1450 آية وحديث

354_ الكامل في أحاديث لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وما ورد في القتل بغير حق من نهي وذم ولعن ووعيد مع بيان اختلاف الصحابة والأئمة في توبة القاتل / 570 حديث

355_ الكامل في أحاديث فضائل مكة والمدينة وما ورد فيهما من أحاديث في أشراط الساعة / 700 حديث

356_ الكامل في أحاديث صفة الملائكة وما ورد في أشكالهم وأحجامهم وملابسهم وأعمالهم وعبادتهم / 1000 حديث

357_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث إن المرجئة القائلين الإيمان إقرار دون عمل لعنهم الله علي لسان سبعين نبيا ويحشرهم مع الدجال من (35) طريقا إلي النبي

358_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أكثر من يتبع الدجال النساء من سبع (7) طرق عن النبي

359_ الكامل في تفاصيل حديث النبي في رجم ماعز لو سترته كان خيرا لك وبيان أن ذلك كان بعد إقامة حد الرجم عليه وليس قبله وبيان تأويله

360_ الكامل في تقريب (صحيح مسلم) بحذف الأسانيد والإبقاء علي ما فيه من روايات ومتون وألفاظ / نسخة مطابقة لصحيح مسلم محذوفة الرواة والأسانيد / مع بيان العصمة العملية لصحيح مسلم من الضعف والخطأ

361_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث سحر النبي من (12) طريقا وذِكر (140) إماما ممن صححوه والجواب عن حجج من نافق واتبع التضعيف المزاجي في رد الأحاديث

362_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث رضاع الكبير من ست (6) طرق عن النبي وذِكر (60) إماما ممن صححوه وبيان أنه منسوخ متروك العمل وشدة ضعف من خالف ذلك

363_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث لا تجتمع أمتي علي ضلالة من (16) طريقا عن النبي مع بيان درجات الإجماع ومتي يُترك قول القِلّة

364_ الكامل في تقريب كتاب (فضائل سيدة النساء بعد مريم فاطمة بنت رسول الله) لابن شاهين وكتاب (فضائل سورة الإخلاص) للخلال بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث

365_ الكامل في تقريب كتاب (البدع لابن وضاح) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 290 حديث وأثر

366_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث اثنان فما فوقهما جماعة من (12) طريقا عن النبي وذِكر (20) إماما ممن احتجوا به

367_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن لا نكاح إلا بوليّ مع ذِكر (150) صحابي وإمام منهم وبيان شدة ضعف من شذ وخالف في ذلك

368_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أبغض الحلال إلي الله الطلاق وأيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير ضرر فحرام عليها رائحة الجنة من (25) طريقا عن النبي مع بحث مُفصّل في حديث الطلاق يهتز له العرش وتحسينه

369_ الكامل في تقريب كتاب (السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 1500 حديث وأثر

370_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث إن القدرية القائلين قدّر الله الخير ولم يقدر الشر هم مجوس هذه الأمة وليس لهم في الإسلام نصيب ولا تنالهم شفاعتي وهم شيعة الدجال من ثمانين (80) طريقا عن النبي

371_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث إن عرش الله فوق سماواته له أطيط كأطيط الرَّحل الجديد من ثِقله من خمس طرق عن النبي وذِكر ثلاثين إماما ممن صححوه واحتجوا به

372_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتزاورون فيها في قبورهم من سبع (7) طرق عن النبي

373_ الكامل فيما اتفق عليه الصحابة والأئمة من مسائل الوضوء والتيمم والمسح علي الخفين / 100 مسألة

374_ الكامل في تواتر حديث من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار من (50) طريقا مختلفا إلي النبي وبيان اختلاف الأئمة في كفر فاعله وبيان كثرة ما يقع من ذلك في الغناء والتمثيل

375_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلي النار من سبع (7) طرق عن النبي وبيان تأويله

376_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أمر النبي علياً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين من عشرين (20) طريقا عن النبي وبيان كذب ابن تيمية فيما نقل عن الأئمة من تكذيبه

377_ الكامل في تواتر حديث ذكاة الجنين ذكاة أمه من (11) طريقا مختلفا إلي النبي

378_ الكامل في تواتر حديث تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي من (13) طريقا مختلفا إلي النبي وذِكر (35) إماما ممن صححوه واحتجوا به

379_ الكامل في بيان كذب نسبة كتاب (نواضر الإيك) للإمام السيوطي مع بيان أن التصريح بالفحش والبذاء فسق مستوجب للعقوبة والتعزير

380_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث شهر رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار من ثلاث طرق عن النبي

381_ الكامل في تواتر حديث من قُتِل دون ماله فهو شهيد من خمسة وعشرين (25) طريقا مختلفا إلي النبي

382_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث لا يحرّم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء في الحولين قبل الفطام من (16) طريقا عن النبي

383_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أتت امرأة للنبي فقالت إن ابنتي مرضت فسقط شعرها أفأصل فيه فلعن الواصلة والموصولة من عشر (10) طرق عن النبي وبيان شدة ضعف من خالف ذلك

384_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من وقع علي ذات مَحرم فاقتلوه من تسع (9) طرق عن النبي وبيان شدة ضعف من خالف ذلك وما تبعه من استحلال لأفحش الكبائر

385_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي جواز تزويج الأب ابنته الصغيرة دون أن يشاورها وأن قوله تعالي (اللائي لم يحِضن) يعني الصغيرات مع ذِكر (180) صحابي وإمام منهم وبيان عادة الحدثاء الأغرار في اتهام أصحاب النبي وأئمة المسلمين

386_ الكامل في الأحاديث الناقضة والمخصصة لحديث إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وأن ذلك فيما لا يتعلق بحقوق الناس وفيما لا يصرّ عليه ويجاهر به صاحبه مع بيان شدة ضعف دلالة حديث قاتل المائة / 640 حديث

387_ الكامل في تقريب (المستدرك علي الصحيحين) لابن البيع الحاكم بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان أن نسبة الصحيح فيه (99 %) من أحاديثه / 8800 حديث وأثر

388_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا من تسع (9) طرق عن النبي وبيان كذب ما نُقل عن الإمام أحمد من تكذيبه وبيان اتباع من ضعّفوه للنقد المزاجي

389_ الكامل في أحاديث من كتم علما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله من عمله شيئا مع بيان أشهر عشر طرق يستعملها أهل النفاق والفسق في تحريف الدلائل / 570 آية وحديث

390_ الكامل في إثبات أن حديث انشقاق القمر لا يرويه إلا صحابي واحد فقط وبيان الخلاف في آية (انشق القمر) وبيان أثر ذلك علي إخراج انشقاق القمر من مسائل الإعجاز

391_ الكامل في تفاصيل حديث علي كل سُلامي من الإنسان صدقة وبيان الاختلاف الشديد الوارد في ألفاظه بين عظم ومفصل وعضو ومنسم ومِيسم وبيان أثر ذلك علي إخراجه من مسائل الإعجاز

392_ الكامل في إثبات أن حديث ما أكرمهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم حديث آحاد مختلف فيه بين ضعيف جدا ومكذوب وبيان عادة بعض مستعملِيه في ترك المتواتر والاحتجاج بالمكذوب

393_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث ثمن المغنية سحت وسماعها حرام من (16) طريقا عن النبي وبيان عدم اختلاف الصحابة والأئمة في المغنيات

394_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه لهم أدب وإذا عصينكم في معروف فاضربوهن ضربا غير مبرح من ثلاثين (30) طريقا عن النبي

395_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث حرّم النبي المعازف والمزامير ولعن صاحبها وقال أمرني ربي بكسرها من عشرين (20) طريقا عن النبي

396_ الكامل في تفصيل قوله تعالي عن فرعون (ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) وبيان أن المراد بها نخرجك من البحر ليري موتك بنو إسرائيل مع ذِكر (50) صحابيا وإماما قالوا بذلك وأن الآية لا تدخل في مسائل الإعجاز

397_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن قوله تعالي (وتقلبك في الساجدين) تعني صلاتك في جماعة المسلمين مع ذِكر (50) صحابيا وإماما منهم وبيان أن ليس لها علاقة بآباء النبي وبيان عادة البعض بالغلو في الأنبياء

398_ الكامل في تقريب (تفسير عبد الرزاق الصنعاني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 3700 حديث وأثر

399_ الكامل في بيان اختلاف الصحابة والأئمة في معني فواتح السور (الم حم عسق ص ق المص المر كهيعص طه يس طس طسم ن) علي عشرين (20) قولا وبيان أثر ذلك علي إخراجها من مسائل الإعجاز والدلائل

400_ الكامل في أحاديث الغيرة من الإيمان وقلة الغيرة من النفاق ولا يدخل الجنة ديوث ولعن الله المحلل والمحلل له وما ورد في ذلك المعني من أحاديث / 80 حديث

401_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن آية (لستَ عليهم بمسيطر) منسوخة ليس عليها عمل بالكلية مع ذِكر (270) صحابيا وإماما منهم وبيان عادة الحدثاء في ترك المحكم والاحتجاج بالمنسوخ / 800 حديث وأثر

402_ الكامل في تفصيل آية (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وأن المراد بها صرفهم عن الإسلام وأن لا علاقة لها بالهجرة وأن الحديث الوارد بذلك حديث آحاد مختلف فيه بين حسن وضعيف / 50 أثر

403_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث لا قصاص علي الأب الذي يقتل ابنه متعمدا من ثمانية طرق عن النبي وبيان أن جمهور الصحابة والأئمة علي العمل بهذا الحديث

404_ الكامل في تواتر حديث النهي عن الاستغفار لأبي طالب وأنه في ضحضاح من النار من (15) طريقا مختلفا إلي النبي وبيان أثر ذلك علي من دون أبي طالب بالأضعاف

405_ الكامل في تفصيل حديث إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم وبيان أن ذلك إذا كان علي سبيل التكبر والعجب وجواز قولها لما يري من قبيح أعمال الناس ومعاصيهم / 60 حديث وأثر

406_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث الرقدة علي البطن ضجعة جهنمية يبغضها الله من سبع طرق عن النبي وذِكر (15) إماما ممن صححوه واحتجوا به

407_ الكامل في إثبات أن العلة في عدة النساء تعبدية محضة وأن استبراء الرحم علة فرعية في بعض الحالات بعشرة أدلة متفق عليها وبيان أثر ذلك علي مصطلح الضرورات الخمس / 90 حديث وإجماع

408_ الكامل في آيات وأحاديث إن الله علي عرشه فوق السماوات السبع / 370 آية وحديث

409_ الكامل في مراسيل الحسن البصري / جمع لمرسلات الحسن البصري مع بيان درجة كل حديث من الصحة والضعف / 700 حديث

410_ الكامل في أحاديث المعاملات المالية وما ورد فيها من أحكام مع بيان اتفاق الصحابة والأئمة علي حرمة بيع الخمر وشرائها والتجارة فيها وبيان جواز عمليات زرع الأعضاء / 1200 حديث

411_ الكامل في الأسانيد مع تفصيل كل إسناد وبيان حاله وحال رواته / الجزء الثالث / مجموع الأجزاء الثلاثة (7000) إسناد

412_ الكامل في تقريب كتاب (التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 450 حديث وأثر

413_ الكامل في تقريب كتاب (الصفات للدارقطني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 50 حديث وأثر

414_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أتاني ربي في أحسن صورة فوضع كفه علي كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديَّ من (18) طريقا عن النبي وذِكر (25) إماما ممن صححوه منهم البخاري وابن حنبل والترمذي

415_ الكامل في أحاديث التساهل في الدين وما ورد فيه من ذم ولعن ووعيد وحدود وعقوبات مع بيان الدلائل الناقضة لمصطلح الوسط / 4100 حديث

416_ الكامل في بيان أن حديث النساء شقائق الرجال حديث آحاد مُختَلف فيه بين حسن وضعيف وبيان سبب وروده وبيان عادة الحدثاء في نقض المتواتر والتناقض في استعمال أحاديث الآحاد

417_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن أبناء الأمَة المملوكة يصيرون عبيدا مملوكين لمالِك أمِّهم وإن كان أبوهم حرا مع ذِكر (120) صحابيا وإماما منهم

418_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من ترك المِراء من (16) طريقا عن النبي وبيان أن ذلك في جدال الهوي والباطل وبيان كذب القائل لا إنكار في مسائل الخلاف وثبوت إجماع الصحابة والأئمة علي خلاف ذلك / 100 حديث وأثر

419_ الكامل في رواة الحديث النبوي من بيان درجة كل راوٍ من الثقة والضعف / الجزء الأول / عشرة آلاف (10,000) راوي

420_ الكامل في آثار الصحابة والأئمة الدالة علي جواز الاستمناء وعلي وجوبه عند خوف الزنا وبيان اتفاق القائلين بمنعه أنه من الصغائر / 40 أثر

421_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن حد السارق قطع يده اليمني ثم رجله اليسري مع ذِكر (150) صحابيا وإماما منهم وبيان عادة الحدثاء الأغرار في اتهام أصحاب النبي وأئمة المسلمين بالجهالة ونقض الدين

422_ الكامل في أحاديث من سبَّ أصحاب النبي فهو منافق عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله من عمله شيئا وبيان أسلوب الحدثاء في شتم الصحابة باتهامهم بالجهل بالإسلام ونقض الدين / 250 حديث

423_ الكامل في بيان اختلاف الأئمة في تعريف النكاح وأنه يقع علي عقد النكاح دون الجِماع والوطء وبيان أثر ذلك علي نكاح التحليل وفحش العامِلين به / 40 أثر

424_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي العمل بحديث أُمِرتُ أن أقاتل الناس وقولهم لا يُقبَل من المشركين إلا الإسلام أو القتل ومن غيرهم الإسلام أو الجزية والصَّغَار مع ذِكر (260) صحابيا وإماما منهم و(900) مثال من آثارهم وأقوالهم

425_ الكامل في اتفاق أكثر الأئمة أن الشيطان ألقي علي لسان النبي تلك الغَرانِيق العُلَي شفاعتهن تُرتَجي ثم أحكم الله آياته وذِكر (60) إماما منهم وبيان شدة ضعف من خالفهم وبيان عادة المتعنتين في اتهام مُخالِفيهم وإن كانوا أكابر أئمة الدين

426_ الكامل في أحاديث لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان كافرا من أصحاب النار مع بيان اتفاق الصحابة والأئمة علي جواز إطلاق لفظ المشركين علي أهل الكتاب / 250 آية وحديث و30 أثر

427_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن رجم الزاني حكم متواتر مقطوع به معلوم من الدين بالضرورة مع ذِكر (380) صحابيا وإماما منهم و(750) مثالا من آثارهم وأقوالهم وبيان عادة الحدثاء في تكذيب الصحابة وهدم المتواتر واتهام الأئمة

428_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن من لم يؤمن بمحمد رسول الله فهو كافر مشرك وإن آمن بمن سواه من الرسل وأن ذلك مقطوع به معلوم من الدين بالضرورة مع ذِكر (240) صحابيا وإماما منهم و(500) مثال من آثارهم وأقوالهم وبيان عادة المنافقين في تحريف القرآن بالجدل

429_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث الأئمة من قريش والناس تبع لهم من خمسين (50) طريقا عن النبي وبيان اتفاق الصحابة والأئمة علي العمل به وبيان شدة ضعف المعتزلة في جمع طرق الأحاديث وتعمد خلافها

430_ الكامل في آيات وأحاديث لا يأمن مكر الله إلا الكافرون والويل للمُصِرِّين علي الكبائر وما ورد في ذلك المعني من أحاديث وبيان معني قول الأئمة المعاصي بريد الكفر / 700 آية وحديث

431_ الكامل في أقوال الصحابة والأئمة في آية (ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) ومخالفة ذلك للمقطوع به طبيا أنه لا يخرج من الظهر والرقبة وبيان تأويل الآية وأثر ذلك علي مزاعم الإعجاز العلمي / 120 أثر

432_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث نسج العنكبوت علي باب الغار من ست طرق وبيان اختلاف الأئمة فيه بين حسن وضعيف وأثر ذلك علي إخراجه من مسائل الإعجاز والدلائل

433_ الكامل في إثبات أن حديث اذهبوا فأنتم الطلقاء حديث آحاد مختلف فيه بين ضعيف ومتروك ومكذوب وبيان أن الطلقاء أسلموا يوم فتح مكة وأثر ذلك علي احتجاج الحدثاء بالمكذوب وترك المتواتر المُجمَع عليه

434_ الكامل في رواة الحديث النبوي مع بيان درجة كل راوٍ من الثقة والضعف / الجزء الثاني / مجموع الجزء الأول والثاني عشرون ألف (20,000) راوي

435_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن آية واضربوهن تعني الضرب الجسدي المعروف وليس المجازي وأن ذلك حكم متواتر مقطوع به معلوم من الدين بالضرورة مع ذِكر (230) صحابيا وإماما منهم وبيان عادة الحدثاء في تكذيب الصحابة وهدم المتواتر واتهام الأئمة

436_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي حرمة المعازف والغناء وفسق فاعلها مع ذِكر (230) صحابيا وإماما منهم وبيان كذب وفحش من نقل عن أحد الأئمة خلاف ذلك

437_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن حد الردة بقتل من يرتد عن الإسلام بقول أو فعل حكم متواتر مقطوع به معلوم من الدين بالضرورة مع ذِكر (360) صحابيا وإماما منهم و(640) مثالا من آثارهم وأقوالهم وبيان عادة الحدثاء في تكذيب الصحابة وهدم المتواتر واتهام الأئمة

438_ الكامل في أحاديث بُعِثتُ بين جاهليتين أخراهما شرٌّ من أولاهما ويأتي زمان يصير المنكر معروفا والمعروف منكرا ويتكلم الفاسق التافه في أمر العامة وبيان عادة المنافقين في قلب أحكام الفسق والفحش والشرك إلي ألفاظ المدح والتفخيم والتعظيم / 1050 حديث

439_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن الكافرين والمشركين مخلدون في النار ولا يخرجون منها إلي الجنة أبدا وأن ذلك حكم متواتر مقطوع به معلوم من الدين بالضرورة مع بيان خبث المنافقين الذين وصفوا الله بالكذب والعبث / 480 آية وحديث وأثر

440_ الكامل في إثبات أن حديث أنتم أعلم بأمور دنياكم غير متواتر ولا يرويه إلا ثلاثة من الصحابة وبيان بشاعة وغباء استعمال المنافقين لهذا الحديث في تكذيب القرآن والمتواتر من السنن والأحكام

441_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن من سبَّ النبي أو انتقصه يجب قتله مسلما كان أو كافرا وأن ذلك حكم معلوم من الدين بالضرورة مع ذِكر (430) صحابيا وإماما منهم و(1000) مثال من آثارهم وأقوالهم مع بيان سبعة أمور قاضية بأن تمثيل النبي كفر أكبر

442_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث يُؤتَي بالموت في صورة كبش فيُذبَح من (20) طريقا وذِكر (90) إماما ممن صححوه مع بيان خبث المنافقين الذين يردون السنن مع عدم استطاعتهم إثبات تواتر القرآن عن جميع الصحابة

443_ الكامل في إثبات أن حديث ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا وأري أم عمارة تقاتل دوني حديث آحاد مختلف فيه بين ضعيف ومتروك ومكذوب وأثر ذلك علي تمحك الحدثاء بالاحتجاج بالمكذوب وترك المتواتر

444_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من قام ليلتي العيد بالصلاة لم يمت قلبه يوم تموت القلوب من ست طرق عن النبي وبيان تعنت من زعم أنه حديث متروك

445_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن الحائض لا تمس المصحف ولا تقرأ شيئا من القرآن مع ذِكر (200) مثال من آثارهم وأقوالهم وبيان شدة ضعف من شذ وخالف في ذلك

446_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي وجوب الحجاب والجلباب علي المرأة واستحباب تغطية الوجه ووجوب ذلك إن كان عليه زينة وأن ذلك حكم متواتر معلوم من الدين بالضرورة مع ذِكر (680) مثالا من آثارهم وأقوالهم

447_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي الاحتجاج بحديث أيما امرأة تعطرت فمرت برجال فيجدوا ريحها فهي زانية وأن ذلك حكم متواتر مقطوع به مع ذِكر (500) مثال من آثارهم وأقوالهم وبيان دخول ما يكون أشد من التعطر في ذلك

448_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث صلاة المرأة في بيتها خيرٌ من صلاتها في المسجد من (21) طريقا عن النبي وبيان اتفاق الصحابة والأئمة علي ذلك وكراهة خروجها لغير ضرورة مع ذِكر (170) مثالا من آثارهم وأقوالهم

449_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث يأتي أناس يقيسون الأمور برأيهم فيهدم الإسلام من (40) طريقا وبيان عادة المنافقين في نقض القرآن وهدم السنن وتكذيب المتواتر بإدخال الاحتمالات المجردة بالمزاج والهوي

450_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر من (15) طريقا عن النبي وذِكر (60) إماما ممن صححوه واحتجوا به

451_ الكامل في أحاديث لا تَشَبَّهوا باليهود والنصاري ومن تشبه بقوم فهو منهم وما ورد في التشبه بالكافرين من نهي وذم ووعيد / 180 حديث

452_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث ويلٌ للأعقاب من النار من (22) طريقا عن النبي وذِكر (100) إمام ممن صححوه واحتجوا به

453_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث زُر غِبّاً تزدد حُباً من (20) طريقا عن النبي وبيان شدة تعنت من زعم أنه ضعيف

454_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغي الثالث ولا يملأ جوفه إلا التراب من (35) طريقا عن النبي

455_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث المؤمن يأكل في معيٍّ واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء من (35) طريقا عن النبي وبيان معناه

456_ الكامل في أحاديث من سمع نداء الصلاة فلم يأت المسجد فلا صلاة له والأحاديث الدالة علي وجوب صلاة الجماعة وبيان كذب وبلادة من نقل عن أحد الأئمة خلاف ذلك / 70 حديث

457_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد وقول النبي لرجل أعمي لا أجد لك رخصة في ترك صلاة الجماعة من (30) طريقا عن النبي وبيان شدة تعنت وجهالة من زعم أنه ضعيف

458_ الكامل في تواتر حديث القيام عند مرور الجنازة عن خمسة عشر (15) صحابيا عن النبي وإنكارهم علي عائشة في حفظها وتأويلها وبيان عادة المنافقين في التمحك بالزلات والأخطاء

459_ الكامل في تقريب كتاب (السنة لابن أبي عاصم) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 1500 حديث

460_ الكامل في تقريب (صحيح البخاري) بحذف الأسانيد والإبقاء علي ما فيه من روايات ومتون وأحكام / نسخة مطابقة لصحيح البخاري محذوفة الرواة والأسانيد / مع بيان العصمة العملية لصحيح البخاري من الضعف والخطأ

461_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث لو كنتُ متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا من (29) طريقا عن النبي وذِكر (80) إماما ممن صححوه واحتجوا به

462_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث نضَّر الله امرأ سمع مني حديثا فبلغه من (39) طريقا عن النبي وبيان أن الأصل في القرآن والسنن السماع وليس الكتابة وخبث المنافقين الذين يردون السنن مع عدم استطاعتهم إثبات تواتر القرآن عن جميع الصحابة

463_ الكامل في بيان اختلاف الأئمة في صوت المرأة أعورة هو أم لا واتفاقهم علي حرمة رفع المرأة صوتها بتنغيم ولو بالأذان وقراءة القرآن مع ذِكر (130) مثالا من آثارهم وأقوالهم وبيان عادة الحدثاء في اتهام مُخالِفيهم وإن كانوا أكابر أئمة الدين

464_ الكامل في أحاديث الشفاعة وإخراج المُذنبِين من المسلمين من النار بعد عذابهم وبيان عدم ورود حديث بالشفاعة لهم لعدم إدخالهم النار بالكلية وبيان معني ذرة من إيمان / 250 حديث

465_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث أنا وعلي بن أبي طالب من شجرة واحدة من سبع (7) طرق عن النبي وبيان تعنت من زعم أنه متروك أو مكذوب

466_ الكامل في إثبات أن إسماعيل بن أبي أويس ثقة مطلقا وبيان عدم تفرده بشئ مما انتُقِد عليه وبيان سبب تمحك الحدثاء بتضعيف هذا الراوي وأمثاله

467_ الكامل في إثبات أن نعيم بن حماد ثقة مطلقا وبيان عدم تفرده بشئ مما انتُقِد عليه وبيان سبب تمحك الحدثاء بتضعيف هذا الراوي وأمثاله

468_ الكامل في تقريب كتاب (أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 850 حديث / وبيان كذب من زعم أن النبي صافح امرأة وقاس علي ذلك

469_ الكامل في ذِكر (300) إمام ممن رووا وصححوا حديث أمِرتُ أن أقاتل الناس مع بيان عادة الحدثاء في تعصيب الجناية علي أحد الأئمة وتعمد إخفاء موافقة جميع الأئمة له لتسهيل إنكار السنن وهدم المتواتر

470_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث قول النبي لموتي المشركين يوم بدر إنهم ليسمعون ما أقول من (15) طريقا عن سبعة من الصحابة وإنكارهم علي عائشة في حفظها وتأويلها وبيان عادة المنافقين في التمحك بالزلات والأخطاء

471_ الكامل في إثبات أن شهر بن حوشب ثقة مطلقا وبيان شدة تعنت من زعم أنه ضعيف وبيان عدم تفرده بشئ مما انتُقِد عليه

472_ الكامل في إثبات أن محمد بن إسحاق ثقة مطلقا وبيان شدة تعنت من زعم أنه ينزل عن درجة الثقة وسبب كلام الإمام مالك فيه وبيان عدم تفرده بشئ مما انتُقِد عليه

473_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث إذا رأيتم معاوية علي منبري فاقتلوه من ست (6) طرق عن النبي وبيان أنه معاوية بن تابوه وليس معاوية بن أبي سفيان وبيان شدة تعنت من زعم أنه متروك أو مكذوب

474_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة من ثلاث وثلاثين (33) طريقا عن النبي وبيان شدة تعنت من زعم أنه ضعيف

475_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث استشهد رجل في سبيل الله مع رسول الله فقال النبي كلا إني رأيته في النار بسبب عباءة سرقها من (14) طريقا عن النبي وبيان أثر ذلك علي نقض القائل إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم

476_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن آية (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصاري والصابئين) نزلت في من مات قبل بعثة النبي محمد وأن ذلك حكم متواتر معلوم من الدين بالضرورة وبيان عادة الحدثاء في تكذيب القرآن وهدم المتواتر واتهام الأئمة / 800 آية وحديث وأثر

477_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث إذا التقي الختانان فقد وجب الغُسل من اثنتين وثلاثين (32) طريقا عن النبي وبيان اتفاق الأئمة علي ذلك وأن ما قبله منسوخ

478_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من أتي كاهنا أو عرَّافا فصدقه فقد كفر ولا تُقبَل له صلاة أربعين ليلة من (17) طريقا عن النبي وذِكر خمسين (50) إماما ممن صححوه واحتجوا به

479_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث تخليل اللحية في الوضوء من تسع وعشرين (29) طريقا عن أربعة عشر (14) صحابيا عن النبي

480_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث شيبتني هود وأخواتها من اثنتي عشرة (12) طريقا عن النبي وبيان شدة تعنت من زعم أنه ضعيف

481_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث لا تتكلموا في القَدَر من (26) طريقا عن النبي وبيان سبب ذلك للعجز عن السؤال القائل لماذا خلق الله بعض العباد مع علمه بأنهم يعصون ويكفرون وأنه مدخلهم النار علي ذلك مع قدرته علي تغيير خلقتهم أو عدم خلقهم من الأصل

482_ الكامل في تقريب (سنن أبي داود) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 5200 حديث وأثر / وبيان أن نسبة الأحاديث الصحيحة في السنن الخمسة تسعة وتسعون ونصف بالمائة (99.5 %)

483_ الكامل في تقريب كتاب (الأربعون حديثا للآجري) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان صحة جميع أحاديثه / 45 حديث وأثر

484_ الكامل في تقريب كتاب (المنتخب من كتاب أزواج النبي للزبير بن بكار) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان اتفاق الأئمة أن مارية أم إبراهيم كانت مسلمة وبيان كذب وفحش من زعم خلاف ذلك / 110 حديث وأثر

485_ الكامل في تقريب (صحيفة همام بن منبه) و(نسخة طالوت بن عباد) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 240 حديث وأثر

486_ الكامل في تقريب (جزء رفع اليدين في الصلاة للبخاري) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان صحة جميع أحاديثه / 115 حديث وأثر

487_ الكامل في تقريب كتاب (البعث لابن أبي داود) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 80 حديث وأثر

488_ الكامل في تقريب كتاب (أحكام العيدين للفريابي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 180 حديث وأثر

489_ الكامل في تقريب كتاب (الرد علي الجهمية للدارمي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان صحة جميع أحاديثه / 200 حديث وأثر

490_ الكامل في تقريب كتاب (الذرية الطاهرة للدولابي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 230 حديث وأثر

491_ الكامل في تقريب كتاب (الأوائل لأبي عروبة) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 170 حديث وأثر

492_ الكامل في تقريب كتاب (حياة الأنبياء في قبورهم للبيهقي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 20 حديث وأثر

493_ الكامل في تقريب كتاب (الحوض والكوثر لبقي بن مخلد) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 60 حديث / وبيان بلادة وخبث المنافقين الذين ينكرون نزول القرآن والسنن علي أكثر من حرف

494_ الكامل في تقريب كتاب (العلم لزهير بن حرب) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 160 حديث وأثر

495_ الكامل في تقريب كتاب (فضائل الرمي وتعليمه للطبراني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 60 حديث وأثر

496_ الكامل في تقريب كتاب (القناعة لابن السني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 60 حديث وأثر

497_ الكامل في تقريب كتاب (النزول للدارقطني) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 90 حديث

498_ الكامل في تقريب كتاب (إكرام الضيف لإبراهيم الحربي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 130 حديث وأثر

499_ الكامل في تقريب كتاب (الزهد لأسد بن موسي) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 100 حديث وأثر

500_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث قول النبي لو شِئتُ لأجرَي الله معي جبال الذهب والفضة من (25) طريقا عن النبي وبيان دلالة ذلك علي زعم الحدثاء كذباً أن الزهد يكون في القلب وليس اليد

501_ الكامل في بيان اتفاق الأئمة علي الاحتجاج بالرواة الثقات من أهل البدع كالخوارج والقدرية والمرجئة وغيرهم بذِكر مائة (100) راوٍ منهم وبيان الاختلاف بين الفاسق بالكبائر والفاسق بالتأويل

502_ الكامل في تقريب (مسند أحمد بن حنبل) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / الجزء الأول / ثلاثة آلاف (3,000) حديث

503_ الكامل في بيان إنكار عائشة لقراءة متواترة في آية (وظنوا أنهم قد كُذِبُوا) وبيان أثر ذلك علي ضعف تأويلها ومن تبعها وشدة خطأ إنكارهم علي بعض أصحاب النبي مع بيان أقوال الأئمة في تأويل الآية / 150 أثر

504_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة علي العمل بحديث ما أسْكَر شرب الكثير منه فالشَّربة الواحدة منه حرام وإن لم تُسكِر مع ذِكر (180) مثالا من آثارهم وأقوالهم وبيان شدة بلادة وفُحشِ من شذ وخالف في ذلك وأثرهم في هدم المتواتر وتكذيب الصحابة

505_ الكامل في اتفاق الصحابة والأئمة أن قوله تعالي (أمة وسطا) يعني عدولا غير فاسقين مع ذِكر (180) مثالا من آثارهم وأقوالهم وبيان أثر ذلك علي كذب الحدثاء في الاحتجاج بهذه الآية علي تحريف القرآن وهدم المتواتر بدعوي الوسطية

506_ الكامل في جمع الأحاديث التي رواها الجورقاني في (الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير) وتقريبها بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث وبيان أشهر الأئمة المتعنتين في جرح الرواة / 560 حديث و70 أثر

507_ الكامل في جمع الأحاديث التي رواها (ابن حبان في الثقات) وتقريبها بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / 370 حديث

508_ الكامل في اتفاق الأئمة علي ثبوت حديث كان النبي إذا خطب علا صوته واشتد غضبه كأنه مُنذِر جيش مع ذِكر (80) مثالا من آثارهم وأقوالهم وبيان أثر ذلك علي عادة الحدثاء والمنافقين في تقبيح السنن وتبغيض العاملين بها

509_ الكامل في هدم كتاب (قبول الأخبار ومعرفة الرجال لعبد الله الكعبي) وبيان أنه كان ينكر علم الله وقدرته وبيان أثر ذلك علي نقض اعتماد الحدثاء والمعتزلة علي كتب كبرائهم في ترك السنن والأحاديث

510_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث نهي النبي عن المشي في النعل الواحدة من إحدي عشرة (11) طريقا عن خمسة من الصحابة وإنكارهم علي عائشة وبيان عادة المنافقين في التمحك بالزلات والأخطاء

511_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث من مسَّ فَرجَه فليتوضأ من (24) طريقا عن النبي وبيان ضعف من زعم أنه حديث منسوخ

512_ الكامل في أسانيد وتصحيح حديث الصحة والفراغ نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس ولا تزول قدما عبد يوم القيامة حتي يُسأَل عن عمره فيما أفناه من (15) طريقا عن النبي وبيان أن ربع ساعة في اليوم لمدة عشرين عاما تساوي (1800) ساعة

513_ الكامل في تقريب (تفسير ابن أبي حاتم) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل حديث / الجزء الأول / أربعة آلاف (4,000) حديث وأثر

سلسلة الكامل / كتاب رقم 514 /

الكامل في تقريب (جامع البيان عن تأويل

آي القرآن / تفسير الإمام الأعظم أبو جعفر

الطبري) بحذف الأسانيد مع بيان حكم كل

حديث / الجزء الأول / 800 حديث وأثر

لمؤلفه د / عامر أحمد الحسيني .. الكتاب مجاني